د . رفيق حبيب

المسيحية والحرب

قصة الأصولية الصهيونية الأمريكية والصراع على الشرق الإسلامي





اهداءات ٢٠٠٢

السفير فتحي الجويلي

دمنهور

د. رفيق حبيب

المسيحية والحرب

قصة الأصولية الصهيونية الأمريكية والصراع على الشرق الإسلامى

يافا للدراسات والأبحاث

١٩٩١

اسم الكتاب : المسيحية والحرب: قصة الأصولية الصهيونية الأمريكية
والصراع على الشرق الإسلامى
المؤلف : د. رفيق حبيب
الناشر : يافا للدراسات والأبحاث
سنة النشر : ١٩٩١
الطبعة : الأولى

مقدمة

فى هذه الدراسة ، محاولة لعبور أحد الموضوعات الشائكة. فهى عن الأصولية المسيحية الأمريكية المعاصرة ، وهو موضوع شائك ، أمام البحث العلمى ، لما فيه من تنوع وتداخل مع تيارات وأفكار متنوعة ، ولما له من جذور تاريخية معقدة . وتناول هذا الموضوع ، ليس من باب دراسة ظاهرة أمريكية ، رغم أهمية ذلك ، وليس لدراسة تيار مسيحى معاصر ، رغم أهمية ذلك أيضا ، ولكنه بسبب العلاقة بين هذا التيار ، ودول العالم الثالث ، ومن بينها الوطن العربى ، وفى قلبه مصر .

إن هذه الدراسة تهدف لمعرفة الأصولية الأمريكية المعاصرة ، لأن هذه الأصولية شاءت أن تضع نصب أعينها ، العالم كله ، كهدف لها . لذلك ، ومنذ بدايتها ، خرجت من دولة المنشأ ، أمريكا ، لكى تبشر العالم أجمع ، لا بالمسيحية ، بل بالاصولية الأمريكية . وهكذا جاءت الحركات الأصولية ، إلى العالم الثالث ، والوطن العربى ومصر، ومن هنا أصبح لزاما علينا أن نعرف ، من جاء ، ولماذا ؟ وماذا فعل ؟ وغيرها من الأسئلة الجوهرية .

ولكن القضية تأخذ بعدا جديدا ، خاصة بالنسبة للتيار الصهيونى داخل الحركات الأصولية المسيحية الأمريكية . فهذا التيار وضع نصب أعينه ، عددا من الأهداف ، منها:

١- حتمية تفوق أمريكا ، فى السلاح ، حتى تصبح أقوى قوى العالم .

٢- حتمية عودة اليهود ، وإقامة دولة إسرائيل فى فلسطين العربية .

٣- حتمية عودة يهود الشتات ، جميعا ، إلى دولة إسرائيل ، وعلى رأسهم بالطبع ، يهود الإتحاد السوفيتى .

٤- حتمية هدم المسجد الأقصى ، وإقامة هيكل سليمان (الثالث) ، فى نفس مكانه.

٥- ضرورة تصاعد أحداث التاريخ ، حتى تقوم قوى الخير ، وعلى رأسها ، أمريكا بمحاربة كل قوى الشر ، فى معركة هرمجدون فى فلسطين ، حتى يأتى المسيح ، ليحكم العالم لمدة ألف عام سعيد .

إن هذه النقاط ، هي بنود داخل البرنامج السياسي للأصولية الصهيونية السياسية ، التي تحاول تحقيق هذه الأمور بنفسها . وهي بنود داخل الانتظارات الخلاصية للأصولية الألفية التدبيرية ، التي تنتظر قدوم الملك الألفي ، بفعل تدبير الله، وبدون فعل منها .

وهذه القضية تزيد من أهمية دراسة الحركات الأصولية المعاصرة . ففي النهاية تقف هذه الحركات منا ، موقفا متنوعا حسب تياراتها ، ولكنه موقف له نتيجة واحدة. فالأصولية التبشيرية غير الصهيونية ، تريد تبشير العالم كله بالمسيح ، وتبشير العالم كله بالأصولية ، حتى يصبح عالمنا الثالث ، ومصر ، جزءا من إمبراطورية المسيح العالمية . أما الأصولية الصهيونية ؛ فهي تبشر بالمسيح أيضا ، وإن كان بعضها يهمل التبشير ويعمل بالسياسة . والنتيجة النهائية ، أن تصبح مصر ، كغيرها جزءا من مملكة المسيح الألفية ، سواء بسبب التبشير ، أو بعد ذلك من خلال الحرب العالمية الأخيرة .

إن مثل هذه الأمور ، تأخذ طابعا خاصا ، في السياسة الخارجية الأمريكية ، خاصة مع وجود رؤساء أصوليين ، على رأس الحكم في أمريكا ، بداية من جيمي كارتر إلى رونالد ريجان ، ثم جورج بوش ، وعبر سنوات من ١٩٧٦ ، حتى تصل إلى عام ١٩٩٢ ، وإن كان فرصة الرئيس بوش ، في فترة رئاسة ثانية ، تزايدت بعد حرب الخليج ، وانتصار قوات التحالف ، الذي قادته أمريكا .

مرة أخرى ، تدفعنا الأحداث ، ومعطياتها ، إلى النظر بدقة ، في أعماق هذه الظاهرة ، لتعريفها ، وتعريف جذورها وأصولها وأفكارها ، حتى نعرف تلك القوة التي تأتي إلينا ، وتحاول أن تغيرنا ، وكذلك تحاول أن تسيطر علينا . ولذلك سوف نتناول جذور الظاهرة تاريخيا ، ثم نتناول شكلها المعاصر ، ودورها في الحياة الأمريكية ، حتى نصل إلى دورها تجاه المنطقة العربية ، ومصر ، والعالم الثالث .

إن هذا البحث يمثل محاولة ، لطرح الجوانب الأساسية للقضية ، ورغم أنها ظاهرة متشابكة وتحتاج إلى دراسة متعمقة ومطولة ، إلا أننا حاولنا التعرض لأهم جوانبها ، والتعرف على أهم ما يعنينا فيها . فماذا عن هدف البحث ؟

إنه ليس محاولة للمفاضلة بين التيارات المسيحية المختلفة، وهو ليس موقفا ضد الأصولية المسيحية كعقيدة ، وليس موقفا ضد التبشير فى المسيحية ، الذى هو جزء من الدين وسبب استمراره ، فى المسيحية كما فى الإسلام ، والتبشير قضية بها الكثير من المشكلات ، وليس هدفنا معالجتها . فهدف البحث ، ليس فى هذه الموضوعات ، ولكنه فى تلك العلاقة بين الأصولية الأمريكية ، ودورها الدينى والسياسى فى مصر ، وغيرها من دول الجنوب الفقير . هذه هى القضية الأهم فما هو دور الأصولية الأمريكية فى بلادنا ؟ وما هى حيثيات هذا الدور وآثاره ؟

ومن هذه النقطة يمكن أن نكتشف محور الكتاب . فهو عن شعار « ويكون العالم كله للمسيح»، عندما يكون هناك بعد حقيقى بداخله يشير إلى شعار ضمنى أو نتيجة حتمية ، بأن «يكون العالم كله لأمريكا» .

وهو عن الأصولية الصهيونية ، عندما تتحول العقيدة ، عن مجرد إيمان شخصى إلى سلاح لإرهاب الآخرين ، وإلى تبرير يستخدم لطرد الشعب الفلسطينى وتشريده .

وهو عن الأصولية الصهيونية ، عندما تصبح العقيدة ، برنامج عمل سياسى ، يهدف إلى هدم المسجد الأقصى ، ثانى الحرمين الشريفين لحوالى مليار مسلم حول العالم. ومتى كانت العقيدة ، تتجاوز مقدسات الآخرين ؟

وهو عن الأصولية بكل فروعها ، عندما تكون جدول عمل ، يجعل مسيحية الشرق مسيحية أطراف ، مسيحية تابعة ، لتلك المراكز المسيحية الأمريكية ، التى تمثل القوة ، والتى تسيطر على الفكر .. ومتى ، كانت مسيحية الشرق ، طرفا ، ومسيحية الغرب مركزا ؟ أليست مسيحية الشرق ، وذلك التراث الذى دفن فى أحضان التاريخ الماضى ، هى الجذور التاريخية الأصلية للفكر المسيحى ؟

كذلك ، فهذا الكتاب عن الأصولية الأمريكية ، عندما تبدو للناظر لها ، والمتأمل ، أنها ليست إلا إمبريالية دينية ، وأنها شكل جديد من الأشكال العصرية للرأسمالية العالمية ، وعصر الهيمنة الأمريكية . ولما لا ، والأصولية الأمريكية ، تعتبر أن أمريكا هى رائد امبراطورية الخير ، والسياسة الأمريكية تقول إنها قائدة العالم الحر . ولما

لا ، والأصولية الأمريكية ، ترى الشعب الأمريكي ذا التراث الديني ، على أنه شعب الله المختار ، بعد الشعب اليهودي ، الذي في الصدارة بين شعوب الأرض ، باعتباره الشعب المختار الأول .

إن أمريكا المعاصرة ، تضم في حياتها قمة الإزدواجية ، ففيها العلمانية المتطرفة ، والدينية المتطرفة . ولكن من داخل هذه الإزدواجية ، ظهرت بوادر التحالف بين اليمين الرأسمالي والقومي المحافظ العلماني ، واليمين الديني المحافظ . وهذا التحالف يجعل في السياسية الأمريكية ، سببين لكل عمل ، وهدفين من كل سياسة . فحرب الخليج (١٩٩١) لحماية المصالح الأمريكية ، في نظر اليمين السياسي العلماني، وهي مرحلة لإنتصار وسيطرة إمبراطورية الخير ، في نظر اليمين الديني المحافظ .

إن المجلس الوطني لكنائس المسيح بأمريكا والممثل القوي للمسيحية الليبرالية وعلى رأسها الكنيسة المشيخية الأمريكية ، أطلق ومازال ، صيحة إنذار ، خوفا من سيطرة الفكر الأصولي على أمريكا ، وخوفا من أن يصبح الجميع تحت حكم الأصولية. ولكن ذلك ، جزء من صراع الأصولية والليبرالية في المسيحية .

والقوى العلمانية الليبرالية ، باتت تنتفض بعنف خوفا على أمريكا ، من سقوطها تحت يد التيار الديني الأصولي . وخوفا من تغير قانونها ونظامها من العلمانية إلى الدينية . ولكن هذا ، جزء من الصراع بين العلمانية والدينية .

أما نحن ، العرب ، والمصريين ، وغيرها من أبناء العالم الثالث ، فأيا كان الموقف الديني ، ليبراليا أم أصوليا ، وأيا كان الموقف الفكري ، علمانيا أم دينيا ، فعلينا أن نحذر من هذه الحركة ، ونقف أمامها ، ونعرف دورها . فلا يوجد مبرر واحد ، يجعلنا نقبل الإستعمار والهيمنة السياسية ، برغم أن للسياسة ظروفها وحتمياتها . فهل يوجد مبرر واحد يجعلنا نقبل الهيمنة والإستعمار الديني - إن جاز التعبير ؟

أيا كانت الإجابة ، فالصفحات التالية ، تقدم دعوة للمعرفة العلمية الدقيقة وهي ليست سردا للأحداث ، بقدر ما هي محاولة لإكتشاف معنى الأحداث . ولقد قدم

مؤلفون آخرون ، دراسات بالغة العربية عن هذا الموضوع ، ولهم سبق فتح المجال . ولكن بعض هذه الدراسات ، خلطت عن غير قصد بين المفاهيم والحركات المختلفة ، وبين التيارات والطوائف المتنوعة . لذلك حاولنا فى هذه الدراسة ، إزالة هذا الخلط ، من خلال تقديم رؤية واضحة لأهم جوانب الفكر والتاريخ ، المرتبطة بهذه الظاهرة .

وفى النهاية ، أتركك - عزيزى القارىء - مع أحداث وموضوعات هذه الظاهرة لتعرف عنها ، بالقدر الذى قد يكون كافيا ، فالمعرفة - فى النهاية هى الخطوة الأولى، نحو أى تصور للمستقبل ، ونحو أى مشروع لصناعة المستقبل .

د . رفيق حبيب

الفصل الأول

قبل أن تقرأ ...

فيما يلى سنحاول تقديم أهم الأفكار والتعريفات والإحصاءات ، التى يمكن أن تكون التمهيد الملائم ، لطرح موضوع الكتاب ، عن الأصولية المسيحية الأمريكية . والفقرات التالية ، محاولة لمساعدة القارىء ، كى يعرف النقاط ، التى تساعد على تكوين مدخل جيد ودقيق نسبيا ، حتى يمكن فهم الظاهرة التى سنتعرض لها . خاصة ، وأن تلك الظاهرة ، معقدة ومتداخلة ، لتعدد أفكارها ، وجذورها التاريخية ، كذلك لتنوع تياراتها وأفكارها .

* تعود الأصولية المعاصرة ، إلى جذورها المباشرة ، فى أربعينيات القرن العشرين . فمنذ ذلك التاريخ ، يمكن تتبع بداية الحركة الأصولية الأمريكية المعاصرة من خلال أشخاص مثل بلى جراهام ، وبيل برايت . ومن خلال حركات مثل حركة «شباب للمسيح» ، و«إرسالية بلى جراهام» ، و«المعسكر الصليبى المسيحي» وهذه الحركات ، وهؤلاء الأشخاص ، هم العلامات الأولى ، والقيادات الأكثر أثرا ، تاريخيا . كذلك ، فإن المؤسسات الأولى ، تعد بمثابة التنظيم الأم ، الذى تخرج منه مؤسسات أخرى . حيث تترابط مؤسسات الحركة الأصولية ، فيما بينها ، برباط إنشاء مؤسسة لأخرى ، أو رباط تداخل دور الأفراد المؤسسين عبر المؤسسات المختلفة أو خروج قيادات من مؤسسة وإنشائهم لأخرى . كذلك ، فإن الطاقة العاملة ، فى هذه المؤسسات ، تنتقل من مؤسسة لأخرى ، مما يضيف رابطة جديدة .

* فى عام ١٩٦٧ ، حدث تغير ملحوظ فى الحركة الأصولية . فقبل هذا التاريخ، كان الجناح الأكثر تأثيرا وفاعلية ، هو الحركة الإنجيلية ، وهى الفرع الأكبر للأصولية الأمريكية . وتعتمد فى حركتها على الإرساليات والتبشير . أما الجناح الآخر ، وهو الأصولية الألفية التى تؤمن بالملك الألفى ، وعودة اليهود ، ثم عودة

المسيح، فكان الجناح الأكثر انعزالا ، وبعدا عن متغيرات الحياة ، وعن الدور الاجتماعي والسياسي. ولكن بعد انتصار إسرائيل ، خرج هذا الجناح بقوة ، إلى حقل العمل السياسي ، مشكلا ولأول مرة فى تاريخ المسيحية ، قوة سياسية دولية ، ذات نفوذ واسع ، تمثل أصولية صهيونية مسيحية . وهى القوة السياسية الأولى ، فى تاريخ عقيدة الملك الألفى ، التى يتاح لها أن تفرد نفوذها على قطاع كبير من النظام السياسى الأمريكى . وقبل ذلك يشهد التاريخ قوى مسيحية سياسية أخرى ، منها أصولية ألفية ، ذات تأثير ملحوظ ، ولكن محدود فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . وقوة سياسية أخرى تساند إسرائيل ، دون أن تؤمن بالملك الألفى ، وذلك فى القرن السابع عشر فى إنجلترا .

* تمثل سبعينيات القرن العشرين، مرحلة الظهور الدينى والسياسى والاجتماعى . لمختلف فصائل التيار الأصولى، حيث أتيح لها فى هذه الفترة، أن تبدأ فى إظهار قوتها ونفوذها، وتحقق انتشاراً واسعاً عبر أرجاء العالم، بعد أن تزايدت شعبيتها فى الولايات المتحدة الأمريكية.

* مع النصف الثانى من سبعينيات القرن العشرين، تغير الوضع تماماً فى الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك مع وصول أحد أبناء التيار الأصولى إلى كرسى الرئاسة فى البيت الأبيض الأمريكى، وذلك فى عام ١٩٧٦ ، حيث فاز جيمى كارتر فى انتخابات الرئاسة وهو أول رئيس أمريكى، يعلن أنه «مولود ثانية»، وهو المصطلح الذى يستخدم كإشارة للإيمان المسيحى الأصولى .

* تصنف الحركة الأصولية، باعتبارها أحد روافد الحركة البروتستانتية، والسبب الرئيسى فى ذلك، أن كل الحركات الرافضة للكهنوت، وللكنائس التقليدية، تسمى كنائس أو حركات بروتستانتية. كذلك فإن الحركة المعاصرة، تمتد بجذورها، إلى حركات أخرى، تصنف أيضاً كروافد بروتستانتية.

* تعد الحركة البروتستانتية - كتعبير وإصطلاح - إطاراً عاماً يشمل حركات وكنائس متنوعة ومختلفة، فيما بينها . ولكن البروتستانتية بمعناها التقليدى، تتمثل فى الكنائس البروتستانتية الأساسية، أو الرئيسية، والتى تمثل العمود الفقرى للحركة

منذ ميلادها فى القرن السادس عشر. وفى قلب البروتستانتية، تقف الكنيسة اللوثرية والكنيسة المشيخية، باعتبارهما العصب الأساسي للبروتستانتية، وباعتبارهما كنائس الخط العام، والكنائس الأقدم، والكنائس المعبرة عن صلب حركة الإصلاح فى القرن السادس عشر. واللوثرية، هى امتداد لفكر مارتن لوثر، أما المشيخية فهى امتداد لفكر جون كلفن. وكلاهما خارج الحركة الأصولية المعاصرة، وفى أمريكا هما من أعداء الحركة الأصولية، خاصة الكنيسة المشيخية الأمريكية التى تمثل المسيحية الليبرالية المعاصرة. لذلك فالحركة الأصولية المعاصرة تحاول استقطاب واختراق، الكنائس البروتستانتية الأساسية، باعتبارها مجالاً هاماً، يجب أن تسيطر عليه.

* الحركة الأصولية المعاصرة، ليست كنيسة، ولا طائفة، بقدر ما هى حركة، تضم مؤسسات مستقلة عن الكنيسة، وتحاول العمل من خلال كل الكنائس . وهناك كنائس بروتستانتية، تعبر عن الأصولية الأقدم تاريخياً، ولذلك فإن الحركة الأصولية المعاصرة، تنجح فى أحيان كثيرة، فى ضم بعض هذه الكنائس، لتصبح جزءاً من الحركة، وذلك مثل الكنيسة المعمدانية والرسولية والخمسية والأخوة، وغيرها .

* الحركة الأصولية المعاصرة فى أمريكا، تسمى «الحركة الإنجيلية»، وهو اسم خاص بها، وليس له علاقة بالمعانى الأخرى لمصطلح «الإنجيلية» ، فمثلاً نجد أن بعض الكنائس المشيخية فى أوربا، تسمى إنجيلية، وكذلك فإن الكنيسة الإنجيلية فى مصر، هى كنيسة مشيخية وليس لها علاقة بالحركة الإنجيلية المعاصرة، وتتعدد استخدامات الكلمة، لتشمل الانجيليين الأوائل، وهم أصحاب البشارة، أى رسل المسيح، كاتبو الأناجيل، متى ومرقس ولوقا ويوحنا، وتستخدم الكلمة أحياناً، لوصف التيارات المسيحية الروحية، وغيرها .

* وفيما يلى ، تعريفات أساسية، حسب موسوعة العالم المسيحى(١) :

الإنجيليون :

فرع من البروتستانتية، يشمل عضوية الكنائس التى تدعو نفسها بالإنجيلية، أو كل من ينتمى للتجمعات الإنجيلية، أو الكنائس أو الطوائف، ويتميز باعتناق الدين الشخصى، ويشمل الميلاد الجديد، والخبرة الشخصية الإيمانية الخلاصية، والاعتماد

على الكتاب المقدس، كأساس وحيد للإيمان والحياة المسيحية، والتأكيد على أهمية الوعظ والتبشير، وغالباً على المحافظة اللاهوتية، وغالباً ما يقسم الإنجيليين إلى ثلاث مجموعات :

أ- الإنجيليون المحافظون .

ب - الإنجيليون المجلسيون.

جـ- الأصوليون .

والعضوية الكلية فى الحركة هى : ١٢٤٧٧٥٣٠٠ (١٩٧٠)، ١٥٦٨٩٥٢٠٠ (١٩٨٠) ١٧٤٢٠٢٢٠٠ (١٩٨٥) فى ١٩٢ دولة، والمجموع الكلى شاملاً الإنجليكان الإنجيليين، والزنوج الإنجيليين هو ١٥٣٤١٥٠٠٠ (١٩٧٠) ١٩٠٦٥٠٢٠٠ (١٩٨٠)، ٢١٠٧١٧١٠٠ (١٩٨٥) .

الإنجيليون المحافظون :

الإنجيليون فى الكنائس البروتستانتية والأنجليكانية، والذين يعتقدون فى العقائد المحافظة اللاهوتية الخاصة بالوحى اللفظى للكتاب المقدس، وكل من ينتمون إلى الطوائف التى تحمل عقائد إنجيلية محافظة.

الإنجيليون المجلسيون :

الإنجيليون فى الكنائس البروتستانتية والأنجليكانية، والتى تنتمى للحركة المسكونية ، وهم من يعملون مع هذه الحركة ، ومن داخلها، أى (الانجيليين المشتركين فى المجالس المسكونية العالمية ، التى لاتنتمى للحركة الانجيلية) .

الأصولى :

هو المتمسك بالبروتستانتية الأصولية، وغالبا ما يكون من الألفيين أو التدبيريين.

الأصولية :

حركة محافظة عسكرية (اقتحامية) بروتستانتية ، بدأت فى أمريكا الشمالية ١٩١٠ ، كاعتراض على الميول المعاصرة ، وتؤكد على ٥ أو ٧ عقائد أساسية ، كأصول للمسيحية : الوحى اللفظى المعصوم للكتاب المقدس ، الميلادى العذرى ،

معجزات المسيح ، البعث ، فساد الإنسان الكامل ، كفارة المسيح عن البشر ، مجيء المسيح الثاني قبل الألف سنة .

الأصوليون :

إنجيليون ، عادة ألفيون أو تدبيريون ، يؤمنون بعصمة الكتاب المقدس ، يعارضون المعاصرة ، والليبرالية ، والمسكونية . وكل من ينتمي إلى طوائف تحمل عقائد أصولية ، في الولايات المتحدة الأمريكية ، يقدر عددهم ب ٤٠ مليون شخص (١٩٨٠) ، ومنهم ٤٠ ٪ (١٦ مليونا) ألفيون .

الألفي :

من يؤمن بالألفية (حكم المسيح للأرض ألف سنة كاملة).

الألفية :

عقيدة حدوث ألفية أرضية ، من ألف سنة من السلام العالمي ، وإنتصار الخير .

التدبيرية :

الانتماء أو الدعوة لنظام مستقبلي قبل ألف سنة بتفسير التاريخ من خلال سلسلة من تدبيرات الله ، أو سبع مراحل للتاريخ ، خلالها تسيطر رؤية إلهية محددة على شئون الإنسانية .

التجديد الكاريزماتي :

التجديد الخمسيني ، أو الخمسينية الجديدة ، أو حركة الإحياء داخل الكنائس الرئيسية البروتستانتية والإنجليكان والكاثوليك والأرثوذكس . وتتميز بالشفاء المعجزي والتكلم بالألسنة ، والرؤى ، وغيرها .

* ويستخدم مصطلح الألفية للاشارة إلى المؤمنين بالملك الألفي ، وهو المعنى الذي نستخدمه في البحث الحالي. ويستخدم أحيانا للإشارة إلى المؤمنين بأن عليهم أن يحققوا الملك الألفي بأنفسهم ، وهو الاعتقاد الذي تشير له هذه الدراسة، بتعبيرات ، المسيحية الصهيونية السياسية ، ولاهوت السلطة ، عامة فإننا نستخدم تعبير الأصولية الصهيونية للمؤمنين بهذه الفكرة .

أما الألفية التدبيرية ، فهى تشير إلى المؤمنين بالملك الألفى ، ولكنهم يؤمنون بأن هذا الملك سوف يتحقق بفعل تدبير الله وحده ، دون سلوك المؤمنين أنفسهم. وعادة ما يؤيد التدبيرين علامات قيام الملك الألفى ، مثل قيام دولة إسرائيل ، ويصبح موقفهم مؤيدا ، ومساعدا ، أو على الأقل غير معارض ، لعلامات قيام الملك ، لكنهم لا يؤمنون بأنهم هم الذين سيقيمون الملك بأنفسهم . والأتجاه التدبيرى ، ليس انعزاليا ، بل تبشيرى وسياسى وإجتماعى ، أى أن التدبيريين لاينعزلون عن الحياة ، وهو الوضع المميز لهم بدءا من الستينات من القرن العشرين .

من جانب آخر ، فإن الإنعزاليين ، هم التدبيريون ، ولكن حسب النمط الذى ظهر فى بداية القرن العشرين . وهم يؤمنون بالملك الألفى ، ويؤمنون بأن الله سوف يحققه دون تدخلهم . والاتجاه الانعزالى ، يظهر بصورة أوضح لدى بعض الفرق التى تنعزل عن الحياة تماما ، انتظارا للملك الألفى ، وهو ما يمثل التدبيرية المنعزلة فى أشد صورها .

* هناك بعض التصنيفات الأخرى ، التى لها علاقة بتيارات الحركة الأصولية ، ولكننا لا نستخدمها فى البحث ، منعا للتعقيد والتداخل ، ولأن أهميتها محدودة بالنسبة لموضوع هذا البحث ، ولكن على القارىء أن يعرفها ، كخلفية تساعد على فهم الظاهرة ، ومنها :

١- الأصولية البعد - الألفية : وهى أن يسوع المسيح سوف يعود للأرض ، بعد أن يحكم المؤمنون العالم لمدة ألف عام . حيث يقدم البعض نوعا من لاهوت السلطة، ولكنه لا يعنى أن المؤمنين سوف يحققون الملك الألفى بأنفسهم ليعود المسيح ويحكم العالم لمدة ألف سنة ، بل يعنى أن المؤمنين سوف يبنون ملكا مسيحيا أرضيا ، لمدة ألف عام ، يحكمون خلالها العالم ، ثم يأتى المسيح بعد ذلك . حيث يحدث ذلك ، من خلال التحول التدريجى للنظام العلمانى نحو الثيوقراطية (الحكم الدينى) ، ويستخدم الكتاب المقدس ، خاصة العهد القديم فى هذه الحالة ، كمصدر أساسى للتشريع والقيم والأخلاق ، ومن هذه التشريعات منع الإجهاض والشذوذ الجنسى ، وتحريم الديون طويلة الأجل ، ومنع الضرائب ،

وغيرها .

٢- الأصولية القبل - الألفية : وهى أن يسوع المسيح سوف يعود للأرض ليبدأ حكم الأرض بنفسه لمدة ألف عام ، وهى - كماسبق و أشرنا - إما سياسية تعتمد لاهوت السلطة ، فيقوم المؤمنون بتنفيذ الخطوات الممهدة بأنفسهم ، أو تدبيرية حيث ينتظر المؤمنون حدوث الملك الألفى ، ولكن مع مساعدة وتأييد علاماته (ومنها إسرائيل) ، أو تدبيرية إنعزالية ، حيث ينتظر المؤمنون انتظارا سلبيا تاما ، ينحصر فى الصلاة دون أى دور إيجابى. كذلك فإن المؤمنين بالقبل ألفية (عودة المسح قبل الألف سنة السعيدة) يمكن تصنيفهم إلى :

أ - من يؤمن ، بأن المؤمنين سوف يعيشون فترة السبع سنوات الحرب (الحرب العالمية الثالثة فى هرمجدون) ، قبل عودة المسيح .

ب - من يؤمن بأن المؤمنين سوف يختطفون إلى السماء ، قبل فترة السنوات السبع الحرب ، ثم يعودون بعدها ليعيشوا فى المملكة التى يحكمها المسيح لمدة ألف عام .

* وكى نستطيع التعامل مع الظاهرة ، موضوع هذا الكتاب ، سوف نحدد المجال والمصطلحات التى نستخدمها خلال السياق التالى ، حيث نسمى الظاهرة العامة بالحركة الأصولية ، وهى تشمل كل الأصوليين و الإنجيليين و الألفيين ، حسب التعريفات السابقة، ولكن دون أن تعبر بدقة عن الإنجيليين المجلسيين وهم الجناح المعتدل من الحركة الأصولية (الإنجيلية) وهم أيضا بمثابة اليسار الإنجيلى ، حسب تسميتهم لأنفسهم .

الحركة الأصولية التى ندرسها فى هذا الكتاب ، نصنفها إلى :

١- الحركة الأصولية التبشيرية ، وهى تشمل الجسم الأكبر للحركة الإنجيلية ، وهو الإنجيلية المحافظة .

٢- الحركة الأصولية الاقتحامية وتشمل التيار المتشدد داخل الحركة الانجيلية ، غير المؤمن بالملك الألفى ،.وهو تيار يصعب تحديده ، حيث أن عقيدة الملك الألفى سيطرت على معظم الأصوليين .

٣- الحركة الأصولية الصهيونية ، وهى الأصولية المؤمنة بالملك الألفى ، وعودة المسيح، بعد عودة اليهود ، وهى التى تمثل الدعم الأقوى لإسرائيل . برغم أن كل المنتمين للحركة الأصولية عامة يؤيدون إسرائيل، إلا أن الأصولية الصهيونية، تؤيد إسرائيل ، باعتبارها تحقيقا لنبوءات كتابية مستقبلية ، تدور حول عودة المسيح ليحكم الأرض ألف عام ، وتنقسم الأصولية الصهيونية إلى :

١- التدبيريون ، أو الإنتظاريون ، أو الإنعزاليون ، وهم المؤمنون بالملك الألفى ، وينتظرون تحقيقه ، حيث يؤمنون بتدبير الله ، وأنه هو الذى سيحقق الملك الألفى ، وما عليهم إلا الانتظار ، وعدم إجراء فعل يعارض أو يعيق تحقيق الملك الألفى . وبعضهم ينعزل عن الحياة ، وأخرون يقومون بدور سياسى ، ومنهم من يؤيد إسرائيل .

٢- الألفيون السياسيون ، أو لاهوت السيطرة ، أو الصهيونية السياسية ، وهى الإيمان بالملك الألفى ، والإيمان بأن على الألفيين تحقيق الملك الألفى بأنفسهم ، أى تحويل العقيدة إلى برنامج عمل سياسى .

والعلاقة بين هذه التيارات واضحة ، فالأصولية التبشيرية (الحركة الإنجيلية) هى الاطار العام ، وفى قلبه الحركة الأكثر تشددا ، وهى الأصولية الاقتحامية (الأصولية) ، ثم فى المركز الحركة الأكثر تطرفا ، وهى الأصولية الصهيونية (الألفية) . وعبر كل هذه التصنيفات تنقسم كل فئة ، إلى إنجيليين (اصوليين) كاريزماتيين ، وإنجيليين غير كاريزماتيين . حيث يؤمن الكاريزماتيون بالمواهب المعجزية ، وشفاء المرضى ، والتكلم بلغات غريبة (الألسنة) . وهم يمثلون الجيل الجديد من الحركة الخمسينية .

* ترجع عقيدة الملك الألفى ، إلى ١٥٠ سنة ، حيث ظهرت فى منتصف القرن التاسع عشر تقريبا ، وقبل ذلك لم يكن لها إلا وجود محدود وإطار لاهوتى ضعيف .

*تمثل الأصولية، حركة تتجه إلى إقامة مملكة الله على الأرض، وهذه المملكة هى:

١- مملكة تقام بالتبشير ، فيصير العالم كله للمسيح ، ويصبح كل سكان العالم مسيحيين ، وهو ما يمثل فكر الأصولية التبشيرية (الحركة الإنجيلية) .

٢- مملكة تقام على الأرض ، ويحكمها المسيح ، لمدة ألف عام ، سواء بتدبير الله فقط ، أو بعمل المؤمنين أيضا ، وهو ما يمثل فكر الأصولية الصهيونية (الألفية التدبيرية والسياسية) .

* تتحرك فصائل الحركة الأصولية ، التبشيرية والصهيونية ، نحو السيطرة على العالم ، ليكون العالم كله للمسيح ، أو ليحكم المسيح العالم كله . وحول هذه النقطة تدور الدراسة الحالية ، عن خطة السيطرة على العالم ، لنكتشف أبعادها ، وأركانها ، ونطرح تساؤلات حولها ، فهل هى عمل وعظى بحت ، أم أنها عمل سياسى ؟ وهل هى خطة ليكون العالم كله للمسيح ؟ أم ليكون العالم كله لأمريكا ؟ وبدون وضع استنتاجات حادة ، نحاول التعرف على أهم جوانب الحركة ، كى يتاح للقارىء أن يعرف ، ويستنتج .

* إن بعض الإحصاءات لازمة ، لأنها تبين حجم الظاهرة ، مع الوضع فى الاعتبار صعوبة الإحصاء ، والدقة النسبية لمختلف الإحصاءات . ومن الأرقام المنشورة المهمة ، عن موسوعة العالم المسيحى[٢] ، ما يلى :-

١- الإنجيليون (الأصوليون) فى العالم ، بمختلف تياراتهم ، ١٠٠ ١٥٧ ٢٤٠ نسمة ، وذلك فى سنة ١٩٨٥ ، وفى سنة ٢٠٠٠ ، يتوقع أن يصل عددهم إلى ٣٤٣٥٥٤٣١٠ .

٢- الإنجيليون (الأصوليون) فى أمريكا ، بمختلف تياراتهم ، ٧٤٧٢٨٠٠٠ فى سنة ١٩٨٥ ، ومتوقع أن يصل عددهم فى سنة ٢٠٠٠ إلى ٩٣٥١٥٠٠٠ .

وعن موسوعة «عملية العالم»[٣] ، الصادرة عن مؤسسة «تحريك العملية»[٤] الأصولية، فإن:

١- تعداد الإنجيليين (الاصوليين) فى العالم ، فى عام ١٩٨٥ ، كان ٢٤٥٤٥١٠٠٠ نسمة .

٢- تعداد الإنجيليين (الاصوليين) فى أمريكا ، فى عام ١٩٨٥ ، كان ٦٦٨٥٢٠٠٠ نسمة ، وتقدر الموسوعة عدد المنتمين للجماعات الأصولية (المجموعات الإنجيلية الأكثر تشددا) ب ١٠ ملايين نسمة .

الأصولية والإنجيلية :

فى دراسة التيارات الدينية المتشددة ، تستخدم تعبيرات مثل الأصولية(٥) ، والإنجيلية(٦) ، والتفرقة بين هذه التعبيرات ليست بالأمر الهين ، ولكن الأهم ، هو موقع الحركات المختلفة من بعضها . ففى الأدبيات الأمريكية ، تختلف الأصولية عن الإنجيلية ، فما هى العلاقة بين هذه الحركة وتلك ؟

أولا ، علينا أن نلاحظ حدود كل مفهوم . فالإنجيلية ، هى التشديد الروحى والمحافظة العقائدية ، والسلفية الدينية . أما الأصولية ، فهى بتعبير بسيط الإنجيلية العسكرية ، الأكثر تشددا والأكثر حرفية فى التفسير ، والتى تعتبر الكتاب المقدس ، دستوراً وافيا للحياة والتاريخ والمستقبل .

فالإنجيلية – إذن - هى الإطار الاعم ، لليمين المحافظ المسيحى المتشدد . وفى قلب هذا الإطار ، تقع الأصولية ، باعتبارها التوجه الأكثر تشددا ، والأميل للعسكرية، أى الأميل للحلول العنيفة ، والمواقف القاطعة ، والأميل كذلك لحسم كل الصراعات ، بدون حوار أو تنازل . ولكن قلب القلب ، أى فى قلب الأصولية ، تقع الأصولية الصهيونية (الألفية) ، باعتبارها أعلى درجات التشدد والحرفية ، وآخر المطاف فى العقائد المتطرفة . والأصولية الصهيونية ، تضيف إلى كل عقائد الإنجيلية والأصولية ، عقيدة عودة المسيح للأرض ، بعد عودة اليهود ، وبناء هيكل سليمان ، وقيام حرب بين الخير والشر ، لكى يحكم المسيح الأرض لمدة ألف عام . والأصولية الصهيونية تقع فى القلب من هذه الحركات ، لأنها لم تعد إنعزالية سلميه ، مثل ألفية نهاية القرن التاسع عشر ، بل أصبحت سياسية إيجابية ، تحاول العمل على تحقيق الملك الألفى بنفسها .

وفى هذه الدراسة ، نسمى الظاهرة فى مجملها بالأصولية ، وهى تشمل الإنجيلية والأصولية الصهيونية ، بالمعانى السابقة . والسبب وراء ذلك ، أن الدور القيادى للأصولية الصهيونية داخل الحركة ، أكبر من دور الأصولية ، ودور الأصولية أكبر من دور الإنجيلية ، أى أن قيادة الحركة تقع فى قلبها أكثر من إطارها العام ، هذا بجانب أن تسمية الأصولية هنا ، هى تسمية وتصنيف علمى ، وبهذا المعنى فإن

الإنجيلية والأصولية الصهيونية ، هى علميا أصولية ، والفرق بينها فى العقائد الخاصة بكل تيار .

وبالنسبة للبحث الحالى ، فإن تسمية الحركة كلها ، بالحركة الأصولية ، له معنى آخر ، فهذه الحركة تهدف إلى الإستيلاء على العالم ، لكى يصبح العالم كله للمسيح، سواء بالتبشير السلمى (الانجيلية) أو التبشير الاقتحامى (الأصولية) أو الحرب العالمية النووية ليبدأ حكم المسيح (الأصولية الصهيونية). فبرغم اختلاف مضمون الهدف ، فإن المستهدف واحد ، وهو العالم .

الأصولية : حركة أم طائفة :

إن الأصولية المعاصرة ، هى حركة ، أكثر من كونها كنيسة أو طائفة . ولكن ذلك صحيح ، فى حدود شكلها الرسمى . فهى حركة نبعت فى بيئة إجتماعية ، وبين بعض الأفراد ، وليس حركة خاصة بكنيسة أو طائفة معينة . وبرغم وجود كنائس أصولية ، مثل الكنيسة المعمدانية الجنوبية فى أمريكا إلا أن الحركة تضم الكنائس، لا الكنائس تضم الحركة . فلقد ظهرت الحركة ونمت كتيار مستقل عن كل الكنائس، يضم هيئات وتنظيمات ، واستطاع أن يضم كنائس أو طوائف .

فالشكل الأساسى للحركة الأصولية ، هو الهيئات والمنظمات الموازية للكنيسة. فهذه الهيئات أنشئت فى أمريكا بإعتبارها هيئات لا تهدف للربح، ولها نشاط دينى وإستطاعت هذه الهيئات، أن تفرض سلطتها ، وتمد نشاطها، حتى خلقت لها شعبية ضخمة، توازى أى كنيسة ، أو طائفة . وهذه الصيغة ، جعلت للحركة حرية أكبر فى التعامل مع الواقع ، كما جعلت لها العديد من الأوجه ، والنشاطات ، والإتجاهات .

لهذا فإن الحركة الأصولية ، لم تعان بعد من مظاهر المؤسسة. وهى مظاهر لها سلبيات ، كما لها إيجابيات. ومن سلبياتها النزعة البيروقراطية ، والميل إلى الاستاتيكية ، ومحدودية القدرة على الحركة والفعل ، أما إيجابياتها ، فتتمثل أساسا فى وجود تنظيم عام . فالمؤسسة لها تنظيمها ، الذى يجعل كل نشاطها منصبا فى إتجاه واحد . لذلك فإن الحركة الأصولية المعاصرة ، مازالت غير قادرة على تجميع كل قواها فى إتجاه واحد . كذلك فإن مؤيديها ينقسمون فيما بينهم فكريا ، وكل

جماعة تؤيد هيئة أو قائدا . فالقوة الكبيرة للحركة الأصولية موزعة عبر هيئات ورموزها .

مع ذلك ، فإن الحركة الأصولية استطاعت أن تخلق من نفسها طائفة ، في الواقع الفعلى والجوانب العملية . ولكنها ليست طائفة مؤسسة لها نظام ، بل هى طائفة ممثلة فى تحالف الهيئات والقيادات الأصولية ، وممثلة أيضا فى عشرات التنظيمات الرابطة بين هيئات وقيادات الأصولية ، وممثلة كذلك فى العلاقات القوية بين تلك الهيئات ، والتداخل فى دور القيادات ، التى غالبا ماتعمل فى أكثر من هيئة فى نفس الوقت . وإن كان هذا الإطار لايمنع من وجود تنافس قوى بين الهيئات والقيادات ، وهو التنافس الذى يضر مسار الحركة فى أحيان كثيرة .

وإذا كانت الحركة قد استطاعت تكوين تحالف قوى بين عناصرها ، خاصة فى مواجهة أهدافها العامة ، وأعدائها المشتركين ، فإنها استطاعت خلق إحساس بالهوية الطائفية لدى أتباعها ، وهو يعد الإنجاز الأهم والأخطر خاصة ، وان أتباع الحركة الأصولية موزعون على الطوائف المسيحية المختلفة، وموزعون أيضا فى معظم الكنائس . لذلك ، فإن خلق هوية طائفية لهؤلاء الاتباع ، يعنى أن الأصولى أصبح له هويتان ، هوية تنتمى للكنيسة التى يتعبد بها ، أو التى يسجل فيها اسمه كعضو رسمى بها وهوية تتبع إنتماءه العقائدى الأساسى ، نحو الأصولية ، وتزداد أهمية هذه النقطة ، بسبب قوة الإنتماء إلى الأصولية كتيار ، عن الانتماء إلى أى طائفة أو كنيسة . فالأصولى ، إذا ما خير ، سوف يضحى بانتمائه الكنسى أو الطائفى ، ليحفظ لنفسه انتماءه إلى الأصولية .

«فالمعنى الجوهرى للإنجيلية (الأصولية) كطائفة ، يظهر من خلال حقيقة أن اليوم بين البروتستانت ، أصبح الخط الفاصل بين الإنجيلية وغير الإنجيلية ، أكثر دلالة من التمييز التقليدى بين الطوائف»(٧) .

إن هذه العبارة البليغة ، من أحد الأصوليين ، وهو جورج مارسدن ، مؤرخ الحركة الأصولية ، تشير إلى أن السؤال التقليدى قد تغير ، أو أضيف له سؤال أخر. فبعد أن كان السؤال عن الطائفة ، يفرق بين الكاثوليك و الأرثوذكس

والبروتستانت ، أصبح السؤال الأهم داخل الطائفة الواحدة ، يفرق بين الأصولى وغير الأصولى ، وبتعبيرات مختلفة ، منها " المولود ثانية " وغير المولود ثانية ، المخلص وغير المخلص ، الممتلىء بالروح القدس وغير الممتلىء بالروح القدس ، الكاريزماتى المؤمن بالمواهب المعجزية وغير الكاريزماتى .

وهذه التصنيفات الجديدة ، خلقت محكا تصنيفيا جديدا ، له أهمية فى التفرقة بين المسيحيين حسب العقيدة . وهنا أصبح الإنتماء الطائفى التقليدى أقل أهمية. وإن كان لذلك التصنيف الجديد دور ، فهو إضعاف الانتماء الطائفى التقليدى ، لحساب الانتماء للأصولية ، أو الانتماء لأعدائها أى التقليدية والليبرالية واليسارية . وبهذا تستطيع الحركة الأصولية ، أن تزداد قوة ، على حساب الطوائف التقليدية .

جذور الصهيونية المسيحية :

إن قصة العلاقة بين المسيحية واليهودية تعود فى جذورها إلى عهد يسوع المسيح نفسه . ولذلك فمحاولة تتبع جذور هذه العلاقة ، تخرج عن أهداف البحث الحالى . ويكفى أن نلقى الضوء على جذور الصهيونية المسيحية المعاصرة ، والتى ترجع إلى القرن السابع عشر . فبعد قيام حركة الإصلاح البروتستانتى فى القرن السادس عشر ، بدأت حركة قوية لإعادة إكتشاف الفكر المسيحى الكتابى (العهد القديم والجديد) . ومن خلال النظرة الروحية الخلاصية لمارتن لوثر ، بدأ ظهور النزعة التشددية المحافظة . وكانت البدايات على يد جون كلفن ، الذى تميز بموقف دينى شديد المحافظة .

ولكن الحركة البروتستانتية ، ليست حركة طائفة واحدة ، أو شخص واحد ولكنها العباءة العامة ، التى تضم كل التيارات غير الكاثوليكية ، أى كل التيارات التى ترفض الكهنوت ، كما ترفض أى مصدر للفكر الدينى ، مثل كتابات الآباء والقديسين، عدا الكتاب المقدس. ولهذا ، فإن تاريخ الحركة البروتستانتية ، يحدثنا عن قيام العديد من المذاهب و الطوائف ، التى يجمع بينها الموقف العام (اللاكهنوت، والكتابية) ، ويفرق بينها مضمون رؤيتها العقيدية .

وفى قلب الحركة البرتستانتية ، تظهر اللوثرية وحركة الإصلاح المشيخية (جون

كلفن) ، وهما العمود الفقرى للبروتستانتية ، أى هما الممثل الفعلى للبروتستانتية بمعناها الضيق.. ولكن ، ومع حركة الإصلاح البروتستانتى ، ظهر تياران جديدان . التيار الأول ، وهو ما يمكن تسميته بتيار جماعة المؤمنين ، وقد ظهر فى القرن السادس عشر معاصرا لمارتن لوثر وجون كلفن . وهذا التيار تمثل فى حركة المناصرين للمعمودية ، ويمتد داخل الكنيسة المعمدانية والمينونيت وغيرهما . أما التيار الثانى ، فقد ظهر فى فترة لاحقة ، حوالى القرن السابع عشر وهو تيار الأطهار ، ويمتد داخل الكنيسة الرسولية والخمسينية ، وغيرهما .

والتيار الأول ، قام من خلال التشدد الأصولى ، على فكرة الجماعة المؤمنة المتساوية ، والمترابطة ، أى الصفوة المؤمنة . أما التيار الثانى ، فقام على الفكرة الروحية الخلاصية ، والقدرات المعجزية للمؤمن. وكلا التيارين ، خرج من عباءة الفكر البروتستانتى للوثر وكلفن ، ولكن كلاهما تميز ، ومنذ جذوره الأولى ، بالأصولية . وهنا خرج الفكر الأصولى المعاصر ، وما يعنيه من حرفية مطلقة فى تفسير الكتاب . ومن خلال هذه الحرفية ، أعيد مرة أخرى ، تفسير الكتاب المقدس ، بعهدية القديم (التوراة) والجديد (الأناجيل) ، بعد أن أصبح متاحا للجميع ، بفعل الرعيل الأول للحركة البروتستانتية . وفى هذه المرة كان التفسير الجديد أصوليا ، يركز على تنبوءات العهد القديم والعهد الجديد . وهكذا ظهرت مفاهيم شعب الله المختار ، وعودة اليهود الحتمية ، والملك الألفى .

وفى القرن السابع عشر ، ومع تزايد دور حركة الأطهار ، داخل إنجلترا ، أصبحت تعبيرات مثل شعب الله المختار ، وغيرها ، أمرا شائعاً . وتعد إنجلترا المعقل الأول للأصولية المسيحية ، منذ القرن السابع عشر ، فى حين أن أمريكا هى المعقل المعاصر للأصولية ، ومنذ نهايات القرن التاسع عشر .

ولنا أن نتوقع دور الحركة الأصولية ، فى إنجلترا وأمريكا . وهو دور واضح التأثير حتى يومنا هذا ، ومع نهايات القرن العشرين . فالحركة الأصولية فى إنجلترا (حركة الأطهار) أعادت قراءة الكتاب المقدس ، وأحيت التفسيرات الحرفية ، مما ساعد على الربط بين اليهود والمسيحيين فى المصير والتاريخ . فعندما ينادى

الأصوليون الأطهار بعودة اليهود ، فإن هذه العودة تعني التطبيق الحرفى لنبوءات العهد القديم ، بإعتبارها مازالت قائمة ، وإن كان الأطهار لم يؤمنوا بالملك الألفى . وهذا ما يفسر لنا، لماذا خرجت الدعوات الأولى لتأييد اليهود من إنجلترا ، ولماذا كانت إنجلترا هى الحامى الأول لدولة إسرائيل الصهيونية . كذلك ، ما سبق يفسر لنا أيضا ، لماذا أصبحت أمريكا ، هى المؤيد الأول والحامى الأول ، لدولة الإحتلال الصهيونى . فكل من إنجلترا وأمريكا ، قامتا فى تاريخهما على جذور أصولية ، وكل منهما قاد الحركة الأصولية المسيحية على مستوى العالم (إنجلترا فى القرن السابع عشر ، وأمريكا فى القرن العشرين) .

وإذا كان التعاطف الدينى مع اليهود ، قد ظهر فى القرن السابع عشر فى إنجلترا، فإن ذلك كان نتاج الفكر الأصولى الحرفى ، الذى جعل من اليهود شعباً مختاراً لله وحتى نهاية العالم . وفى ذلك الوقت ، بدأ ظهور المؤشرات الأولى لنظرية الملك الألفى ، التى ظهرت بعد ذلك بقوة لم يسبقها مثيل ، فى منتصف القرن التاسع عشر ، لتبسط نفوذها على الأصولية الأوربية ، ومن بعدها الأمريكية . وبعد ظهور نظرية الملك الألفى ، أصبح المسيحيون واليهود معا ، فى مصير مشترك ، فرجاء كل منهما يتحقق من خلال الآخر . والأغرب من ذلك ، أن اليهود أصبحوا طليعة الجماعة المسيحية المؤمنة ، برغم عدم إيمانهم ، لأنهم شعب الله المختار.

اليهودية تعود للمسيحية :

لقد كان موقف لوثر الأول ، المؤيد لتبشير اليهود ، عـــلامة حاسمة فـــى عـــودة العلاقة بين المسيـــحيين واليهود، بإعتـــبار اليهود مثلهم مثل غيرهم ، جزءا من غير المسيحيين . ولكن موقف لوثر تغير بعد ذلك ، وإتـــسم برفض اليهود ، بسبب عدم قبولهم للمسيحية ، إلا إن الكثير من التغييرات كـــانت تأخذ طريقها بالفعل . فخلال الإصلاح البروتستانتى(٨) (القرن السادس عشر) ، بدأت علامات على إعادة تهويد المسيـــحية ، بسبب إعادة إكتشاف بعض المفـــاهيم الـــكتابية العبرية. فـــلـــقد أكد المصلحون، على أهمية العودة إلى الكتاب ، كمصدر رئيسى وحيد للوحى المســـيحى .

فالإصلاح البروتستانتى ، أعاد المسيحيين للكتاب المقدس ، مما جعل العهد القديم (التوراة) مادة للقراءة و التفسير الدينى مرة أخرى . وفى هذه المدة ، كانت القراءة على أساس الإيمان الشخصى للمسيحيين لا على أساس التوجه الرسمى للكهنوت الكنسى . مما أدى إلى إعادة اكتشاف الجذور اليهودية للمسيحيين . ولكن ذلك لم يؤد إلى تهويد المسيحية خاصة فى التيارات البروتستانتية الأساسية . فقد أعيد اكتشاف للكتاب المقدس ، وأعيدت قراءة التوراة ، ولكن ذلك تواكب مع الفهم الروحى الإيمانى لكتاب المقدس ، الذى أكد أن الكنيسة هى شعب الله المختار كعقيدة ثابتة لدى التيارات البروتستانتية الأساسية خاصة اللوثرية ، والكلفينية المشيخية .

من جانب أخر ، علينا أن نلاحظ ، أن الحركة البروتستانتية عندما قدمت الكتاب المقدس لكل مسيحى ، أعطت الفرصة لفتح السفر المختوم ، وهو سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى ، أحد أسفار العهد الجديد. وهذا السفر ، كان يعد مختوما أى مغلقا ، لا يقرأ ولا يفسر من قبل الكنيسة الكاثوليكية . وهذا السفر ، يمثل الآن الأساس الأكثر تفصيلا ، لنظرية الملك الألفى . ومع ذلك فإن هذه النظرية لم تظهر للوجود ، إلا فى منتصف القرن التاسع عشر ولم يؤمن بالملك الألفى ، إلا بعض فرق البروتستانت ، دون التيارات الرئيسية البروتستانتية ، اللوثرية والمشيخية .

أما عن ظهور التهويد للمسيحية فقد كان ملازما لحركة الأطهار ، التى ظهرت فى إنجلترا . حيث رأى الأطهار أن أمريكا ، هى بالنسبة لهم ، أرض الميعاد الجديد، وأنهم الكنعانيون الجدد . لذلك ، كانت الهجرات الأولى للأطهار ، تحمل معها نزعة عبرية ، ظهرت فى الحضارة الأمريكية الأولى ، التى بنيت على أصولية مسيحية يهودية التراث ، أى على فكر الطهار . واستمر هذا التراث اليهودى ، مؤثرا لمدة ١٥٠ عاما ، بعد وصول المهاجرين الأطهار الأوائل ، إلى الأرض الجديدة ، أمريكا . وظهرت بدايات هذه النزعة ، مع الأطهار فى إنجلترا ، فى القرن السابع عشر حيث أعاد الأطهار إكتشاف التراث اليهودى، واهتموا باللغة العبرية. لذلك ، نجد فى كتابات السياسيين الإنجليز ، ومنذ القرن السابع عشر ، الكثير من التعاطف مع اليهود ، كما نجد دعوة لإعادة اليهود إلى فلسطين. ولكن هذه الدعوة ليست على

أساس الملك الألفى ، وما يشمله من حتمية عودة اليهود إلى فلسطين حتى يأتى المسيح ، بل على أساس أن فلسطين هى الأرض التى عاش فيها اليهود زمن المسيح وقبله كما جاء فى الكتاب المقدس. فحركة الأطهار لا تؤمن بالملك الألفى . وهذه الحركة ، خرجت أساسا من الكنيسة الإنجليزية ، وهى الكنيسة الإنجليكانية أو الأسقفية . والكنيسة الأنجليكانية هى الكنيسة الكاثوليكية فى إنجلترا ، والتى إنفصلت عن روما إبان عهد الملك هنرى الرابع. ويلاحظ أن الكنيسة الإنجيلكانية، أخذت الكثير من البروتستانتية ، حتى أصبحت حالة وسط بين الكاثوليكية والبروتستانتية.

وفى بداية نشأة أمريكا ، قامت المؤسسات التعليمية ، على أسس من التراث اليهودى ، وهى تلك المؤسسات التى أنشأها الأطهار . ومنها الجامعات الأمريكية الكبرى ، وعلى رأسها جامعة هارفارد و التى أنشئت فى عام ١٦٣٦ ، لتصبح بذلك أقدم جامعة أمريكية .

ولكن مناهج التعليم ، فى هذه الجامعات قد تغيرت تماما ، ولم تعد العبرية والتراث العبرى ، مواد أساسية . فقد أهملت هذه الموضوعات ، وإختفت الميول العبرية من مناهج التدريس ، ولم يعد الطالب يدرس تاريخة وكأنه إمتداد للتراث العبرى اليهودى . فقد أصبحت هذه الجامعات ، علمانية النزعة (٩) ، ولم يعد لها دور دينى برغم نشأتها الرئيسية الأولى .

ولكن أمريكا المعاصرة ، بدأت تعود للبحث عن جذورها العبرية . فى محاولة للبحث عن هوية خاصة ، ممتدة عبر التاريخ ، وكجزء من أزمة الهوية ، التى عانتها أمريكا فى الستينات . كذلك فإن انتصار إسرائيل فى عام ١٩٦٧ ، مقارنة بهزيمة أمريكا فى فيتنام ، جعل المسيحيين يعيدون البحث عن أصولهم العبرية حتى يلتصقوا بالشعب المنتصر ، لأنهم فسروا انتصار اليهود على أنه عون من الله ، وفسروا هزيمتهم فى فيتنام على أنها عقاب من الله ، وأنها دليل على أن الله ليس معهم. لذلك ، يحاول الأصوليون الأمريكيون اليوم الالتصاق باليهود ، كشعب مختار لله، لكى يناولوا تأييد الله لهم .



هوامش الفصل الأول :

(١) Barrett, D. World christion encyclopedia. Oxford : Oxford University Press, 1982.

(٢) المرجع السابق .

(٣) Johnstone, P. Operation World. Englad : STL, 1986.

(٤) Operation Mobilization

(٥) Fundamentalism

(٦) Evangelicalism

(٧) Marsden, G. The evangelical denomenation. In G. Marsden (Ed) Evangelicalism and modern America. Michigan : Eerdmans, 1984.

(٨) Wilson, M. R. Our father Abraham. Michigan: Eerdmans, 1989, p. 127.

(٩) المرجع السابق .

الفصل الثانى

الطريق إلى البيت الأبيض ...

فى فترات كثيرة ، أختلط الفكر الأصولى الدينى ، بالفكر السياسى . وجاء النتاج مختلفا عن الأصولية الدينية فى صورتها النقية . فالفكر الأصولى المسيحى ، ينقسم من حيث موقعه تجاه نظرية الملك الألفى ، وعودة اليهود ، شعب الله المختار . فبعض التيارات (الكنائس) الأصولية ، مثل المعمدانية والأخوة وغيرهما ، يؤمنون بالملك الألفى . والبعض الآخر مثل تيار القداسة (جون وسيلى) ، لا يؤمن بالملك الألفى ، وهو التيار الذى يظهر فى كنيسة الميثوديث (المنهجيين) ، والتى أصبحت الآن فى أمريكا ، ضمن القوى المسيحية الليبرالية .

وفيما يخص التيار الأصولى ، المؤمن بالملك الألفى ، فإن أصل الفكرة و فى صورتها الدينية النقية ، أن تاريخ العالم يتجه بفعل الحتمية العقائدية ، التى وضعها الله ، وأعلنها للمؤمنين فى النبوءات ، إلى نهايته ، والتى ستحدث عند تجمع اليهود من الشتات فى فلسطين ، وقيام معركة (عالمية) بين قوى الخير والشر ، ويعود المسيح لتنتصر قوى الخير ، ويقيم مملكته على الأرض. وقبل هذه الحرب، فإن المسيح سوف يأتى ليختطف المؤمنين المسيحيين ، ويصعد بهم إلى السماء ، ثم يعودون مرة أخرى إلى الأرض بعد انتهاء الحرب .

والمهم فى هذه الرؤية ، بصورتها الدينية ، أن عودة اليهود ، ليست وصية أو مطالبا من الله إلى المؤمنين ، أى أن المسيحيين غير مطالبين بالعمل لعودة اليهود . فحسب الفهم الدينى النقى ، فإن هذا سيحدث ، بفعل إرادة الله فقط ، وحسب مشيئته . إذن فالعودة ، وزمانها ، محدد فى علم الله فقط . وأيضاً فإن عودة اليهود، هى فى الأصل ، عودة يهود بنى إسرائيل ، الذى جاء لهم الأنبياء والرسل فى العهد القديم، أى أنها عودة السلالة النقية الباقية من يهود العهد القديم . ولا يستطيع أحد

أن يحدد الآن ، من هم يهود العهد القديم ، بل أن معظم الترجيحات تشير إلى أنهم ليسوا الأوربيين (الإشكانزيم) . في حين أن هؤلاء اليهود ، هم الذين يقودون الحركة الصهيونية منذ بدايتها ، وكذلك هم الذين يحكمون دولة الاحتلال الاسرائيلي .

بهذا المعنى ، فإن الإيمان بالأصولية المسيحية ، التي تعتقد في نظرية الملك الألفي ، لا يعني إلا إنتظار المؤمنين لحدوث الملك الألفي وقيامه ، دون أن يكون لهم دور في ذلك . بل وأكثر من هذا ، فإن هذه الرؤية في صورتها الدينية الصرفة ، لا تتيح تحديد الزمان الذي سيحدث عنده الملك الألفي . وهذا الموقف الأصولي الديني غالبا ما يؤدي إلى حركات إنعزالية ، إنتظارية ، حيث يغلب على المؤمنين به ، التركيز على الصلاة والتعبد ، على رجاء قدوم الملك الألفي وعودة المسيح، وأحيانا ما يؤدي ذلك إلى حركات تنعزل تماما عن الحياة ، خاصة عندما تتصور قرب مجيء المسيح ليقيم ملكه الألفي .

ولكن الصورة تتغير ، بالنسبة للأصولية السياسية ، فالموقف الإنتظاري يختفي والدور السلبي الإنعزالي ينتهي . وعبر تاريخ الحركة الأصولية ، سنجد فترات تتزايد فيها الأصولية السياسية ، وفترات أخرى تتزايد فيها الأصولية الإنعزالية . ويمكن أن نلمح موجة للأصولية السياسية ، في التاريخ الحديث ، في إنجلترا ، في القرن التاسع عشر ، وقرب نهايته . وهو ما ساعد كثيرا على تهيئة المناخ ، لقيام دولة إسرائيل . برغم أن الاصولية الإنجليزية ، في تيارها الأساسي ، كانت أميل للنظرية التي لاتؤمن بالملك الألفي ، بل تؤمن بحرفية أن اليهود شعب مختار ، وأن وطنهم فلسطين.

فوعد بلفور في عام ١٩١٧(١) ، خرج من وعاء الأصولية المسيحية السياسية ، أي الأصولية الصهيونية . وذلك من خلال المناخ الذي ساد في إنجلترا في القرن التاسع عشر ، مما أعد الشعب لتقبل فكرة إعادة اليهود ، وليس عودتهم بفعل إرادة فوق البشر . وهذه الأصولية السياسية ، أضيف لها الكثير من الأبعاد ، لأنها كانت سياسية و لأنها تصدر عن رجال سياسة . وهنا أختلط بالمفهوم الديني الاعتبار السياسي ، وما به من تحقيق مصلحة إنجلترا ، وإقامة إستعمار إستيطاني، داخل

الشرق الأوسط ، ليحفظ للقوى الإستعمارية دورها وهيمنتها .

وإذا كانت إنجلترا فى أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، تمثل ذروة للأصولية السياسية ، فإن الفترة اللاحقة لذلك ، كانت تمثل نهاية أصولية القرن التاسع عشر وما قبله ، وقيام تيار أصولى جديد ، يمتد بجذوره إلى عام ١٩١٠ وهذا التيار الجديد تميز فيما بعد بالانعزالية الواضحة ، والتراجع عن مكان الصدارة، مما أفسح المجال أمام القوى المسيحية الليبرالية واليسارية .

ويظل التيار الأصولى الوليد ، قابعًا منعزلا ، حتى تبدأ بذور تأسيسه فى أربعينيات القرن العشرين ، على يد الواعظ الأشهر بلى جراهام . وفى منتصف الستينات ، وبعد عام ١٩٦٧ على وجه الخصوص ، تبدأ الأصولية السياسية فى التفجر مرة أخرى ، لتصل إلى ذروتها فى الثمانينات ، وعلى يد رونالد ريجان ، خاصة . وفى دورات الأصولية بين الإنعزال والسياسة ، تختلف أمور كثيرة ، فى دورها وفكرها . ففى المراحل السياسية يتجه التيار الأصولى الألفى إلى تحقيق الملك الألفى بنفسه ، أو إلى المساعدة المباشرة لتحقيق هذا الملك ، كذلك ، فإن المرحلة السياسية ، تتميز عادة بظهور قوى الأصولية ، كقوة سائدة ، وتراجع قوى الليبرالية واليسارية ، فى الفكر المسيحى .

وفى تلك اللحظات ، التى تتميز بالتسييس ، فإن الأصولية تقيم معاركها مع التيارات الأخرى ، الدينية وغير الدينية ، وتفتح ميادين جديدة لها و عبر أرجاء المسكونة ، لتعيد الحلم الذى طالما راودها ، وهو الإستيلاء على العالم .

من الرفض إلى الاختراق :

منذ الجذور الأولى للحركة الأصولية الأمريكية ، فى بداية القرن العشرين ، كانت الحركة تمثل الاتجاه الخاص ، لا الاتجاه العام (٢) . ومن بعد أصبحت تمثل اتجاها خاصا سياسيا ، دون أن تكوّن إتجاها عاما ، والمعنى وراء ذلك ، أن الحركة الأصولية ، عزلت نفسها عن المجتمع والنظام السياسى، أى عزلت نفسها عن «العام»، لتشكل «الخاص» . وفى ذلك مؤشر واضح لرفضها للحياة الأمريكية العلمانية ، وللتوجهات الليبرالية اليسارية المسيحية ، التى تحالفت مع النظام العلمانى .

ولعل هذا الوضع يقدم لنا نموذجا للحركة الأصولية ، ذات النزعة العسكرية الواضحة ، التي تعمل وتنجح، لكن دون استخدام للعنف . فالحركة الأصولية الأمريكية ، لها موقف عسكري ، أو عدواني ، من التيارات والنظم التي تعاديها ، ولكنها لم تلجأ للعنف وذلك لأنها وجدت طريقا متاحا لها ، وبدون عنف .

وفي البداية ، قدمت الأصولية الأمريكية ، أفكارها في شكل قضايا عامة ، تتبناها ، وتأخذ فيها موقفا معاديا للعلمانية والليبرالية . وظهر ذلك واضحا ، في قضايا مثل ، الإجهاض والخمور وغيرهما . وبرغم القوى التي واجهتها الأصولية في النصف الأول من القرن العشرين ، إلا أنها إستطاعت أن تعيد مكانتها ، منذ ستينات القرن العشرين ، فبعد أزمة فيتنام ومقتل كيندي ، بدأت الليبرالية تمر بأزمة حادة في أمريكا . وفي هذا الوقت ، إستطاعت الأصولية أن تحرز نصرا ، من خلال إقترابها من البيت الأبيض ، عندما أصبح بلي جراهام ، مستشاراً للرئيس جونسون، ثم نيكسون(٣) .

ومنذ ذلك التاريخ تعلمت الحركة الأصولية ،كيف تصل لأهدافها ، دون عنف ، وبدون أن تصبح جزءا من البناء العام للمجتمع . وبهذا بدأت الحركة تقدم نفسها كبديل في الأزمات ، كذلك بدأت تقدم من رجالها ، رموزا وقيادات في داخل النظام نفسه . وعندما وصل جيمي كارتر إلى البيت الأبيض ، أصبح أول رئيس يؤكد أنه «مولود ثانية » ، أي أنه مسيحي أصبح أصوليا ملتزما .

من خلال هذا الاطار ، أصبح للحركة الأصولية الأمريكية ، نموذجها الأستراتيجي الخاص . وهو نموذج يعتمد على رفض الواقع العلماني الليبرالي ، وبدون تنازل عن رفضه . ولكنه أيضا يعتمد على زرع عناصر أصولية داخل النظام المستهدف ، حتى عندما تحين الفرصة ، يمكن اختراق النظام من داخله ، وطرح بديل جديد .

والمنطق هنا واضح ، فالاستراتيجية تعتمد الإنعزال فكريا وعقائديا ، والانخراط الشديد عمليا . وبالتالي تستطيع تحقيق أهدافها من خلال انخراط أعضائها البارزين في الحياة العملية ، وكذلك تستطيع الحفاظ على هدفها النهائي

وعقيدتها ، بالحفاظ عليها كبديل يظهر فى اللحظة المناسبة . وعندما تزايدت مشكلات النظام الأمريكى، بدأت الأصولية تأخذ طريقها . وعندما حققت بعض النجاح حتى سبعينات القرن العشرين ، دخلت فى مرحلة جديدة ، وهى مرحلة التوسع فى السيطرة على الدولة الأمريكية ، والذى ظهر بشكل واضح فى الثمانينات ، ومن خلال رونالد ريجان على وجه الخصوص . وهكذا ، أصبح التيار الأصولى ، من القوى الأولى فى صنع القرار السياسى الأمريكى .

المدرسة / المنزل ..!

فى عدد ١٩ فبراير عام ١٩٨٨ ، من مجلة «المسيحية اليوم» ، الناطقة باسم التيار المسيحى الأصولى ، خبر يسترعى الانتباه ، وربما الدهشة . حيث تقول المجلة: «المسيحيون فى شيكاغو إنتصروا فى الجولة الأولى فى حربهم ضد قرار من المسئولين عن المدارس ، يهدف إلى إعادة الأطفال الذين يتعلمون فى المنزل إلى فصولهم فى المدارس العامة» ، ولعل البعيدين عن المجتمع الأمريكى ، يدهشهم التعلم فى المنزل أو المدرسة المنزلية ، ولكنها أسلوب جديد ، فى مجتمع يتنافس على خلق أساليب جديدة . أما الأهم من ذلك ، فهو السبب وراء جعل المنزل مدرسة ، والمدرسة منزلا ، والسبب وراء ترك المدارس العامة برغم كفاءتها . أما الأكثر غرابة ، فهو دور المسيحيين فى ذلك ، بوصفهم مسيحيين ، فما علاقة الدين بهذه القضية ؟ وفى الأجزاء التالية للخبر ، نكتشف أن أولياء الأمور ، الذين يعلمون أطفالهم فى المنزل ، يحاولون جعل ذلك الوضع قانونيا، التعليم فى المنزل ، والأمتحان فى المدرسة ، وخلف هؤلاء تقف عدد من الهيئات المسيحية التى تدافع عن هذا «الحق» الجديد .

إن الأمر قد يبدو للبعض أنه صراع حول الحقوق ، والحريات ، ولكنه فى الواقع يتعدى ذلك ، إلى ما هو أكثر أهمية . فهجرة المدارس العامة ، وإنشاء مدارس خاصة، هو إعتراض صريح على الحضارة والنظام ، بل هو ثورة فعلية بكل المعايير الاجتماعية ، ضد نظام الدولة . فهذه الحركة (المدرسة / المنزل) هى تعبير عن رفض الأصوليين للتعليم داخل المدارس العلمانية ، أى أنه رفض لأساليب التنشئة غير الدينية ، وغير الأصولية . وبذلك يعد ذلك ، رفضا ضمنيا ، لأى حق للنظام السائد ، والحضارة الشائعة ، فى تعليم الأجيال الجديدة ، لقيمها ومبادئها

وأفـكارها .

هكذا تتضح الصورة ، فالنظام السائد فى أمريكا ، نظام علمانى ، وإن كان يمر بفترة تحول ، أو يعانى من إنتصارات حقيقية للأصولية ، من الشارع حتى البيت الأبيض ، إلا أن الدستور والنظام وأسلوب التعليم ووسائل الإعلام لم تتغير كلها بعد . وما حدث ، أن الدولة العلمانية الأمريكية ، ظهرت بجانبها ، وأحيانا بداخلها ، دولة أصولية أمريكية ، تقل عن الأولى فى القوة ، ولكنها قاب قوسين أو أدنى من لحاقها والإنتصار عليها .

مدرسة المنزل ، إذن ، مؤسسة موازية ، لمؤسسات الدولة ، تتبع الأصولية ، وتهدف إلى خلق جيل أصولى ، لا يتأثر بالعلمانية . فهى محاولة واضحة ، لسحب البساط من النظام والحضارة العلمانية . فنظام الدولة ، إذا حرم من خلق أجيال تنتمى له حضاريا ، أصبح إستمراره مهددا ، وبقاؤه ربما يكون مستحيلا ، فهل أصبحت العلمانية فى أمريكا ، مجرد حضارة عقيمة ، لا تنجب أجيالا جديدة ؟!

لقد أصبح من الواضح تاريخيا ، أن القناة التى تعبر الفشل للنجاح ، بالنسبة للحركات الدينية ، والقناة التى تعبر التأثير الدينى إلى الإجتماعى، فالسياسى، والقناة التى تتيح للخطاب الدينى ، أن يظل دينا ، ويؤثر سياسيا ، هى قناة التنشئة الاجتماعية ، وهى التربية والتعليم . ومن مدارس الأحد ، حتى المدارس الدينية ، ومدرسة المنزل ، تتعدد الأساليب التى تحاول بها الحركة أو الكنيسة ، أن تحكم سيطرتها على الجيل الجديد ، فتخرج جيلا وأجيالا منتمية لها أكثر من غيرها . إنها بحق صناعة جيل .

لهذا سنجد أن الحركة الأصولية فى أمريكا ، تخلق أتباعها ، لا فقط من خلال إقناعهم ، أو حتى إغرائهم ، ولكن أيضا من خلال صناعتهم منذ الصغر ، أى أنها تربى جيلها القادم . ومن خلال مدارس الأحد ، داخل الكنائس البروتستانتية الأصولية (المعمدانية الخمسينية ، وغيرها) ، والمدارس التى تنشئها الكنيسة ، ومدرسة المنزل ، يتاح للحركة أن تصل وتمتد ، لا فقط لجيل أبناء الأصوليين ، ولكن أيضا لأبناء التيارات الأخرى .

وبهذا النموذج ، تحاول الحركة الأصولية ، أن تحسم صراعها الأول مع العلمانية . وهو صراع يدور حول التربية والتعليم والإعلان ، أى حول كل الوسائل التى تصنع الفكر ، والشخصية . وهو ما يجعل الصورة الأمريكية ، شديدة الدرامية . ففى التليفزيون ، عشرات القنوات العلمانية أو حتى الاباحية ، وهناك أيضا قنوات دينية ، وشديدة الأصولية ، أو حتى الغيبية الخرافية . وهو ما يقسم المجتمع الأمريكى إلى تيار دينى وتيار علمانى ، دون وسط مؤثر ، أو فعال . ويصبح المجتمع، ومستقبله ، رهنا للصراع بين طرفى النقيض .

شعار للجميع :

إن الدور الاجتماعى للحركة الأصولية المسيحية ، يتعدى أى خطاب دينى مباشر، إلى القضايا الاجتماعية نفسها . فليس كل فعل إجتماعى لهذه الحركة ، نابعا من موقف دينى صريح ، ففى أحيان كثيرة تقوم الحركة بفعل إجتماعى صرف، أو تساند فعلا إجتماعيا صرفا . المعنى وراء ذلك ، يتضح فى إستراتيجية الحركة ، التى لا تحصر نفسها فى العمل الدينى الصريح ، بل تحاول الوصول لأهدافها من خلال الطرق الممكنة. لهذا ، تتبنى الحركة ، عددا من القضايا الاجتماعية ، وتدخل غمار المعارك ، لكى تنتصر لقضيتها . وعندما يتحقق الانتصار، يكون فى الواقع انتصارا لقيم الأصولية المسيحية مما يسهم بشكل واضح فى إرساء قواعد القيم الأصولية ، تدريجيا . وبهذا يتحقق للحركة ، اختراق المجتمع الأمريكى ، حتى النخاع .

ومن أبرز القضايا التى تركز عليها الحركة ، تلك القضايا التى يسهل فيها المنطق المباشر ، أى القضايا الأقل تعقيدا ، والأسهل من حيث إحتوائها على عنصر أخلاقى بارز . فالاختيار يتم من خلال القضايا المهمة ، التى يمكن أن يكون لها مدلول أخلاقى مباشر وعام . فذلك يتيح طرح القضية ، بصورة اجتماعية ، وإصدار رأى فيها ، على أسس أخلاقية . مما يجعل الأمر فى النهاية ، يبدو عاماً ، لا يرتبط بالطرح الدينى . والأهم من ذلك ، أن مثل هذه القضايا ، لها القدرة التأثيرية الكبيرة، داخل نطاق كل من يؤمن بالقيم التقليدية حسب التعبير المستخدم فى الخطاب الأمريكى .

فداخل المجتمع الأمريكى ، توجد فئة عريضة من الجماهير ، تنتمى إلى تراثها التقليدى ، الذى يعود إلى الأسس الأولى ، والمنابع الرئيسية التى تكون عليها المجتمع الأمريكى. وهو ما يمثل بناء من القيم التقليدية ، مصدرها إنجلترا المحافظة، فهى قيم العصر الفيكتورى الإنجليزى . فالمجتمع الأمريكى ، ينتمى فى نشأته للقيم المحافظة وللأصولية الدينية ، التى هاجرت مع المهاجرين من إنجلترا إلى أمريكا ، عبر فترة طويلة من نشأة أمريكا ، أى حوالى القرن الأول من تاريخها الحديث . بهذا تصبح القيم التقليدية ، أرضية واسعة الإنتشار ، يمكن للحركة الأصولية أن تعمل من خلالها ، خاصة وأن العدد الأكبر من أتباع الحركة الأصولية ، يأتى من البيئات الأكثر تمسكا بتلك القيم التقليدية .

وعندما تعرض الحركة الأصولية ، قضيتها الإجتماعية ، تركز أساسا على الأخلاق ، بإعتبار أن موقفها نابع من تمسكها بأخلاقيات معينة . ويتاح لها عندئذ جمع المؤيدين حولها والبعد ظاهرياً على الأقل عن الصراع العلمانى / الأصولى، ولكن أى انتصار لهذه القضية أو تلك ، يصب فى النهاية ، لصالح الأصولية فى حربها المستمرة منذ أكثر من عشرين عاما ، لحكم الولايات المتحدة الأمريكية ، وهو ما قد تحقق مرحليا بنسبة كبيرة .

وتتضح الصورة أكثر من متابعة قصة إخبارية ، نشرتها مجلة «المسيحية اليوم»، فى عددها الصادر فى ١٩ فبراير ١٩٨٨ ، حيث تروى أن حوالى ٥٠ ألفا من الحركيين المناصرين للحياة [٤] قد تجمعوا فى مظاهرة فى العاصمة واشنطن فى الشهر الماضى ، للتذكرة بمرور ١٥ عاما على قرار المحكمة العليا ، والذى أباح الإجهاض قانونا (فى ١٩٧٣) . ولقد كانت المظاهرة ، هى المظاهرة ، السنوية الخامسة عشرة من أجل الحياة . ولقد بدأت المظاهرة بطابور ، من أمام البيت الأبيض، وهناك ، قام الرئيس رونالد ريجان بمخاطبة الجماهير عبر الميكروفون . لقد قال إن أمريكا تأسست على مبادىء أخلاقية ، بأن الحياة الإنسانية – أى حياة إنسانية – مقدسة .. فهل لنا أن ننسى كل إرسالية وطننا الأخلاقية عبر التاريخ ؟ حسنا ، إجابتى بالنفي[٥] . لقد طلب ريجان من الكونجرس الموافقة على قانون بحماية الحياة، يمنع كل تمويل حكومى للإجهاض وشجع على سن قانون بقطع كل

المعونات الحكومية ، عن مؤسسات تنظيم الأسرة التى تشجع أو تمارس الإجهاض.

وبعد ذلك ، سارت المظاهرة إلى المحكمة العليا وكانت مظاهرة سلمية ، إلا أن السلطات إعتقلت ٣٠٥ شخصا ، بتهمة الصلاة فى مكان غير قانونى ، أى فى حديقة المحكمة العليا . فالنظام فى أمريكا لم يعد أصوليا ، ولكنه لم يعد علمانيا أيضا. فرئيس الولايات المتحدة ، أصبح من أنصار الأصولية ، منذ وصول جيمى كارتر إلى البيت الأبيض ، مرورا برونالد ريجان ، وحتى جورج بوش .

والخبر فى النهاية ، يقدم قضية إجتماعية ، وموقفًا أخلاقيا ، حتى تعبيرات ريجان تشير إلى الإرسالية الأخلاقية لأمريكا .. والخطاب هنا رمزى ، والرمز فى الخطاب الدينى شائع ، ومن يعرف ما يحدث فى أمريكا ، يعرف بالضرورة أن «الإرسالية الأخلاقية لأمريكا» التى يعنيها رونالد ريجان ، ماهى إلا الإرسالية المسيحية ، وليست أى مسيحية ، بل الأصولية أساسا .

أصولى فى قلب العلمانية(٦) :

تظل العلمانية ، الهدف الأول ، والعدو الأول ، للأصولية المسيحية فى أمريكا . فالأصوليون على وعى تام ، بأنهم أمام منافس قوى ، يمكنه أن يتغلب عليهم . والتركيز على العلمانية ، يشير بوضح إلى مدى التنافس والتعارض ، بينها وبين الأصولية الدينية . فالصراع ينبع من الأسس التى تبنى عليها العلمانية ، وهى المدنية والعلم والعصر ، بإعتبارها المصدر والمحك الحقيقى لتحديد توجهات الأفراد والجماعات . أما التيار الأصولى ، فيرى أن الجوهر الحقيقى الذى يجب أن تبنى عليه الحياة والنظام ، هو الدين . لهذا ، يرى التيار الأصولى ، أن العلمانية تنفى وجوده ، وأنها تسيطر بالفعل ، على الجانب المهم من نظام الدولة الأمريكية ، لأن هذا النظام ، دستورياً ، نظام علمانى صرف .

وأمام هذا الصراع العلمانى – الأصولى ، فإن الأصوليين ينتهجون أسلوب الاختراق ، ثم المواجهة ، وهكذا . أى أنهم لا يحاولون من البداية مواجهة النظام العلمانى ، وهدمه ، ثم إقامة نظام آخر . ولكن يحاولون اختراق الحياة العلمانية تدريجيا ، ثم مواجهتها فى معارك واضحة ، تدور غالبا حول الأسس الأخلاقية ،

التى تمثل تراثيا ، القيم التقليدية ، التى بنى عليها المجتمع الأمريكى . إن الأصولية فى أمريكا ، تلتصق بوضوح شديد ، بمنهج " الاختراق من الداخل " . وهذا الأسلوب، كما سيظهر فى العديد من المواضع ، يمثل أكثر مراحل الحركة حداثة ، وفى نفس الوقت ، فإنه الأسلوب الذى مكنها من إختراق العديد من التكوينات المهمة، داخل أمريكا وخارجها .

ولعل من النماذج المهمة ، ذلك الإحتفاء الخاص ، بأحد الصحفيين من كاتبى الأعمدة ، وهو كال توماس ، من جانب مجلة " المسيحية اليوم "(٧) التى تمثل أحد أهم منابر التيار الأصولى . ويتميز هذا الكاتب ، بروح المواجهة ، حيث يعتبر الكتابة الصحفية بمثابة معركة ، على الكاتب أن ينتصر فيها ، ويحتل منطقة الأخر ، لا عن طريق القوة ، بل عن طريق الموهبة . ولقد كان توماس ، أحد العاملين مع جيرى فلويل ، أحد ابراز الأصوليين السياسيين . ولكن كيف يعمل توماس ؟ إنه ببساطة شديدة ، يؤكد على القيم الأخلاقية ، ويوضح كيف أن الأخلاق العلمانية للصفوة ، قد فشلت . لهذا ، يطرح بديلا جديدا ، وهو القيم التقليدية للمجتمع الأمريكى . ومن خلال هذا العنوان ، يقدم بالفعل الرؤية المسيحية . وببساطة أيضا ، فإنه يقدم القيم الكتابية (نسبة للكتاب المقدس) من خلال التأكيد على أخلاقيات معينة ، ولكن دون أية إشارة إلى نص أو آية كتابية . وتعلق مجلة " المسيحية اليوم " ، بأن تجنب إستخدام الآيات ، يمنع إثارة تحفظ القارىء العلمانى(٨) .

الأمر هنا ، كما أشرنا ، بسيط . فأنت تقدم القيم ، وتؤكد أهميتها ، ومقارنا إياها بقيم أخرى ، تؤكد أنها فاشلة ، والدليل هو ما فى المجتمع الأمريكى من مشكلات ، مثل الأيدز والاجهاض والأطفال غير الشرعيين ، وغيرها . إنها قيم بدلا من قيم أخرى ، والمطلوب من القارىء ، أن يتبنى القيم الجديدة . ولكن بنفس البساطة ، فإن القيم الجديدة ، هى قيم المسيحية ، ويصبح الفرد العلمانى ، مؤهلا لأن يقبل الرسالة المسيحية ومعدا لذلك . كما أن قيم الحضارة العلمانية تهتز ، وتتغير، وتخترقها قيم حضارة دينية ، وهو ما يساعد ، بلا شك ، على الإنقضاض على الحضارة العلمانية عندما تحين الفرصة .

لاحظ هنا ، أن ترديد النص الكتابى ، والإعلان الدينى المباشر ، ليس أسلوبا حتميا ، فيمكن أن يتخلى الفرد عن الإعلان المباشر الصريح ، حتى يمكن أن يخترق الطريق والآخرين ، برسالته ، ثم يعلنها بعد ذلك . بهذا يؤكد التيار الأصولى المسيحى ، أنه استطاع ، ومنذ السبعينات ، أن يتبنى سياسات من شأنها أن تلائم العصر والظروف المحيطة ، كما أنها فى النهاية أساليب لا تخلو من السياسة ، لأهداف لا تبعد عن السياسة .

أصوات الأصوليين :

لقد عرفت الحركة الأصولية طريقها إلى البيت الأبيض ، عن طريق الديمقراطية. وأكثر من ذلك ، فإن الحركة تحاول أن تؤكد ، أنها حركة ديمقراطية(٩) . وهى فى الواقع حركة لها ملمح ديمقراطى ، ولكنها ليست ديمقراطية. . فالديمقراطية التى تعرفها أمريكا ، هى الليبرالية . والحركة الأصولية ضد الليبرالية ، وتهاجم الحرية الفردية ، وحرية الفكر ، عندما تمس أفكارها . وأكثر من ذلك ، فإن الأصولية تنادى بسن قوانين تفرض فكرها على الشعب . فهى بالمعنى الديمقراطى الليبرالى ، ضد الديمقراطية .

أما الملمح الديمقراطى فى الحركة ، فيكمن فى كونها ضد الكهنوت بكل معانيه، وتعطى لكل الأفراد نفس الدور الدينى ، فالكل متساو فى الإيمان . ومع ذلك ، فإن المكانة التى تأخذها رموز الأصولية ، تصل بهم إلى مرحلة زعامية دينية ، فتصبح كلمتهم دستورا للمستمعين ، وإن كانت تلك الرموز تصعد ثم تسقط .

وبرغم أن الحركة الأصولية ، لاتناصر الديمقراطية الليبرالية ، إلا إنها عرفت طريقها للحكم ، من خلال هذه الديمقراطية . وكان العنصر الحاسم فى هذا العمل ، هو أصوات الناخبين . فقد استطاعت الحركة تسجيل أعداد كبيرة من أسماء الناخبين ، من بين الفئات الأصولية ، تصل إلى قرابة ٣ ملايين إسم . ومن خلال توجيه أصوات الأصوليين لصالح مرشح أو آخر ، تمكنت الأصولية من الوصول بمرشحها إلى البيت الأبيض .

وهذا ما حدث مع جيمى كارتر ، كأول رئيس يصل إلى البيت الأبيض ،

وبأصوات الأصوليين . وعندما وجد الأصوليون أن جيمى كارتر ، لم يف بوعوده لهم، خاصة بالنسبة لموضوع إقرار الصلاة فى المدارس ، ومنع الإجهاض[10] ، تحول الأصوليون عنه ، وأسقطوه فى إنتخابات عام ١٩٨٠ ، ليأتوا برونالد ريجان ، كرئيس أكثر أصولية ، بل هو صهيونى أصولى متشدد . ولذلك ، إنتخب ريجان لدورتين ، لأنه كان أكثر إلتصاقا بأهداف الحركة الأصولية . ومن بعده ، أعطى الأصوليون أصواتهم إلى جورج بوش ، نائبه الذى حظى بتأييد ريجان ، وقيادات الأصولية ، لما عرف عنه من إيمان أصولى . وهكذا إستطاعت الحركة ، التأثير على إنتخابات الرئاسة فى أعوام ١٩٧٦، ١٩٨٠، ١٩٨٤ ، ١٩٨٨ .

دستور دينى للسياسة :

فى عام ١٩٧٠ ، نشر هل لندسى ، كتابا تحت عنوان «الراحل كوكب الأرض العظيم»[11] . وتدور السنوات ، ويطبع من هذا الكتاب الملايين من النسخ ، وبعد عشرين عاما تقريبا ، تصل مبيعات الكتاب إلى أكثر من ١٨ مليون نسخة. فهو الكتاب الأول فى المبيعات ، بين الكتب غير الروائية . ولعله فى هذا المقام ، يأتى فى المرتبة الثانية ، بعد الكتاب المقدس نفسه . وهذا الرقم المخيف من المبيعات ، يشير إلى أن كتاب لندسى قد أصبح دستور الأصولية الصهيونية ، ومرجع المؤمنين بالملك الألفى .

والكتاب ليس فى العقيدة فقط ، بل هو عن السياسة والتاريخ أيضا ، ففيه يشرح الكاتب تاريخ العالم ، من وجهة نظر عقائدية . فيفسر كيف يتفق التاريخ الماضى مع نبوءات الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد . وبالتالى يمتد بالتاريخ إلى المستقبل ، ليشرح ما سيحدث فى المستقبل ، طبقا لنبوءات الكتاب المقدس ، حسب فهمه لها . والرؤية فى مجملها تدور حول تحديد قوى الشر وقوى الخير فى العالم . وكيف سيبدأ العد التنازلى لنهاية العالم من خلال تجمع اليهود من الشتات فى دولتهم فى فلسطين . ثم تتجمع قوى الخير لتحارب قوى الشر ، فى معركة هرمجدون[12] ، وهى فى موقع فى فلسطين . وفى هذه المعركة تنتصر قوى الخير على قوى الشر ، ويأتى المسيح ليحكم العالم أجمع ، حكما أرضيا فعليا لمدة ألف

سنة كاملة ، هى الألف سنة السعيدة . ولندسى يرى أن العد التنازلى للنهاية قد بدأ، وأن هذا الجيل سوف يشهد قيام الملك الألفى .

وعبر صفحات الكتاب ، يتعرض الكاتب إلى الدول المختلفة ، فروسيا ضمن قوى الشر ، كذلك العرب والمسلمون ، وبابل سوف تسقط تمهيدا للحرب الأخيرة . وليبيا ، ضمن قوى الشر . والحكومات العربية الموالية لروسيا ، مثل حكومة جمال عبد الناصر، هى جزء من قوى الشر المتحالفة على قوى الخير المسيحية . لذلك فإن انتصار إسرائيل في حرب ١٩٦٧ ، هو جزء من الخطة الإلهية ، لانتصار قوى الخير، وقيام دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات ، ليتجمع فيها كل شعب الله المختار . حتى عندما تقوم الحرب الأخيرة ، ويموت جزء كبير من اليهود فى الحرب ، يأتى المسيح ويعطى لشعبه المختار المتبقى ، فرصة أخيرة ، حتى يقبلوه كمخلص للعالم . فاليهود كشعب مختار ضل الطريق ، ولكن الله لايتخلى عن شعبه المختار ، لذلك تظل له مكانة خاصة ، وتظل له فرصة أخرى . فكل قوى الشر تتحطم فى حرب هرمجدون ، ويذهب الأشرار إلى الجحيم ، وكل من رفض المسيح كمخلص للعالم . ولكن شعبه المختار ، الذى رفضه ، يعطى فرصة أخرى ، حتى يقبله .

ولعل التصور الألفى لتاريخ العالم القادم ، يواجه باستمرار تغييرات تاريخية لا تتفق مع التصورات التى يضعها المفسرون الأصوليون . ولكن الحركة تجدد نفسها باستمرار ، وتحاول أن تتجاوز مثل هذه الأزمات ، وتعيد تفسير التنبوءات حتى تتلاءم مع الوضع الجديد . والتبرير الوحيد المتكرر ، لمثل هذه المواقف ، أن تفسير النبوءات ، هو اجتهاد بشرى لفهم الكتاب ، وهو لا يصل إلى الفهم الحقيقى المطلق، بل هو محاولة للفهم ، عندما تختلف الأحداث عن تصورنا للنبوءات ، فإن ذلك لا يعنى خطأ النبوءات ، بل خطأ تفسيرنا لها ، وفى هذه الحالة ، فعلينا أن نعيد التفسير فى ضوء أحداث العصر. ويتبع ذلك ، أن أى أحداث نمر بها ، مهما اختلفت عن تفسيراتنا وتنبوءات ، فهى لا تتعارض مع نبوءات الكتاب ، بل هى تطبيق لنبوءات الكتاب . فالله ، عند الأصوليين ، هو إله التاريخ ، الذى يصنع كل أحداثه ويتحكم فيها ، طبقا لإرادته المسبقة ، حتى تصل هذه الأحداث إلى النهاية التى أرادها الله ،

وهى الحرب الأخيرة بين الخير والشر ، وبعدها يأتى المسيح ثانية ، ليحكم العالم ، فى الانتصار الأخير للخير ، وقيام مملكة النور ، وملك المسيح الأرضى.

بهذه الرؤية ، فإن التصور السياسى التاريخى للأصولية ، تعاد صياغته ، كلما تغيرت الأحداث ، ومن هنا يكتسب قدرته على الإستمرار ، برغم التاريخ المتقلب الذى يواجهه . ونفس الأمر بالنسبة لتحديد موعد نهاية العالم . فمنذ ظهور الفكر الألفى، منذ ١٥٠ عاما ، كان المفسرون يضعون تواريخ مختلفة لنهاية العالم ، وعبر عشرات التنبوءات السابقة ، فإن الواقع أثبت عدم صدق هذه التنبوءات . ولكن الفكرة الألفية تعيش رغم كل ذلك ، على أساس أن تحديد الوقت إجتهاد بشرى ، قد يصيب أو يخطىء ، وأن البشر حسب التفسير الحرفى ، لا يقدرون معرفة التاريخ النهائى . ومع ذلك ، تظل محاولات تحديد تاريخ نهائى للعالم ، مستمرة . ولنا أن نلاحظ ، أن معظم هذه التقديرات تدور حول التاريخ المعاصر لها . فمعظم التقديرات ، كانت تتنبأ بنهاية العالم بعد سنوات قليلة . وهى رغبة واضحة ، تتكرر فى كل جيل ، مفادها أن كل جيل تحدوه الآمال فى قدوم المخلص ، خلال فترة حياته . وهو ما يشير بوضوح إلى وجود نزعات دينية رافضة للعالم المعاصر لها ، وتتمنى أن يأتى المسيح المخلص ، بعالمه الجديد ، وبهذا يتغير العالم المرفوض ، ليحل مكانه العالم المرغوب . وهكذا تستمر الانتصارات المسيانية (للمخلص) ، معبرة عن رغبة مستمرة ، لدى الأصوليين ، فى تغيير العالم ، وتغيره ، ليأتى المخلص ، الذى ينقذ شعبه من هذا العالم الخاطىء . ولكن عندما نتحدث عن تنبوءات شخصية ، وتوقعات فردية ، فإن هذا يختلف جذريا ، عن السياسة وصناعة التاريخ .

إن مثال الرئيس الأمريكى السابق رونالد ريجان ، يحتاج إلى وقفة ، فلقد قرأ ريجان كتاب لندسى[١٣] أو الدستور الدينى للسياسة والتاريخ ، الذى وضعه لندسى . ومن الواضح أن رونالد ريجان قد تأثر بذلك ، أثرا شديدا . إن سياسة ريجان كانت تقوم على مفاهيم وعقائد دينية ، وهناك مكمن الخطر ، ومربط الأزمة. وأكثر من ذلك ، فإن القصص التى ترددت ، حول لجوء نانسى ريجان لإستشارة العرافين ، كما قرأت فى الصحافة المصرية ، وليست بهذا المعنى الخرافى ، الذى فهم منها.

فالحقيقة ، إن نانسى ريجان ، كانت تستشير إحدى المؤمنات الأصوليات ، والتى لها قدرة على تلقى الرؤى من الله . وهى إستشارة دينية ، تهدف لمعرفة ما يجب أن يفعله الرئيس ، حسب إرادة الله ومشيئته .

ولعل من الطريف ، أنه فى الوقت الذى ظهر فيه خبر ، فى الصحافة المصرية يقول إن أحد سياسى البيت الأبيض كشف فى مذكراته ، أن نانسى ريجان كانت تستشير عرافة ، فى نفس هذا الوقت ، كانت هذه " العرافة " ، والتى ليست إلا مبشرة أصولية ، تلقى وعظاتها ، وتقيم حفلاتها التعبدية ، داخل أحد الفنادق الكبرى (٥ نجوم) ، فى قلب القاهرة ، عاصمة مصر المحروسة . ولم يلتفت أحد إلى هذه المقابلة الطريفة ، برغم مافيها من دلالة . فزوجة رئيس أكبر دولة فى العالم ، تحدد لزوجها طريقه من خلال الرؤى والنبوءات الدينية . والواعظة الأصولية ، التى كان لها شرف إرشاد رئيس وسيد البيت الأبيض ، حظيت بشرف آخر ، لا يقل أهمية عن الأول ، حيث أتيح لها نشر فكرها فى قلب القاهرة ، وفى فندق خمسة نجوم . بالطبع . فإن البعض إكتشف هذه الحقيقة ، واعلنت قيادات دينية إستياءها أو رفضها لوجود هذه السيدة ، وأعربت جهات الأمن عن رفضها وقلقها من هذه الممارسات. ولكن الوعى الدينى والفكر ، لم يستطيع بعد مواجهة مثل هذه القضايا ، بشجاعة تلائم الأزمة التى تطرحها هذه الأفكار الأصولية .

ولعل الرئيس رونالد ريجان ، يقدم لنا نموذجا فريدا للأزمة التى تنشأ بسبب وضع السياسة فى قالب العقيدة ، فمنذ عام ١٩٨٠ وحتى عام ١٩٨٤ ، قال القول الأشهر له عندما يتحدث عن الاتحاد السوفيتى ، وهو تعبير ذو مغزى دينى مباشر ، «إمبراطورية الشر» . نعم ، فروسيا هى إمبراطورية الشر ، حسب كتاب لندسى ، وأمثاله ، وهى القوة التى ستقود كل قوى الشر ، وتزحف حتى منابع النفط ، وتصل إلى فلسطين متحالفة مع قوى الشر من العرب المسلمين ، وهناك ستقابل أمريكا ، حامية شعب الله المختار ، والتى تقود قوى الخير . وتعبير إمبراطورية الشر ، لم يكن مجرد وصف ، بل سردا كاملا لنبوءات وإنتظارات ، وكان بالتالى تحديدا لسياسة أمريكا ، على أسس دينية .

ولكن الرئيس السوفيتى ميخائيل جورباتشوف ، قلب كل الموازين. وفى لحظة تتعارض مع نبوءات لندسى وأمثاله ، أقدم جورباتشوف على مبادرات ، تسقط الحرب الباردة ، وتسقط الصراع بين القوتين العظميين ، وبدأت الخطوات تتوالى ، من نزع السلاح ، إلى نزع فتيل الحرب الباردة. وكل هذا لم يكن يتفق مع أفكار ريجان ، بل أكثر من ذلك لم يكن يتفق مع سياسته ، فريجان كان يجهز جيوشه ، لكى يخوض معركة هرمجدون[١٤] . فمن حرب النجوم والكواكب ، كانت الاستعدادات العسكرية ، ومليارات الدولارات ، تمهد الطريق ، لتصل أمريكا إلى المرحلة التى تمكنها من هزيمة قوى الشر ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى .

ومن خلال السياسة لا الدين ، جلس ريجان مع جورباتشوف ، ليعلنا إنهاء الحرب الباردة ، ويقررا نزع السلاح من أوربا . والحقيقة أن نزع السلاح لم يكن مشكلة ، لمن يفهم الأمور على حقيقتها ، وبالنسبة للأصولى المتحمس فهو عمل ضد إرادة الله ، أما بالنسبة للأصولى السياسى ، فنزع السلاح هذا ، فى الميزان العسكرى ، ليس إلا إجراء رمزيا . فمازال السلاح موجودا ، وأسلحة الدمار الشامل، أكثر من الحاجة ، أى أن رونالد ريجان إستمر فى إستعداده لهرمجدون. فهرمجدون ، ليست الأمل الذى يمكن التنازل عنه ، فهى بلغة الدين انتصار قوى الخير ، وبلغة السياسة انتصار لأمريكا ، لتسيطر على العالم أجمع ، وهكذا ، يصبح العالم كله للمسيح ، ويصبح العالم كله لأمريكا .

ولكن المحادثات بين ريجان وجورباتشوف ، جعلت مصطلح «إمبراطورية الشر» يختفى إلى غير رجعة . وهنا تنشأ أزمة جديدة للفكر الأصولى ، فكيف يصبح العدو صديقا ، وإن جاز ذلك فى لغة السياسة ، فهل يجوز فى لغة الدين ، أن يصبح رمز الشر ، متحالفاً مع رمز الخير . وفى الدين ، فإن هذا تجاوز للعقيدة وللإيمان نفسه . وهنا أعيد قراءة الواقع من جديد ، قراءة تحاول أن تفسر النبوءات مرة أخرى ، فى ضوء متغيرات الحدث الأخير . ولقد كانت القراءة الجديدة سريعة والتكيف مع الموقف الجديد مذهلا .

فلقد رأت القوى الأصولية ، خاصة مع حلول مشارف التسعينات للقرن

العشرين، أن ما حدث في الإتحاد السوفيتي ، ليس إلا هزيمة لإحدى قوى الشر ، فالأتحاد السوفيتي لم يصبح صديق أمريكا ، بل تغير إلى درجة أكبر من ذلك ، لأنه لم يعد كما كان ، وعلى وجه الدقة ، فإن الإتحاد السوفيتي ، لم يعد شيوعيا ، ومع سقوط الشيوعية ، سقط الشر .

وهكذا يرى الأصولي الأمريكي ، روسيا ، في تصور جديد . حيث يرى أنها كانت تمثل قوى الشر ، ولكن الخير إنتصر عليها ، وقبل معركة هرمجدون ، أي أنه إنتصار مرحلي للخير ، وفي الطريق إلى هرمجدون . وهو مالا يؤثر على التصور النبوئي عن المستقبل . فروسيا كانت بالفعل " إمبراطورية الشر " ، ولكنها سقطت أمام إمبراطورية الخير ، وبدون حرب عسكرية ، وربما من خلال الحرب الروحية فقط، من خلال الصلاة لسقوط الشيوعية ، ومقاومتها بكل طريقة ، كذلك من خلال العمل السرى التبشيرى الذى استمر خلف الستار الحديدى ، عبر السنوات الطويلة . ولعل الإسم اللامع في هذا المجال و هو الأخ أندرو ، المتخصص في محاربة الشيوعية ، وإختراق الستار الحديدى ، وتهريب الكتاب المقدس. فلقد أنشئت عشرات الهيئات ، المتخصصة في تهريب الكتاب المقدس إلى روسيا . وكان معظمها يحمل إسم "التهريب " أو " المهربون " . وحول هذه الهيئات ، وعنها ، كتبت عشرات الكتب عن قصص الجهاد في سبيل إدخال الكتاب المقدس ، إلى ماوراء الستار الحديدى .

في الوعي الأصولي - إذن - فإن روسيا كإحدى قوى الشر ، قد سقطت أمام الصلاة، وأمام التبشير ، وأمام تهريب الكتاب المقدس ، وكذلك فإنها سقطت أمام امبراطورية الخير أى أمام أمريكا . وأصبح تصور روسيا كتابع جديد ، لإمبراطورية الخير ، يعد تأكيدا بأن المسيح قد انتصر في النهاية ، ولكن لا في المعركة الأخيرة ، بل في معركة تمهيدية .

والسيناريو القادم ، كما نتوقع ، أن تهب رياح التبشير على الاتحاد السوفيتي، خاصة من أمريكا ، ومستعمراتها الدينية في أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا ، لتصبح روسيا أهم حقل للتبشير في السنوات القادمة ، فتحول روسيا إلى المسيحية، هو المرحلة المتوقعة ، حتى تصبح روسيا جزءا من إمبراطورية الخير .

وعلينا أن نلاحظ ، أن الأصولى التبشيرى (الإنجيلى) ، الذى لايؤمن بالملك الألفى ، يرى أن سقوط الشيوعية ، هو مرحلة ضمن خطوات وصول المسيحية للعالم كله ، أى أن يكون العالم كله للمسيح . أما الأصولى الألفى ، فإنه يرى أن هذه مرحلة فى طريق سيادة المسيحية ، ولكنها تلك السيادة ، التى تمر بحرب شاملة بين الخير والشر ، وتنتهى لا بأن يكون العالم كله للمسيح ، بل بأن يحكم المسيح العالم كله أيضا ، ورغم الفروق فإن الهدف واحد ، وهو العالم ، والإنتظارات الخلاصية تدفع فى النهاية أجيال الأصولية نحو ذلك العالم السعيد النهائى .

ولكن هل روسيا هى وحدها قوى الشر ؟ لا . وتقول جريس هالسل[١٥] «كان رونالد ريغان واحداً آخر من الذين قرأوا كتاب «آخر أعظم كرة أرضية » فهل هو مثل لندسى، يؤمن أن الله قد قضى أن على هذا الجيل بالتحديد ، الذى يعيش فى الوقت الحاضر ، أن يدمر الكرة الأرضية ؟ وهل بدأنا عملية العد العكسى للقضاء على أنفسنا؟ وفى وقت مبكر من عام ١٩٨٦ ، أصبحت ليبيا العدو الدولى رقم واحد لرونالد ريغان، فهل يعود ذلك إلى نبوءة تورانية ؟ إستناداً إلى جايمس الرئيس السابق لمجلس الشيوخ فى ولاية كاليفورنيا ، فإن ريغان كره ليبيا لأنه رأى أن ليبيا هى واحدة من أعداء إسرائيل الذين ذكرتهم التنبوءات ، وبالتالى فإنها هى عدو الله» .

وإلى هذه النقطة ، علينا أن نتوقف ، فهل كان ضرب الطائرات الأمريكة لليبيا ، لأنها دولة إرهابية ، أم كان ذلك لأنها عدو الله حسب تنبوءات الأصولية الأمريكية ؟ الواقع يشير إلى أن العقيدة الدينية الأصولية ، قد أصبحت من أهم العوامل المؤثرة فى سياسة البيت الأبيض منذ ١٩٧٦ ، وعبر جيمى كارتر ، ورونالد ريجان ، وجورج بوش . ولكن الواقع أيضا يشير إلى أن العقيدة ليست المحدد الوحيد ، بل إن مصالح السياسة ، مع تحيزات عقائدية ، تصنع فى النهاية ، قرار البيت الأبيض . وكثير ما يأتى القرار مخالفا للعقيدة الأصولية ، وهو ما يؤدى إلى إثارة معارضة الأصوليين ، ضد الرئيس الأصولى ، الذى أسهموا فى وصوله إلى البيت الأبيض . وهو ماحدث مع جيمى كارتر ، على وجه الخصوص ، لذلك رفض الأصوليون إعطاء صوتهم له فى انتخابات الإعادة ، وفضلوا رونالد ريجان ، الذى كان أكثر وضوحا فى تنفيذ

جزء من سياسة وانتظارات الأصوليين .

وبرغم أن القضية مازالت تحكمها إعتبارات السياسة ، فى النهاية ، إلا أن معتقدات الرئيس رونالد ريجان ، وموقفه الدينى من ليبيا ، يترك شبهة التحيز الدينى ضد دولة ، وشبه الدخول فى عمل عسكرى على أسس دينية ، أى عمل يشبه الحرب الدينية ، ولو بدرجة محدودة .

وهنا تصبح السياسة مقيدة بالعقيدة ، وتصبح العقيدة مقيدة بالسياسة ، والأمر بسيط فكل من يعادى أمريكا ، فهو من قوى الشر ، حتى وإن كان مجلس الكنائس العالمى. وكل من يؤيد أمريكا هو من قوى الخير . وقوى الشر ، يمكن أن تتحول إلى قوى للخير ، إذا اصبحت تابعا لأمريكا . وهكذا يكون العالم كله لأمريكا .

المستقبل .. صناعة أمريكية :

من الصعب على الباحث ، أن يحلل اللحظة الراهنة ، خاصة إذا كانت الأحداث تتلاحق فى سرعة واضحة ، والتغييرات تتابع . فنحن ، ومع مطلع التسعينات (١٩٩١) ، نمر بفترة تغير سريع ، أو حسب التعبير السياسى التقليدى نمر بفترة تفصل بين النظام الدولى القديم ، والنظام الدولى الجديد . لذلك ، يصعب تحليل اللحظة الراهنة ، كما يصعب أحيانا توثيق كل أحداثها . وفى مثل هذا الوضع ، يفضل الباحث عدم الخوض فى دراسة اللحظة الراهنة ، ويتركها إلى أن تصبح لحظة ماضية . ولكن ، إذا كنا بالفعل نمر بفترة تغير النظام الدولى ، من القديم ، إلى الجديد ، إذن علينا أن نغامر ، لا فقط بتحليل الواقع الراهن ، بل أيضا لتحديد عناصره ، برغم أنها لم تتكشف كاملة بعد .

فمع التغييرات الدولية المتلاحقة ، من الإنقلاب المتتالى لنظم أوربا الشرقية وروسيا ، إلى هجرة اليهود السوفيت ، إلى محاولة هدم المسجد الأقصى من قبل اليهود المتطرفين ، إلى غزو العراق للكويت ، إلى حرب تحرير الكويت ، وقدوم القوات الأمريكية إلى المنطقة ، عبر كل هذه الأحداث ، علينا أن نواجه حقيقة أن الوضع يتغير ، والمستقبل القادم يختلف عن الماضى والحاضر . وبما إننا مقبلون على أوضاع دولية جديدة لذا كان لزاما علينا أن ندرس أحداثيات الواقع ، وكذلك

أحداثيات المستقبل ، حتى تكون أفعالنا أصلية ولا ننتظر لتكون مجرد ردود أفعال .

في عام ١٩٨٨ ، عندما انتهت فترة الرئاسة الثانية لرونالد ريجان ، كان كل شيء يبدو جديدا . فلقد تغيرت الصورة ، عبر العلاقة بين روسيا وأمريكا ، لتنتهي الحرب الباردة ، ويبدأ عصر الوفاق الدولي . ولكن ، كان من الواضح أن التغير الجديد نتج عن تزايد المشكلات الداخلية في الاتحاد السوفيتي ، الأمر الذي جعله عرضة لممارسة الضغط ، كذلك أصبح مضطراً لتغيير مواقفه لقاء الحصول على الدعم، ولقاء تحييد صراعاته الخارجية ، كي يتفرغ لصراعاته الداخلية .

في هذا المناخ ، كان ريجان قد حقق للأصولية الأمريكية ، أكبر انتصاراتها . فقد كانت له إنجازات ملموسة ، هي في الواقع تنفيذ للبرنامج الأصولي السياسي . ولعل التمادي في التسليح ، ورفع ميزانية الدفاع ، والعمل على تحقيق التفوق الفضائي ببرنامج حرب النجوم ، ومحاولة منع الإجهاض بقوة القانون ، والانتصار على تهديد الشيوعية للمسيحية ، وإنتصار الكونترا في نيكارجوا ، وإسقاط حكومة الساندنستا اليسارية ، ومد المظلة الأمريكية بقوة في أرجاء أمريكا اللاتينية ، لجعلها محمية أمريكية ، ولوقف نمو اليسار المسيحي الثوري بها والمعادي لأمريكا ، هذه وغيرها ، نماذج من انتصار السياسة الأصولية ، على يد رونالد ريجان .

وبرغم نشوة الإنتصار، فإن البحث عن المرحلة الجديدة ، يظل قضية تبعث على القلق .وكان السؤال : من يخلف ريجان ؟ هل هو مايكل دوكاكيس ؟ أم القس الأسود جيسي جاكسون ، راعي حركة حقوق الإنسان ؟ في عيون أمريكا المحافظة ، وفي عيون الأصولية الأمريكية ، كما في عيون الحزب الجمهوري ، فإن دوكاكيس أو جاكسون ، كلاهما لا يصلح .

وهنا جزء مهم من القضية ، فالبعض لا يفهم أن تكون السياسة الأمريكية أصولية دينية . ولكن الصورة تصبح أكثر وضوحا ، وأكثر واقعية ، عندما نقترب من طبيعة تحالف اليمين المحافظ الجديد . ففي داخل هذا التحالف ، تتكاتف قوى اليمين الرأسمالي ، والمحافظة السياسية ، والمحافظة الاجتماعية ، والأصولية الدينية. وهذا التكاتف ، يحدث بحكم حتمية تكوين هذه الإتجاهات ، أو بحكم الأهداف

المشتركة بينها . ولكنه يحدث أيضاً من خلال منظمات ، تعمل لتحقيق تحالف واقعي وفعلي، مثل منظمة الدائرة المستديرة الدينية . وهى تضم تحالف كل قوى اليمين الدينى ، وغير الدينى، برغم أن مؤسسيها ينتمون إلى الأصولية الدينية.

أما جيسى جاكسون ، وهو قس ، أى رجل دين مسيحى ، فلم يكن قادرا على مخاطبة الأصوات الدينية . فهى ببساطة ، أصوات الأصوليين ، وهو ببساطة مسيحى ليبيرالى . لذلك فهو يجد شعبيته بين قوى الليبرالية ، وداخل الحزب الديمقراطى . كذلك كان الحال بالنسبة لدوكاكيس ، فهو أيضا ليبيرالى ، وهو ذو اتجاهات علمانية . وفى هذا الزمن ، فإن الليبرالية والعلمانية ، تمثل تهمة يجب التخلص منها ، وهى بدون شك عقبة فى طريق الوصول إلى البيت الأبيض. وبعد فترة من الحملة الإنتخابية فى عام ١٩٨٨ ، ظهر جورج بوش ، مرشح الحزب الجمهورى ، والمؤيد من رئيسه السابق رونالد ريجان ، والحاصل على بركات الأصوليين ، من أمثال جيرى فلويل . وفى الجولة الأولى ، كان مايكل دوكاكيس قد حصل على شعبية، وعدد كبير من المؤيدين ، وعندما نزل جورج بوش إلى حلبة المعركة ، كانت هناك جولتان فاصلتان .

فى الجولة الأولى ، أعلن جورج بوش أمام الصحافة ، أن مايكل دوكاكيس ليبرالى ، والدليل – فالأمر جد خطير ويحتاج إلى دليل – إنه كان عضوا فى إحدى المنظمات شديدة الليبرالية . ولم يستطع دوكاكيس إنكار ذلك ، بل أكده ، وهنا كانت الضربة الأولى . فقد وصم دوكاكيس بإنه ليبرالى ، أى علمانى وملحد و إباحى ، إلى آخر هذه القائمة من الإتهامات التى يكيلها الاصوليون لليبرالية. ولم تكن النتيجة فى حاجة إلى جهد لتخمينها فقد إنخفضت الأصوات المؤيدة لدوكاكيس .

ثم كانت اللحظة الحاسمة ، فى الجولة الثانية ، وكان السيناريو معدا ، ومحنكا، فقد ظهر دوكاكيس وبوش أمام شاشة التليفزيون ، فى إحدى تلك المناظرات الإنتخابية الشهيرة ، فى الحياة السياسية الأمريكية ، وفى المناظرة ، تكون المبارزة ، ويكون على كل خصم أن يهزم الآخر ، بالسياسة والخطابة والبديهة ، وغيرها من العناصر المؤثرة فى الإنتخابات ، ولكن هذه الجولة كانت مختلفة ، ولم يكن من المهم

أن نعرف كل سياق الحوار ، فقد كان مركز الحوار هو سؤال ، وكان السؤال هو حجر الزاوية ، فى تغيير مسار الانتخابات .

وقام المذيع بتوجيه السؤال ، أو الضربة القاضية ، فماذا تفعل إذا ما اغتصب أحد زوجتك ، وأى عقاب يستحق ؟ وبالنسبة للمتابعين للحياة السياسية الأمريكية ، ولتاريخ اليمين المسيحى الجديد ، فإن الإجابة ونتائجها معروفة مسبقا . وقد أكد بوش أن عقاب المغتصب هو الإعدام ، أما دوكاكيس فكان عليه أن يعترف بأنه ليبرالى ، ويرفض عقوبة الإعدام . وتنتهى الجولة سريعا ، بالضربة القاضية ، وفى اليوم التالى ، كانت إستطلاعات الرأى ، تؤكد التفوق الساحق لبوش على دوكاكيس، وينتهى سيناريو للقطة من الحياة السياسية الدينية الأمريكية ، ليصبح جورج بوش ، رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية ، ويجلس فى البيت الأبيض ثالث رئيس أصولى .

ولا تنتهى فصول القصة ، بل تبدأ . فمنذ البداية سنجد الإعلام الدينى خاصة، لا يصف الرئيس بوش بالأصولية أو الإنجيلية ، ولكنه يطرح تساؤلات حول موقف الرئيس من الدين ، وهى المرحلة الأولى ، التى يعقبها إنتظار الناخبين لموقف الرئيس، والضغط على الرئيس من الجانب الآخر ، حتى يظهر موقفه الدينى . ويظل الرئيس فى حاجة إلى تأييد الأصوليين ، حتى يأتى الإنتخاب الثانى ، وعليه أن يقدم قائمة إنجازاته ، إذا أراد المقعد مرة أخرى .

وقبل نهاية إنتخابات الرئاسة ، نشرت المجلة الناطقة بإسم الكنيسة المشيخية الأمريكية (١٦) ، عرضاً لموقف كل من دوكاكيس وبوش من عدد من القضايا المهمة ، مع مقارنة موقفهما بموقف المؤتمر العام للكنيسة المشيخية الأمريكية ، والنتيجة متوقعة .

وبدون الدخول فى تفاصيل القضايا التى تمت مناقشاتها فإن آراء دوكاكيس تتفق مع أراء المؤتمر العام للكنيسة المشيخية ، وأراء بوش تختلف عنها ، تلك هى الصورة .

ويعبر البعض عن ذلك ، بأن أمريكا تعيش ثنائية النظام الحزبى ، وهذا صحيح سياسيا ودينيا ، فعلى المستوى السياسى ، يوجد الحزب الجمهورى المحافظ ،

والحزب الديمقراطى الليبرالى ، أى اليمين المحافظ واليمين الليبرالى على التوالى. فاليسار فى أمريكا يظهر ويختفى ، وإن كان من الواضح أنه ينمو وسينمو بقوة فى التسعينات . وعلى المستوى الدينى ، هناك التيار الأصولى والإنجيلى بمؤسساته ومنظماته ، والكنائس المعبرة عنه ، مثل الكنيسة المعمدانية الجنوبية . وهناك التيارالمسيحى الليبرالى ، بجانب قوى ناشئة لليسار المسيحى ، ويضم الكنيسة المشيخية والكنيسة الميثوديستية (المنهجية) ، ويمثله المجلس الوطنى لكنائس المسيح بأمريكا.

ولنا أن نتخيل الموقف تجاه القضايا الكبرى ، فسنجد أننا بصدد حزبين ، كل حزب منهما يضم القوى السياسية والعلمانية والدينية المؤيدة لمجمل أفكاره . فنجد مثلا تحالف المحافظة السياسية مع الأصولية ، وتحالف الليبرالية السياسية مع نظيرتها الدينية .

وإذا كان البعض ، يفرق بين الأصولية والإنجيلية ، ويرى أن هناك نظاما ثلاثيا، ورغم وجاهة الأسباب الدافعة لهذا التقسيم ، ففى هذه الدراسة ، ولأسباب تتعلق بهدفها ، لم نحاول الدخول فى هذه التصنيفات إلا كلما تطلب الأمر ذلك . ولهذا ، نستخدم فى البحث الحالى ، التقسيم الثنائى للسياسة والدين فى أمريكا .

وهكذا ، وبإنتصار بوش ، إنتصرت معه قوى المحافظة ، سياسيا ودينيا، وأصبحت قوى اليمين الديمقراطى (المعتدل) ، أى قوى الليبرالية ، فى موقف المعارض . ولهذا تأتى معارضة بوش ، من الحزب الديمقراطى ، كما تأتى من الكنيسة المشيخية ، والميثوديست ، والمجلس الوطنى لكنائس المسيح . وبعد أن كانت كنائس الخط العام ، هى الصفوة المرتبطة بالدولة ، والمؤيدة لسياستها ، أصبحت فى المعارضة ، وضد الدولة . وتتقدم الصفوف قوى الأصولية المسيحية ، التى كانت فى موقف المعارضة لسنوات طويلة ، وأصبحت فى موقف من يحكم ، ولسنوات طويلة . ومع وصول بوش للبيت الأبيض ، بدأت فصول جديدة ، تكتب قصة الانتصار السياسى لليمين المسيحى الجديد .

ومع بداية فترة الرئيس بوش ، ومع الخطوط الأولى للتسعينات ، والملامح الأولى

للنظام العالمى الجديد ، نستطيع أن نلمح أهم عناصر البرنامج الجديد ، الذى هو واقعيا إمتداد للبرنامج القديم ، فنلاحظ :

١- استمرار العلاقة الجيدة بين روسيا وأمريكا، وهى علاقة مشروطة من قبل أمريكا، وشرطها الأول أن تتحول روسيا للديمقراطية، وتنفتح على الغرب، ومصانعه وشركاته، وهذا الشرط فى النهاية، يؤدى إلى اختراق روسيا، وسقوط الشيوعية. فسقوط الشيوعية، وفتح الباب أمام المسيحية لتخترق أوربا الشرقية وروسيا، من أولويات البرنامج الاصولى، كما أنها الدليل الوحيد، الذى يفسر العلاقة مع روسيا، إمبراطورية الشر سابقاً، وحليف إمبراطورية الخير مستقبلاً.

٢- مع انفتاح روسيا، والعلاقة القوية مع أمريكا، صاغت الحكومة الأمريكية، شرطاً أساسياً حتى تستمر العلاقة بينها وبين روسيا، وهو أن تفتح روسيا أبوابها أمام هجرة اليهود السوفييت، والسبب وراء ذلك، حسب الزعم الأمريكى ، هو حقوق الإنسان. ولكن أى إنسان ؟ فمن الواضح أن هجرة اليهود السوفييت تؤدى لمشكلات ضخمة للفلسطينيين، والأغرب من ذلك أنها تؤدى إلى مشكلات لليهود المهاجرين أنفسهم، والأكثر غرابة، أن بعض هؤلاء اليهود يفضل الهجرة إلى أمريكا لا إسرائيل . لكن هجرة اليهود السوفييت، رغم كل العقبات، تبقى أحد أهم اركان السياسة الأمريكية المحافظة، بشقيها السياسى والدينى . فعلى الجانب السياسى، تمثل الهجرة دعمًا لإسرائيل وكيانها البشرى، مما يجعلها قوة لها الاستمرارية، وتتاح لها الطاقة البشرية اللازمة للتوسع أو الصمود . ومن الجانب الأصولى، فإن هجرة اليهود السوفييت، هى ببساطة تجمع يهود الشتات فى دولتهم فى فلسطين، وهى الخطوة الأولى نحو هرمجدون، أى الحرب بين الخير والشر، والخطوة الأولى نحو حكم المسيح للأرض. وعلينا أن نلاحظ أن عودة اليهود من الشتات، ليست علامة، بل شرط ، فى حين أن مساحة دولة إسرائيل، ليست شرطاً ، بل علامة. فعودة يهود الشتات عنصر رئيسى فى الفكر الأصولى. وبهذا فإن سياسة بوش قد حققت انتصاراً عظيماً للأصولية ، وللألفيين الذين ينتظرون عودة المسيح فى هذا الجيل.

٣- عندما قامت إسرائيل بمذبحة المسجد الأقصى، فى نهاية عام ١٩٩٠، كان

الموقف الأمريكي بارداً، برغم إدانة قتل الفلسطينيين. وبرودة الموقف الأمريكي، لاتأتي من أنه لم يدين قتل الفلسطينيين ، بقدر كاف، فهذا أمر تعودنا عليه في السياسة الأمريكية المتحيزة، أما البرود الحقيقي، فينبع من عدم إدانة أمريكا، لما يقوم به المتطرفون اليهود من محاولة لهدم المسجد الأقصى، وتورط الحكومة الإسرائيلية في تسهيل هذا الأمر، أو التغاضي عن خطورته. ولكن موقف أمريكا مفهوم في النهاية : وكيف لا ؟ وفي أمريكا عدد من المؤسسات الأصولية التي ليست لها من عمل إلا جمع التبرعات، من أجل الدفاع، عن كل يهودي يقبض عليه أثناء محاولة هدم المسجد الأقصى، وتقوم هذه المؤسسات بدفع مصاريف المحاماة، ورعاية «المتطرف» حتى يخرج من السجن. والأمر هنا واضح، فأمريكا تعترض على سياسة إسرائيل، عندما تتمادى في تجاهل الأخرين، وتجاهل القانون الدولي، ولكنها لاتستطيع أن تعلن رسمياً رفضها لهدم المسجد الأقصى، ورفضها لفكرة بناء هيكل سليمان في مكانه، برغم أن حقيقة الأمر تدعو للدهشة، فحتى بالنسبة لمن يؤمن بأهمية إعادة بناء هيكل سليمان، فلا يوجد دليل واحد قوي، إن مكان الهيكل، هو مكان المسجد الأقصى، فقد يكون مكاناً آخر، وبالتالي يمكن إعادة بنائه دون مشكلات، ولكن الأصولية اليهودية والمسيحية، تصر على أهمية إعادة بناء الهيكل، في مكانه، الذي ليس إلا مكان المسجد الأقصى . وكأن في القضية ، لاتحيز أو تعصب، بل رغبة جارفة للوصول إلى لحظة الصدام، والحرب الأخيرة. فهدم المسجد الأقصى، إذا حدث، هو إشارة البدء لحرب دينية، وحرب عالمية، ومذابح لايعلم أحد مداها .

ولعلنا هنا نتساءل ، هل يهدم المسجد الأقصى بفعل عوامل طبيعية، كما ترى وجهة النظر الدينية الصرفة ؟ أم يهدم بفعل معاول أصولية، كما ترى الأصولية السياسية الجديدة ؟

ولكن الأهم، هل هدم المسجد الأقصى، يمهد للحرب العالمية الأخيرة، أم أن هدم المسجد هو الذي سيؤدي لقيام حرب عالمية ؟! فبغض النظر عن العقائد المسيانية، التي تنتظر عودة المسيح للمرة الثانية، بالنسبة للمسيحيين، ومجيئة للمرة الأولى بالنسبة لليهود، بغض النظر عن كل ذلك، فإن محاولة هدم المسجد الأقصى، ليست

إلا إعلاناً للحرب بين الأديان. وإعلاناً بفشل الأصولية فى التعايش مع الآخر الدينى.

إن هذه القضايا السابقة، توضح لنا ملامح جدول العمل الأصولى ولكنها ليست كل القضية، بل جزء منها، ففى جدول العمل الأصولى، وفى المستقبل، كما فى اللحظة الراهنة، جزء كبير يدور عن وحول العالم العربى، والقصة تبدأ قبل غزو الكويت، ولن تنتهى بعد تحرير الكويت. فما هى فصولها ؟

فى يوم ١٧ من شهر يوليو عام ١٩٩٠، وفى جريدة الأهرام، كتب فهمى هويدى يقول : «لقد اجتمع زعماء دول الحلف (الأطلنطى) فى لندن الإسبوع الماضى، لتحديد استراتيجية الغرب بعد انتهاء الحرب الباردة، وتفتت حلف وارسو، الأداة العسكرية لدول «الكتلة» الشرقية.. وفى حديث أجرته معه «مجلة نيوزويك» عدد ٢ يوليو» سئل الوزير الإيطالى فى أمور كثيرة تتعلق بمستقبل حلف الأطلنطى، وكان عنوان الحديث هو : لماذا ينبغى أن تتغير مهمة «الناتو» ؟ أحد تلك الأسئلة كان نصه كما يلى: ما دام الغرب لم يعد يواجه بتهديد عسكرى من الكتلة الشرقية، لماذا تحتاج أوربا إلى تلك القوة الضاربة التى يمثلها الحلف ؟ قال السنيور جيانى ديميكليس فى الرد على السؤال : صحيح إن المواجهة مع الشيوعية لم تعد قائمة إلا إن ثمة مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها، بين العالم الغربى والعالم الإسلامى. عندما سئل: كيف يمكن تجنب تلك المواجهة المحتملة؟ أجاب : ينبغى أن تحل أوربا مشاكلها ، ليصبح النموذج الغربى أكثر جاذبية وقبولاً من جانب الآخرين فى مختلف أنحاء العالم ، وإذا فلشنا فى تعميم ذلك النموذج الغربى، فإن العالم سيصبح مكاناً فى منتهى الخطورة».

فى هذه الكلمات الواضحة ، نلاحظ أن للغرب أشياء كثيرة يهتم بها فى المنطقة العربية، وعلى المستوى السياسى المحض، فإن العسكرية الأمريكية، تبحث عن عدوها التقليدى الجديد، بعد سقوط عدوها التقليدى القديم، وغالباً فإن أنظارها تتجه للوطن العربى . فمنطقة الشرق الأوسط، والعالم العربى، مرشحة أن تكون موقع الصراع الدولى، والأطراف المباشرة، لمراكز الصراع بين القوى الكبرى، التى ليست أمريكا وروسيا فقط، بل واليابان وألمانيا وفرنسا (أو أوربا الموحدة)، والصين فيما بعد . بهذا

سوف يصبح الشرق الأوسط، رأس الحراب المتصارعة، وموقع الأحلاف والقواعد، ومنطقة التقسيم ، وحدود التسخين للصراعات، فلماذا ؟ في حدود السياسية هناك العديد من الأسباب، منها :

١- وجود منابع البترول، وأكبر احتياطى له، مع فشل مصادر الطاقة الأخرى حتى الآن فى إلغاء الاحتياج للبترول .

٢- وجود اختلاف حضارى، أى فى النموذج الحضارى بين الغرب والوطن العربى، خاصة بعد سقوط النموذج الأخر، أو العدو الأكثر قوة، أى الشيوعية.

٣- وجود اختلاف دينى، بين الغرب المسيحى والشرق الإسلامى، مما يجعل هناك فجوة أيديولوجية، ويقلل ذلك من إمكانية وجود تجانس أو هيمنة حضارية.

٤- استمرار الشعور بالعداء تجاه الغرب فى الوعى الجمعى للعرب والمسلمين.

٥- استمرار تزايد القوة الإسلامية السياسية الرافضة فى محيط السنة والشيعة، من فصائل اليمين الإسلامى (الأصولية) واليسار الإسلامى (الثورية).

وهناك أسباب أخرى، ولكن ما يهمنا أن المنطقة مرشحة سياسياً، كى تأتى لها الجيوش، وتدور حولها الصراعات.

ومن نافلة القول، أن نؤكد أن المنطقة مرشحة دينياً، ومن منطلق أصولى كى تكون لا موطن القواعد والجيوش، بل موطن الحروب. ومن وجهة النظر الأصولية الصهيونية، فإن العرب والمسلمين، جزء أصيل فى مملكة الشر ، لذلك فإن إبادتهم، حدث سيأتى بفعل إرادة الله، وبالنسبة للأصولية الصهيونية المسيسة، وهى المنتشرة الآن، فإن على الأصولى الإعداد لهذه الحرب، والعمل على تحقيق إبادة مملكة الشر فى أقرب وقت. لذلك يجب أن تقوم حرب فى هذه المنطقة، وذروتها فى هرمجدون فى فلسطين. أما بالنسبة للأصولية غير الصهيونية، والأصولية التبشيرية (الإنجيلية) فإن العالم العربى، والعالم الإسلامى، هو الحصن الذى يمتنع عن التبشير، والذى يجب أن يسقط أمام حملات التبشير، أو الصليبية التبشيرية الجديدة، حتى يصبح العالم كله للمسيح .

من خلال تلك الحيثيات، أصبحت المنطقة هدفاً للصراع، يدور حولها الصراع ،

كما يدور عليها الصراع. وكان علينا أن نتوقع ماذا سيحدث، وكيف ستكون البداية، ومتى تبدأ عملية ظهور الصراع، ولكن صدام حسين أراح العالم من هذا الانتظار، وقام فى حركة انتحارية بغزو الكويت، ليفتح الباب أمام كل الصراعات، لتأخذ طريقها، وتبدأ فصلاً جديداً من الصراع على العالم العربى.

ومع غزو الكويت، سارعت أمريكا بإرسال قواتها إلى الخليج، ودون أن نقيم الأسباب الدافعة لذلك، وتفاصيل سيناريو الأحداث، فإن الذى يهمنا هو الخطوط السياسية العامة. لقد كانت العسكرية الأمريكية تبحث عن مجال عملها الجديد، فكان الخليج، وكانت السياسية الأمريكية تبحث عن حماية أفضل لمنابع البترول، فكانت حرب الخليج. وكانت الاستراتيجية العسكرية الأمريكية ، تعانى من تعنت العرب الواضح أمام فكرة القواعد العسكرية، فجاءت جيوش أمريكا وحلفائها، بكامل قواتها.

وعلى الجانب الآخر، كانت الأصولية الصهيونية تنتظر ملكها الألفى السعيد، أما الأصولية التبشيرية، فإنها تبكى حرب الخليج، كيف ؟ يوضح ذلك أحد العاملين بمركز زويمر، فإن وجود القوات الأمريكية فى الخليج، سوف يؤدى لتفجر مشاعر الغضب تجاه أمريكا، والتى تتزايد مع تزايد التحالف بين النظم العربية وأمريكا. وهذه المشاعر الغاضبة سوف تعطل العمل التبشيرى، وتعيق نشاط المرسلين(١٧) .

وهنا يظهر الفرق بين الأصولية والإنجيلية، فالتيار الإنجيلى (الأصولية التبشيرية، أو السلفية) يهمه أن يقيم روابط مع الشعوب العربية، ويهمه أيضاً المحافظة على المشاعر الإيجابية بين الأمريكيين والعرب، وعدم ظهور التوجهات التعصبية(١٨) . لأن ظهور التعصب تجاه الغرب، والذى يتزايد بسبب حرب الخليج، يؤدى إلى مزيد من الفجوة بين الأمريكيين والعرب، ويعطل عمل المرسلين. لذلك فإن الحركة الإنجيلية، لاتقبل الرفض العنصرى للآخر، لأن رسالتها موجهة للكل، لأنها تريد تبشير الكل، وتريد الجميع للمسيح.

أما موقف الأصولية الصهيونية فهو مختلف تماماً فى هذه النقطة، لأنها ترى أن كل الأشرار، هم مملكة الشر، التى ستحارب وتهزم، ويذهب الأشرار إلى الجحيم.

ولذلك فإن التوجه التبشيرى للأصولية الصهيونية، لايتسع للكل، حيث يبقى دائماً، من هم فى مملكة الشر، وسوف يبقون.

والأصولية الصهيونية، لاتريد حرباً فى الشرق الأوسط فقط، بل وتريد الجيوش الأمريكية فى المنطقة، تحارب بنفسها لأنها زعيم أمبراطورية الخير. كذلك فإن الأصولية الصهيونية، تعلمت من قراءة النبوءات، أن إحدى مراحل النهاية، هى سقوط بابل، وبابل هى العراق، وطاغية بابل ، ليس إلا صدام. وهكذا فإن توقعات الأصولية الصهيونية، تدفعها إلى تأييد الحرب، وتأييد تدمير العراق ، حتى تسقط بابل، وتقترب النهاية، أى تقترب الجيوش من هرمجدون فى فلسطين، لتحارب بقية قوى الشـر.

وكما حدث من قبل، فإن جزءا من السيناريو يتحقق دون الأجزاء الأخرى، وتبقى الأجزاء الأخرى معلقة، كبنود فى جدول أعمال الأصولية الصهيونية السياسية. ولكن الأهم من ذلك، أن نسأل عن موقف الجيوش الأمريكية التى جاءت للخليج، فهل جاءت للأسباب السياسية أم الدينية، التى سبق الإشارة لها ؟

والسؤال، أكثر تعقيداً من أى إجابة ، قد تكشف الأحداث خطأها فى المستقبل. ولكن إحداثيات الصورة، تؤكد أن الجيوش جاءت للأسباب السياسية أساساً، فمازالت المؤسسة السياسية الأمريكية تعمل بنظامها السياسى العلمانى القديم، وبتوجهها اليمينى المحافظ الجديد. وإذا كانت الأسباب السياسية هى التى دفعت القوات إلى الخليج، فإن الأسباب الدينية هى التى جعلت استمرارها، وحربها، ممكنة، فالأسباب الدينية، أضافت للموقف تأييداً دينياً شعبياً للحرب، ومبررات دينية لحتمية خوض الحرب.

وليس أدل على ذلك، من بعض ماجاء فى شبكة CNN قبل الحرب وأثناءها، ومنه :

١- الرئيس بوش يصلى للسلام، قبل بدء الحرب.

٢- الرئيس بوش يتصل ببعض القيادات الدينية بعد انتهاء المهلة التى حددها مجلس الأمن .

٣- أحد الزعماء الدينيين، يقيم فى البيت الأبيض ليلة الحرب .

٤- بوش يشترك فى الإعداد ليوم الصلاة من أجل الأزمة (يوم إفطار الصلاة الرئاسى السنوى) .

٥- بوش يدعو الأمريكيين للصلاة للمحافظة على أرواح الجنود الأمريكيين، (لاحظ : لا لوقف الحرب) .

٦- أعداد متزايدة من الأمريكيين، يعتقدون أن الحرب هى علامة لنهاية العالم .

٧- بوش يؤكد أنه تعلم، أن رئيس أمريكا يجب أن يكون ملتزماً ويعرف الله.

والعلامات كثيرة، والسؤال يبقى، هل هى حرب دينية أم سياسية ؟ لقد قال بوش لصدام، عبر التليفزيون، أنها ليست حرباً دينيه، بل حربًا سياسية، من أجل القانون الدولى والشرعية، ولكن يبدو أن الواقع يؤكد بالفعل أنها حرب سياسية، ولكنها أيضاً حرب لاتخلو من خلفية دينية ، إن لم يكن فى كل العقول، ففى رأى الأصوليين على الأقل، ومنهم جورج بوش نفسه.

* * *

هوامش الفصل الثانى :

(١) يوسف الحسن، البعد الدينى فى السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى - الصهيونى. بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠، ص ٣٢.

(٢) Marty, M. Fundamentalism as a social phenomenon. In. G. Marsden (Ed) Evangelicalism and modern America. Michigan: Eerdmans, 1984.

(٣) Pierard, R. The new religious right in American politics. In G. Marsden (Ed) Evangelicalism and modern America. Michigan: Eerdmans, 1984.

(٤) Prolife Activist

(٥) Christianity Today, 19 Feb., 1988, p. 52.

(٦) Secularism

(٧) Christianity Today, 19 Feb., 1988, 33 - 34.

(٨) المرجع السابق.

(٩) Hatch, N. O. Evangelicalism as a democratic movement . In G. Marsden (Ed) Evangelicalism and modern America. Michigan: Eerdmans, 1984.

(١٠) يوسف الحسن ، مرجع سبق ذكره .

(١١) Lindsey, Hal. The Late great planet earth. Michigan: Zondervan, 1977.

(١٢) Armegdon

(١٣) غريس هالسل. النبوءة والسياسة : الإنجيليون العسكريون فى الطريق إلى الحرب النووية. (ترجمة محمد السماك). ليبيا: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٩٩٠.

(١٤) المرجع السابق.

(١٥) المرجع السابق، ص ٢٢.

(١٦) Jameson, V., & Stimson, E. Where they stand. Presbyterian Survey, Oct., 1988, 10-14 .

(١٧) U. S. Gulf policy challenged. Christianity Todey, Oct 22, 1990, p. 64.

(١٨) Neff, D. Love thy (Arab) neighbor. Christianity Today. Oct 22, 1990, p. 22.

الفصل الثالث

أصولية على نمط العصر ...

كان بعض المهاجرين الأوائل ، إلى أمريكا، من المتطهرين، المتأثرين بالنزعة التطهرية التى سادت فى انجلترا. وأدى ذلك إلى وضع جذور دينية أصولية، للولايات المتحدة الأمريكية. ولكن الأمر لم يتوقف على دور المؤسسين الأوائل، بل تعدى ذلك، إلى الروح العامة التى صاحبت الهجرة إلى أمريكا، فقد ظل «الرجاء» ، جزءاً أساسياً من التوقعات «الميسيانية» (نسبة إلى قدوم المخلص) للتيار الأصولى. ومع المهاجرين الأوائل، ظهر الشعور بالرجاء الجديد، فى العالم الجديد، أمريكا.

«لقد رؤى أن أمريكا هى «أرض الميعاد». والمهاجرين مثل بنى إسرائيل يهربون من الأسر تحت نير سادة العالم القديم»[1] . والهجرة، هنا، هى الرجاء الجديد. وبالنسبة للأصوليين، فإن الرجاء يأتى من الإيمان، أى أن إيمان الفرد يدفعه لكى يعيش على الرجاء، وهو رجاء القيامة والحياة الآخرة، بالنسبة للمسيحيين عامة، وهو رجاء المملكة المسيحية المنتظرة، بالنسبة للمؤمنين بالملك الألفى، وهو رجاء أن يكون العالم كله للمسيح، بالنسبة للأصولية التبشيرية (اللا ألفية)، والأخيرة تنتمى لحركة الأطهار، المهاجرين الأوائل لأمريكا.

والمتطهرون الأوائل، رأوا أن أمريكا هى أرض الميعاد، أى هى الأرض التى سيقيم فيها الله، للمؤمنين، وطناً ومملكة للخير. وهذه الرؤية الدينية، التى جعلت من الأرض الأمريكية، أرضاً لها طبيعة دينية خاصة، هى التى جعلت المهاجرين الأوائل، من الأطهار، يتميزون بحالة إيمانية خاصة، فأرض الميعاد، لأصحاب الميعاد. لذلك، بدأ يظهر بين الأمريكيين الأصوليين الأوائل، شعور بأنهم شعب مختار أو مميز، وهذا الشعور ما كان له أن يتأكد إلا من خلال التوحد مع الشعب اليهودى، كتصور كتابى دينى، وكشعب يوجد بالفعل، لقد رأى الأطهار الأوائل، من أنفسهم شعباً يهودياً

جديداً، أو امتداداً للشعب اليهودى .

فى هذا المناخ ، كانت الجذور الأولى للمجتمع الأمريكى، تعطى للفكر اليهودى مساحة كبيرة، مما جعل المجتمع الأمريكى مخترقاً من قبل الفكرة اليهودية، ومن بعدها الفكرة الصهيونية. وفى بداية نشأة المجتمع الأمريكى، رحب الأمريكيون الأطهار بقدوم اليهود، وتوجه الأطهار بقوة نحو تبشير اليهود(٢) . والمعنى واضح من وراء ذلك فهو تعبير عن رغبة عميقة للتوحد بين الأمريكيين الأصوليين واليهود، وهو توحد يتوج بتحول اليهود إلى المسيحية، وتصبح أمريكا هى أرض الميعاد، ويصبح اليهود والأصوليون الأمريكيون، هم شعب الله المختار.

إن هذه الخلفية، تصلح لتفسير الكثير من الظواهر المنتشرة فى الولايات المتحدة الأمريكية، ونعنى بها الحركات المسيحية الجذرية، وهى حركات انشقاقية، وهامشية، أى أنها حركات صغرى، تتجاوز بأفكارها التيار الأصولى، وترفض غالباً من معظم التيارات المسيحية، بما فيهم التيار الأصولى.

وهذه الحركات المنتشرة فى الولايات المتحدة (٣) ، بدرجة أكبرمن الدول الأخرى، تقوم على عقائد نبوية واضحة، فمؤسس «المورمون»، قام بتأسيس هذه الجماعة، بناءً على ظهور الله له، وإعطائه النبوة. كذلك بالنسبة «لأطفال الله» حيث تلقى مؤسسهم النبوة، وقال أنه سيكون موسى، الذى يقود شعب الله، بعد حلول كوارث لهم. وشهود يهوه، مثال آخر، حيث يؤمنوا أن المسيح قد عاد فى عام ١٩١٤، وأعلن بذلك بداية تكون مملكته الأرضية.

هذه النماذج توضح، كيف تقوم مفاهيم «الرجاء» و«الميعاد»، بدور كبير فى الحياة الدينية الأمريكية. والأهم من ذلك، أن النماذج السابقة، تؤكد أن الحركات الجذرية المنشقة، تخرج عن التيارات المسيحية السائدة، لأنها تبحث عن رجاء جديد، وأرض ميعاد جديدة.

ولما لا ، فأمريكا لم تعد أرض الميعاد، فما كان ينتظره الأطهار الأوائل لم يتحقق، وأمريكا كغيرها ، أصبحت مع سنوات القرن العشرين دولة علمانية، يسود فيها الفكر الليبرالى والإلحادى. وأمريكا أيضاً، هى التى وصلت فى ستينات القرن

العشرين، إلى قمة مأساتها الدينية والأخلاقية، وقمة أزمتها مع حرب فيتنام. أما شعب الله المختار، فلم تتحقق أمانيه، فلا اليهود تحولوا للمسيحية، ولا توحد الأطهار مع اليهود.

وهكذا ، في ستينات القرن العشرين، يظهر رجاء جديد، وأرض ميعاد جديدة. فالرجاء هو عودة اليهود إلى فلسطين، وأرض الميعاد هي فلسطين، ولكنها أرض رمزية، لن يرحل لها الأمريكيون، بل يرحل لها اليهود، فتحل بركات الميعاد على أرض أمريكا، ويتوحد الأصوليون مرة أخرى مع اليهود. فعودة اليهود، وانتصارهم على أعدائهم، يؤكد أنهم شعب الله المختار، وكل من يساعد شعب الله المختار، فهو من شعب الله المختار. ومع عودة مفاهيم «الرجاء» و«أرض الميعاد»، و«شعب الله المختار»، يصل الأصوليون إلى ذروة إندفاعهم، مع ثمانينات القرن العشرين، حيث يتوجهوا بقوة، إلى محاولة فرض سيطرة قوة الخير (أمريكا) على العالم، من خلال انتصارها الرمزي (دولة إسرائيل) ومن خلال رجائها الملح ، أن يكون العالم كله للمسيح.

أزمة الستينات :

عندما نتابع الحركة الأصولية المعاصرة في أمريكا، والتي تسمى «الحركة الإنجيلية»، نلاحظ مع أحد دارسي هذه الحركة[٤] ، أن جذورها المباشرة، تمتد إلى أزمة الستينات، التي يعرفها الباحث بأنها «أزمة السلطة»، و«أزمة الهوية». فالكثير من الباحثين، يرجعون ظهور الحركة المعاصرة، إلى أزمة الليبرالية المسيحية في الستينات، وجوانب الأزمة، تلقي الضوء على أسباب ظهور الحركة.

ومن أهم هذه الجوانب، فقد المسيحي للهوية المميزة له، أي شعوره بالغربة والاغتراب، مما يدفع المسيحي للسؤال عن هويته، وماذا تعني. من جانب آخر، فإن لليبرالية المسيحية، دوراً في إعادة طرح تساؤلات رئيسية، عن الجوانب العقائدية الأساسية . فالليبرالية لم تقدم عقيدة ثابتة، ومقولات محددة، بقدر ما طرحت تساؤلات وموضوعات للدراسة ، ولا تقول الشك. بهذا بدأ مصدر السلطة المطلقة يهتز، ولم تعد هناك حقائق مطلقة أو سلطة مطلقة.

والحقيقة، إن القضية ليست فيما تقدمه الليبرالية من فكر حر، ولاهوت متغير، ولكن المشكلة الرئيسية، فى الزمن الذى تقدم فيه هذه الأفكار، ففى فترات الاستقرار النسبى، يمكن أن نطرح تساؤلات، ونترك مجال المشروع العقلى مفتوحاً، فالحاجة إلى المطلق الثابت تقل، أى أن احتياج الإنسان لأفكار نهائية ليخضع لها تكون أقل، كلما قل التوتر الحادث فى المحيط الاجتماعى.

ولكن أزمة الستينات فى الولايات المتحدة، كانت تدفع المجتمع تجاه التوتر. فبعد الحملة المكارثية ضد الشيوعية، ومن خلال ظهور حركة البيتلز، وإنتشار تدخين المارجوانا، وذيوع موسيقى الزنوج، وحرب فيتنام، ومقتل كنيدى أو غيرها، من خلال كل هذه الأحداث، مر المجتمع الأمريكى بأزمة هوية حادة، وفى هذه الأزمة، يبحث الفرد عن هوية تراثية ممتدة له، ويبحث عن مصدر مطلق للسلطة، ويجد ذلك فى الأصولية الدينية، التى تمده بالهوية الدينية، الممتدة عبر التاريخ، وهو تاريخ الأصولية والأطهار، كذلك تمده بالسلطة الكتابية الإلهية المطلقة.

ولعل دارسى الحركات الدينية حول العالم، سيلاحظون أن أزمة الستينات، تظل العامل المشترك الأول، بين مختلف الحركات الدينية، اليهودية والمسيحية والإسلامية، لذلك نستطيع أن نؤكد أن الأصولية المعاصرة (اليمين الدينى) كذلك اليسار الدينى الثورى، ولدا فى رحاب أزمة الستينات .

١٩٦٧ :

سيظل هذاالتاريخ، ذا دلالة خاصة فى تاريخ الظاهرة الدينية، ويمكن أن نتبين بعض تلك الدلالات :

١- أدت هزيمة ١٩٦٧، إلى الإسراع من ظهور الأصولية الإسلامية، كبديل عن النظم التى أدت إلى الهزيمة، وكتعبير عن معاناة الشباب بسبب عنف الهزيمة.

٢- أدى انتصار ١٩٦٧، بالنسبة لإسرائيل، إلى تقوية شوكة الأصولية اليهودية، لأنها فسرت الانتصار بأنه دليل على تأييد الله لها .

٣- أدى انتصار ١٩٦٧ بالنسبة لإسرائيل، إلى ظهور أفكار قوية بين الأمريكيين تؤكد أن هذا الانتصار يمثل دعماً من الله لإسرائيل، لأنها شعب الله المختار،

مما ساعد على ظهور الأصولية المسيحية بقوة ليس لها مثيل.

٤- أدى انتصار ١٩٦٧، إلى دعم أفكار الأصولية المسيحية، المؤمنة بعودة اليهود وانتصارهم، تمهيداً لقدوم المسيح، مما ساعد على خروج الأصولية من سلبيتها النسبية، وهو ما كان واضحاً فى تحول جيرى فلويل، من الوعظ الدينى إلى الدور السياسى المباشر، فقد كان هذا النصر، رسالة استخدمتها الأصولية، لتؤكد أنها تعرف الحق(٥).

٥- قارن الشباب الأمريكى بين هزيمتهم فى فيتنام، وانتصار اليهود، وفسر ذلك بأن الله لم يكن معهم، وكان مع اليهود لأنهم شعبه المختار. لذلك ظهر اتجاه قوى، يقول إننا يجب أن نساعد اليهود، لكى يكون الله معنا، وبهذا فتح أمام الصهيونية المسيحية طريق للانتشار والازدهار.

٦- بدأ الليبراليون المسيحيون، ينظرون لليهود بحذر، لأنهم أصبحوا دولة معتدية لاشعب مظلوم. ومن هنا بدأت اتجاهاتهم تتغير، لتميل أكثر نحو حقوق الشعب العربى، والاعتراض على الممارسات الاستعمارية لدولة الاحتلال الإسرائيلى.

٧- بدأ اليهود يفقدون تأييد الليبراليين نسبياً، فاتجهوا بكل قوة نحو كسب تأييد الأصوليين، خاصة الأصوليين الصهيونيين.

هكذا تغيرت الصورة، وأصبح تاريخ ١٩٦٧، زمناً لميلاد قوة الأصولية حول العالم. لذلك لايمثل هذا التاريخ سبباً لها، لأن ما فيه من هزيمة ونصر، كان دعماً للأصولية. والأقرب أن هذاالتاريخ، هو لحظة ظهور الأصولية، بدرجة يمكن ملاحظتها، كما أنه المبرر الذى استخدم فى خطاب الأصولية، بمختلف تياراتها، ودياناتها.

كنائس الخط العام :

يمكن تمييز الكنائس البروتستانتية فى الولايات المتحدة الأمريكية من خلال تحديد الكنائس الرئيسية، أو كنائس «الخط العام»(٦)، والكنائس الفرعية. ويعود هذا التمييز إلى موقع الكنيسة الطبقى، ودورها فى المجتمع. ويلاحظ أن كنائس الخط العام، هى الكنائس المشيخية والأسقفية (أى الإنجليكانية، وهى كنسية إنجلترا)،

والتجمعاتية (أو الكنائس المستقلة)، والميثوديست (المنهجيين). كذلك، يمكن اعتبار الكنيسة اللوثرية، أقرب إلى الخط العام، أو في موضع متوسط بين الخط العام والفرعي، وهذا التصنيف، يختلف عما طرحه يوسف الحسن[٧] ، الذي جانب الصواب في تصنيفه.

فكنائس الخط العام، هي الكنائس الأساسية، الأقدم من حيث المنشأ. كذلك فهي كنائس الصفوة الحاكمة. وفي تاريخ هذه الكنائس، عدد من النقاط التي تدعو للتوقف فهذه الكنائس، كانت تتميز بالنزعة الأصولية التطهرية، وذلك منذ نشأتها، مع بداية الهجرات الأولى للولايات المتحدة، واستمر هذا الوضع، ففي القرن التاسع عشر، خرجت من هذه الكنائس، خاصة الكنيسة المشيخية، حملات تبشيرية كبيرة. وإرساليات الكنيسة المشيخية، هي التي جاءت إلى الوطن العربي، إلى الشام ومصر، وهي التي أسست الكنائس المشيخية في تلك الدول، والتي سميت الكنائس الإنجيلية، بدلاً من المشيخية .

في ذلك الوقت، كانت تلك الإرساليات تتميز بالأصولية والتشدد، دون أن يكون لذلك علاقة بالصهيونية والملك الألفي. فهذه العقيدة لا مكان لها في كنائس الخط العام، سواء في أمريكا، أو في غيرها من الدول. لهذا ، فإن الفكر الذي قدم مع المرسلين، وأسس الكنيسة الإنجيلية في الوطن العربي، كان فكراً يميل إلى التزمت والزهد، والأفكار التطهرية.

بعد ذلك، تغير وضع هذه الكنائس، خاصة منذ ١٩٢٠ وما بعدها. وظهر هذا التغيير في أمريكا، كما ظهر في ارسالياتها. ففي هذه الفترة، بدأ الميل نحو الليبرالية، يأخذ طريقه بين هذه الكنائس، ومنها الكنيسة المشيخية. وهو ما ظهر في مصر مثلاً، حيث نجد أن بعض المرسلين المشيخيين في مصر، في ذلك الوقت ، يؤكدون على أهمية النزعة الليبرالية، وهو ما أدى إلى تحول الجامعة الأمريكية في مصر، من جامعة دينية، إلى جامعة علمانية، واستمر تأثير هذا الوضع، على المدارس التابعة للإرسالية، حيث بدأت تتحول تدريجياً إلى مدارس لغات عامة، أي علمانية إلى حد ما .

منذ ذلك الحين، أصبحت كنائس الخط العام فى أمريكا، أميل إلى الليبرالية. وبدأت تتحول تدريجياً، نحو الفكر الحر، واللاهوت الليبرالى، وصاحب ذلك المصالحة بين فكرها الدينى والنظام العلمانى السائد، كما فتح الباب أمام ظهور الاتجاهات اليسارية داخل هذه الكنائس.

ولم يكن هذا التحول بعيداً عن المجرى العام للمجتمع الأمريكى. فكنائس الخط العام، ومنذ نشأتها التطهرية الأولى، كانت ترتبط بالدولة ونظامها، وعندما كانت هذه الكنائس أميل للأصولية، حتى بداية القرن العشرين، كانت الدولة أيضاً أميل للمحافظة السياسية والحضارية. ومنذ عشرينات القرن العشرين، وبعد الحرب العالمية الأولى، ظهرت التوجهات العلمانية والماركسية والليبرالية، بقوة فى الولايات المتحدة، ومعها ظهر تغير توجه كنائس الخط العام، كجزء من البنيان الرئيسى للمجتمع، وكذلك كمؤسسة على علاقة وثيقة بالدولة.

بهذا المعنى، كانت كنائس الخط العام، تمد الدولة والمجتمع، بعناصر الصفوة سواء فى المرحلة الأولى الأصولية، أو فى المرحلة الثانية الليبرالية. وهو ما جعلها بحق، كنائس الطبقة العليا، وبالطبع ، فإن التحول كان تدريجياً. والليبرالية التى ظهرت فى كنائس الخط العام، فى العشرينات، لاتقارن بما ظهر بعد ذلك فى الستينات والسبعينات وما بعدها.

وأمام هذا الوضع المميز لكنائس الخط العام، كانت الكنائس الأخرى ترفض هذه المواقف وتدينها. فلقد وجه لكنائس الخط العام أكثر من اتهام ، منها أنها ترتبط بالدولة وتنفذ سياستها، وأنها تترك العنان للفكر الليبرالى، وكذلك يخترقها الفكر اليسارى. وبهذه المعانى، بدأت تظهر تيارات أصولية جديدة، وأكثر تشدداً، وذلك منذ ١٩٢٠ وما بعدها، حيث ظهرت «الحركة الأصولية» وهى من الملامح المميزة للظاهرة الدينية فى أمريكا. ولقد رأت التيارات الأصولية الجديدة ، أن كنائس الخط العام أصبحت جزءاً من الحضارة العلمانية السائدة، وجزءاً من النظام السائد بكل عيوبه ومشكلاته. ومن هنا، تزايد الرفض والخروج على كنائس الخط العام.

وعلى الجانب الآخر، تقف كنائس الخط الفرعى ، وهى الكنائس المعمدانية

والرسولية وغيرها وهذه الكنائس تمثل التيارات الأكثر تشدداً، أو الأصولية ، فى المسيحية. ومع ذلك، علينا أن نلاحظ، أن وضع الطائفة يتغير حسب المكان والزمان، وبعض من يتميز فكره – أساساً – بالأصولية، يمكن أن يصبح أميل لليبرالية. وكنائس الخط الفرعى، تنتمى إلى الطبقات الأدنى، وأعضائها من الفئات الأقل حظًا، هذا كان شأنها عبر فترة زمنية طويلة.

ومنذ بدايات هذه الكنائس، كانت تميل للأصولية والتطهر، وكذلك كانت تزخر بموجات الإحياء، وفيها، ومنها، ظهر الفكر الألفى، والصهيونية المسيحية، منذ النصف الثانى من القرن العشرين. فكانت هذه الكنائس، هى المعين الذى ظهرت منه، الأصولية سواء الألفيه، أو غير الألفيه. ففى بدايات القرن العشرين (حول ١٩٢٠) كان الألفيون غير الأصوليين، بل كان بينهم تعارضات مهمة، فى حين أن كلا الفريقين تجمعاً وتوحدا، بعد ذلك (حول ١٩٦٧) .

كانت الصورة، فى عشرينات القرن العشرين، تمثل كنائس خط عام، لها علاقة بالدولة والصفوة، وتميل تدريجياً لليبرالية، وكنائس خط فرعى، تمثل المعارضة الدينية، إن صح التعبير، وترفض كل من كنائس الخط العام، والدولة. فقد كانت المعارضة الدينية للدولة، تأتى من الخط الفرعى الأصولى، أما التأييد فقد كان يأتى من الخط العام الليبرالى، ولكن الصورة أخذت فى التغير، عبر الأربعينات والخمسينات والستينات، ولكن التغير كان جنيناً .

ومنذ السبعينات، وخاصة فى الثمانينات ، أصبحت الصورة مختلفة تماماً، فقد استطاع أبناء الخط الفرعى، الأصولى، الوصول إلى مقاعد السلطة، وتنظيم نفسهم سياسياً، مما جعل منهم قوة لايستهان بها. وهكذا، استطاع التيار الأصولى اختراق نظام الدولة، فهو لم يتحالف مع الدولة، بل اخترقها من الداخل، وهنا بدأت الدولة الأمريكية ، تميل أكثر إلى الأصولية، وأصبحت كنائس الخط الفرعى، هى مصدر رجال السياسة، خاصة رئيس الولايات المتحدة.

وتغيرت الصورة جذرياً، فكنائس الخط العام، أصبحت كنائس صفوة لاتحكم، وأصبحت الأقل عدداً، وبدأ نفوذها يتضاءل، لدرجة أن المجلس الممثل لها، وهو

«المجلس الوطنى لكنائس المسيح بأمريكا» أصبح يعانى من هجمات الأصوليين عليه، ويكافح، فقط ليعيش. وبهذا، بدأ موقف كنائس الخط العام السياسى يتغير، فلقد أصبحت تمثل المعارضة الدينية للدولة، بل إن مواقفها من رونالد ريجان مثلاً، تعد مؤشراً للفجوة بين الصفوة الليبرالية، والصفوة الأصولية الجديدة. أما عن الأصوليين، فبعد أن كان اتهامهم لكنائس الخط العام، يركز على عمل الليبراليين بالسياسية، أصبح الأصوليون من أهم القوى التى تحرك السياسة. ومن خلال اختراق الدولة، والتحالف مع قوى اليمين المتطرف العلمانى، أصبح الأصوليون الذين تميزوا بالميل للانعزال عن الحياة، قوى جديدة تحاول تشكيل الحياة.

وعند هذه النقطة، مثل غيرها، نستطيع أن نلمح بوضوح، أن المسيحية فى أمريكا، تعانى من ثنائية شديدة، تنطوى على صراع قوى، بين الأصولية من جانب والليبرالية واليسارية المسيحية من جانب آخر.

المعتدلون : العدو الثانى :

عندما يركز التيار الأصولى، على العلمانية، باعتبارها العدو الأول، فإنه لاينسى أن هناك أعداء آخرين داخل المجتمع الأمريكى، ولكن العدو هذه المرة ليس علمانياً بقدر ما هو مسيحى. ففى الولايات المتحدة، مثل غيرها، العديد من التيارات الدينية، المتباينة من حيث مواقفها الفكرية. والتنافس والصراع، بين تيار وآخر، يزداد ويقل حسب السياق المحيط. وفى أمريكا المعاصرة، فإن التنافس دائم، والصراع يتزايد، والسبب الحقيقى وراء ذلك، هو اهتمام الكل بالحضارة الأمريكية، التى تتغير منذ أزمة الستينات، فالكل يريد أن ينتصر مع التغير الجديد، ويريد أن يحقق وضعاً مؤثراً فى المستقبل القادم، أو حسب التعبير الأمريكى، فإن الكل يريد «جزءاً من كعكة التفاح».

وإذا كان فى أمريكا تيار أصولى، فإن هناك تياراً دينيًا ليبراليًا، وتياراً دينيًا يساريًا. ولكن التيار الأصولى المسيحى، هو بحق، التيار الثانى فى أمريكا، من حيث القوة، وبعد التيار العلمانى مباشرة، خاصة منذ بداية الثمانينات، ومع وصول سياسى أصولى إلى مقعد الرئاسة فى البيت الأبيض، وهو رونالد ريجان. وأهم من

ذلك فإن التيار الدينى الليبرالى أو اليسارى، يضاف - فى النهاية - إلى التيار العلمانى العام، أو بمعنى أدق، قد يعتبر إحدى فصائل التيار الليبرالى واليسارى العلمانى، وإن لم يكن هذا التصنيف دقيقاً، فإنه صحيح على الأقل بالنسبة للأصوليين.

فالليبرالية واليسارية المسيحية، تمثل منافساً للأصولية على نفس الأرض ولكن الأهم من ذلك، أن أتباع هذه التيارات، يمثلون المخزون البشرى المتاح للأصولية . فمن السهل، أن تحول المسيحى من الليبرالية إلى الأصولية، عن أن تحول العلمانى إلى الأصولية، لهذا كان هجوم الحركة الأصولية (الحركة الإنجيلية) الأول على الكنائس البروتستانتية، وبعد أن تحققت لها السيادة على الكنائس البروتستانتية المحافظة (المعمدانية والرسولية والخمسينية والأخوة وغيرها)، أصبح هدفها الحالى هو الكنائس البروتستانتية الليبرالية واليسارية (المشيخية واللوثرية وغيرها).

وبالطبع فإن الكنائس المشيخية واللوثرية، ليست كلها ليبرالية أو يسارية (بالمعنى النسبى)، ولكن قياداتها وأغلبيتها وفكرها المعلن، يتجه هذا الاتجاه. وهذه الكنائس كانت تمثل الأصولية فى القرن السادس عشر ، مع بداية ثورة الإصلاح، ثم أصبحت محافظة ثم معتدلة، وذلك مع ظهور الطوائف البروتستانتية الأكثر تشدداً، منذ القرن السادس عشر، ثم الثامن عشر، والقرن العشرين، وأصبح اتجاه هذه الكنائس، يؤهلها أن تصبح القوة المسيحية الليبرالية، أو اليسارية، فى النصف الثانى من القرن العشرين، ولكن وبعد أن كانت لها السيادة، ظهرت قوة الأصولية منذ السبعينات ، لتضرب الليبرالية واليسارية بقوة فى الثمانينات، وننتظر نهاية المعركة فى التسعينات، لنعرف من سينتصر ؟

والعلاقة بين التيار الأصولى، والكنيسة المشيخية الأمريكية، كأبرز ممثل لليبرالية واليسارية المسيحية، تحتاج إلى تأمل، لما فيها من عناصر غريبة. فالتيار الأصولى له لا فقط أتباع، بل أيضاً منظمات تابعة داخل الكنيسة المشيخية(٨) . وهذه المنظمات تعمل على تحويل المشيخية تدريجياً للأصولية. وتفعل ذلك، بمنطق محدد، وهو تقديم الإتهام تلو الآخر، للتيارات الكنسية المشيخية، باعتبار أنها تنازلت عن «أصول»

العقيدة، وأنها لم تعد كنيسة تبشيرية، وأنها فقدت حماسها الدينى، وغير ذلك.

ورداً على ذلك، فإن الكنيسة المشيخية، تحاول تحجيم التيار الأصولى بداخلها، ولكن فى تنظيماته التى توجه لها نقد عنيف فقط، أما أن تقف الكنيسة فى وجه الأصولية (الإنجيلية حسب التعبير الأمريكى) فإن هذا لايحدث دائماً، بل أحياناً. فالكنيسة المشيخية تواجه الأصوليين ، بسبب تطرفهم، وممارساتهم الانفعالية، وجمود تفكيرهم، وتدخلهم الفج فى السياسة، بمنظور طائفى. ولكن الكنيسة المشيخية لاتمتد بالمعارك إلى ما هو أكثر من هذا . والحقيقة أن الفكر الليبرالى واليسارى المسيحى، فى أمريكا، فكر صفوة ينقصه الجماهير، والأصولية لها الجماهير، وعلى الآخرين أن يدللوا الأصوليه. حتى لايفقدون الجماهير.

أما الأصوليون، فإنهم يواجهون بحدة أكثر، فهم لايريدون «جزءاً من كعكة التفاح» بل الكعكة كلها، ويفسر الأصوليون انخفاض شعبية الكنيسة المشيخية فى أمريكا، لالتصاقها باللاهوت والسياسة اليسارية. ويرى البعض، أنه لايمكن أن نرسل أبناءنا إلى كنيسة (يقصد المشيخية) لاتعلم الوصايا العشر، بقدر ما تؤيد سياسة الحكومة الأمريكية(٩) . والمعنى الواضح هنا ، أن الكنيسة المشيخية، نظراً لتوجهها الليبرالى أو اليسارى، تؤيد العلمانية، وهذا ما يجعلها أقرب الى الدولة، ولكن الأكثر طرافة، أن الدولة الأمريكية نفسها، لم تعد علمانية بهذا القدر، والصورة أصبحت فجه، ومنذ تولى رونالد ريجان للرئاسة. فقد أصبحت الليبرالية واليسارية ، العلمانية أو المسيحية فى مقعد المعارضة، وأصبحت الكنيسة المشيخية الأمريكية، مثلها مثل الحزب الديمقراطى ، فى موقف المعارض.

سياسة الأصولية :

إن تتبع تاريخ الحركة الأصولية، منذ بداية القرن العشرين، فى أمريكا، يكشف الكثير عن دور السياسة فى الحركة الأصولية، وكذلك دور الحركة الأصولية فى السياسة . فكما لاحظ مؤرخ الحركة الأصولية، جورج مارسدن(١٠) ، فإن الحركة الأصولية، ومنذ بدايتها، كانت محل شكوك من أعدائها ، الذين شكوا فى وجود بعد سياسى قوى فيها. وهذه النظرة، هى التى جعلت الشكوك تحوم حول الأصوليين، فى

فترة الحرب العالمية الأولى، حيث ساد الاعتقاد أن الألفيين (المؤمنين بعودة المسيح لحكم الأرض) يتلقون الدعم المادى من ألمانيا. فانتظار الألفيين للملك الألفى للمسيح، يدفعهم لانتظار المعركة الأخيرة بين الخير والشر، والتى ستمهد لقدوم المسيح، لذلك سنجد الألفيين، أكثر احساساً بقدوم نهاية العالم، كلما مر العالم بحروب مدمرة. فالحرب العالمية الأولى، والحرب العالية الثانية، كذلك حرب الخليج فى ١٩٩١، كلها لحظات تزيد إيمان الألفيين، بأن نهاية العالم قريبة، وأن عودة المسيح لحكم العالم، سوف تتحقق فى سنوات قريبة منظورة.

إن هذا الموقف ربط منذ البداية بين الأصوليين والألفيين، والعسكرية . فعبر مستويات الحركة الثلاث، فإن الإنجيلية (تماثل السلفية) أقل أجنحة الحركة قرباً من العسكرية، أما الأصولية، فهى الإنجيلية العسكرية، أو السلفية الإقتحامية. وفى المستوى الثالث يأتى الألفيون، باعتبارهم إما دعاة حرب، أو أنهم فى انتظار الحرب، ورغم الارتباط العقائدى بين الألفيين والحرب، إلا أن فريقاً منهم يرفضون الاشتراك فى الحروب، باعتبار ذلك خطيئة، أيا كانت الأسباب.

على صعيد آخر، فإن الأصولية منذ البداية، طرحت أفكاراً جعلتها فى صف الرأسمالية[11] . لذلك رأى معارضوها، أنها أفضل بديل دينى، وحليف متاح للرأسمالية. والسبب فى ذلك، أن الأصولية منذ البداية، كانت تميل إلى تأكيد القيم الفردية ، باعتبار أن الخلاص والتطهر، هى عملية فردية، بين الإنسان والله. كذلك ، فإن الأصولية كانت القوى الأكبر التى تحارب «الإنجيل الاجتماعى» ، وهى حركة ظهرت منذ أوائل القرن العشرين ، وتعد مرحلة مهمة فى تاريخ اليسار المسيحى الأمريكى.

من جانب آخر ، فإن الأصولية لم تنادى بالثورة، كذلك ولأن الأصولية متأثرة بالألفية، وتنتشر فيها الانتظارات الإيمانية للملك القادم، فإن الأصولية بدأت تتجه ومنذ العشرينات، إلى رفض الثوره والإصلاح بالمفهوم اليسارى والماركسى، لذلك اعتبرت الأصولية، إحدى أهم القوى التى تساند الرأسمالية، لأنها تبشر بالملك القادم، والألف سنة السعيدة، والمسيح المنتظر، أى أنها تبشر «بالحلم» الذى ينتظره

الجميع، والمخلص الذى يخلص العالم من كل الشرور.

وهذه الدعوة ، تقدم لكل شخص مؤمن، الانتظارات والرجاء الذى يريده، وهو رجاء مبنى على حتمية عقائدية، سوف تحدث فى زمن معين، دون فعل من الإنسان. بذلك ، أصبحت هذه الانتظارات هى بديل الثورة، خاصة عندما تبشر الحركة بهذه الأفكار بين الفئات المطحونة والمظلومة، فإنها بذلك، تدعو المظلومين للصبر، والانتظار لأن الملك السعيد قادم . وعبر تاريخ الفكر الألفى ، فإنه كثيراً ما أكد على أن الملك الألفى قادم بعد سنوات محدودة، وهنا يصبح الانتظار واللهفة، قادرة على شحذ كل قوى الإنسان نحو لحظة سعيدة قادمة من السماء.

بهذه المعانى، كانت الأصولية، ومازالت، تقلل من فرص الثورة، والتمرد الاجتماعى، وانتشار الفكر اليسارى الثورى. بهذا، كانت وما زالت، من أهم القوى التى تساند الرأسمالية العالمية، ومع ظهور تحالف أو تقارب بين الليبرالية والعلمانية واليسارية، فى المناخ الأمريكى، ومنذ بداية القرن، أصبحت الأصولية أكثر تحالفاً مع قوى اليمين المحافظ، والرأسمالية. كذلك، فإن الأصولية تركت كل مفاهيم العمل والإصلاح الاجتماعى، حتى تفصل نفسها عن القوى المضادة لها.

وفى بداية القرن العشرين كانت الأصولية حركة تعادى نظرية التطور، وتعادى الكاثوليكية، كما أنها كانت تعادى اليهودية والصهيونية، خاصة بعد نشر كتاب بروتوكلات حكماء صهيون(١٢) . فالأصولية فى النصف الأول من القرن العشرين كانت ضد الصهيونية، أما الألفية بإعتبارها فى قلب الأصولية فكانت صهيونية تماماً. وهو ما تغير فى النصف الثانى من القرن العشرين، حيث انتشرت الاتجاهات الصهيونية عبر الألفيين والأصوليين، ولم يبق إلا بعض الأصوليين التبشيريين (الحركة الإنجيلية) الذين ليسوا ضد اليهود والصهيونية، ولكن ليس لهم اتجاهات مناصرة لليهود، وهم فئة نادرة.

من رفض الإصلاح إلى العمل الاجتماعى :

إن موقف الأصولية من الإصلاح الاجتماعى، أو العمل الاجتماعى، مر بمراحل متميزة ولها دلالتها، وهى :

١- المرحلة الأولى : مرحلة الإصلاح الاجتماعى، فيما قبل الحرب العالمية الأولى.

٢- المرحلة الثانية : مرحلة رفض الإصلاح والعمل الاجتماعى، بين الحربين خاصة.

٣- المرحلة الثالثة : مرحلة طرح مفاهيم العمل الاجتماعى والتنمية .

والمرحلة الأولى، تمثل جذور الأصولية بتياراتها المختلفة، حيث كان الأطهار الأوائل، والإحيائيون، ثم الأصوليون، يتبنون قضايا الإصلاح الاجتماعى، كجزء من تكوين المجتمع الأخلاقى المسيحى المنشود.

هذه الصورة، تغيرت بشكل جذرى وملحوظ، بعد الحرب العالمية الأولى، وبدأ الأصوليون فى الابتعاد عن العمل الاجتماعى، أما التيار الأصولى الألفى، فإنه رفض فكرة إصلاح المجتمع من خلال العمل الاجتماعى، لأن العالم سوف يتغير، لا بفعل العمل الاجتماعى، ولكن بقيام الملك الألفى وعودة المسيح(١٣) .

وإذا كان موقف الأصولية الألفية، أميل للإنعزال فى مراحلها التاريخية الأولى ومنذ ظهورها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، فإن الأصولية غير الألفية، كانت أميل للعمل الاجتماعى، قبل الحرب العالمية الأولى، أما بعد الحرب، وفى فترة ما بين الحربين، فإن هذه الحركة ابتعدت عن مفاهيم الإصلاح والعمل الاجتماعى، بسبب التصاق التيار الليبرالى، والتيار اليسارى بهذه المفاهيم. وهنا اعتبرت هذه المفاهيم، جزءاً من العلمانية الزاحفة، ولذلك رُفضت من الأصوليين.

ولكن موقف الأصولية تغير بعد ذلك، وكانت البداية بالتيار العام للأصولية (الإنجيلية) على يد يلى جراهام، الذى صالح بين الأصولية والحياة، ومن بعده بدأ التغير يزحف إلى التيارات الأكثر أصولية، حتى التيار الأصولى الصهيونى، خاصة منذ الستينات .

مع هذه التغيرات، أصبحت الأصولية أكثر انخراطاً فى قضايا الحياة، أى أصبحت أكثر اجتماعية وسياسية، وأقل انعزالاً. وهنا تغير دور الحركة الأصولية، ليتضاعف أثرها، ويتزايد حجم ما تحققه من إنجاز وسيطرة حول العالم. فدورها الدينى المحض، ساعدها على جذب الأتباع أما دورها الاجتماعى والسياسى، ففتح لها أفاق التأثير على الدول، وعلى السياسة الدولية.

ولقد كان من أهم أسباب هذا التغير، خاصة بالنسبة للهيئات الأصولية التبشيرية، موقف أتباع هذه الحركة فى العالم الثالث، أو موقف كنائس وشعوب العالم الثالث، من الهيئات الأصولية التبشيرية التى فتحت فروعها ، عبر أرجاء المسكونة.

ففى دول العالم الثالث واجه المرسلون الجدد مشكلات هذه الدول، التى أصبحت تعرقل العمل التبشيرى وتحول دون تحقيق هدف هؤلاء المرسلين وهو التنصير لغير المسيحى، والتحويل للأصولية للمسيحى. ففى العالم الثالث كانت مشكلات الفقر والظلم والأمية، من أهم المشكلات المؤثرة على شعوب هذه المناطق، وكان المرسل يواجه بسؤال عن دوره، وهل هو التبشير بغض النظر عن الظروف المحيطة، وهل للمسيحية دور تجاه هذه المشاكل أم لا ؟

أمام هذا الواقع، عاد التيار الأصولى التبشيرى، إلى تراث الماضى، بعد أن أصبح فى صورته المعاصرة أميل إلى التبشير الخالص، والوعظ بدون عمل آخر. ففى تراث الماضى، كان التبشير يتبع العمل الاجتماعى والصحى والتعليمى، أى كانت هذه الأعمال هى المدخل للتبشير. ولكن الأصولية التبشيرية المعاصرة ، أهملت هذه العناصر، حتى اكتشفت أهميتها، من خلال المشكلات التى تعرقل العمل التبشيرى.

ومنذ بداية السبعينات، ومع مؤتمر لوزان الأول لتبشير العالم، ظهر بين الأصوليين، الذين كانوا بالأمس أميل للبعد عن المشكلات والقضايا الاجتماعية، ميل واضح تجاه وضع هذه القضايا على جدول أعمالهم. ومنذ ذلك التاريخ، أصبحت الإرساليات المعاصرة تهتم بالعمل الاجتماعى والصحى والتعليمى، كمدخل أولى لتحسين أوضاع المجتمعات التى يتم التبشير فيها، ثم يأتى بعد ذلك العمل التبشيرى.

فالتغير الذى حدث، يعيد تجربة الإرساليات فى القرن التاسع عشر ويؤكد مرة أخرى، أنه بالنسبة للأصولية، فإن العمل الاجتماعى والتعليمى والصحى، ليس هدفاً فى حد ذاته، بل وسيلة لهدف آخر، وهو التبشير. وفى هذا تختلف الأصولية عن

الليبرالية واليسارية المسيحية، التى ترى أن التنمية والتقدم والإصلاح الاجتماعى هى أهداف نهائية فى حد ذاتها.

الأصولية والمشروع الحضارى :

فى البيئة الأمريكية، يأتى اللاهوت الأصولى، إن جاز التعبير، كاستجابة دينية على مأزق حضارى. فالحركة الأصولية المعاصرة، ترى أن الأزمة الحقيقية جاءت من العلمانية، والعلمانية فى معناها العام، لدى الأصوليين الأمريكيين، تعنى لا فقط الحضارة المادية، أو الحضارة التى لم تؤسس على أصول دينية، بل تعنى أيضاً الليبرالية واليسارية، باعتبارها إفرازات أخرى للعلمانية ، حسب تصورهم.

إن الأصولى الأمريكى يرى أن «تحويل الحياة الأمريكية للعلمانية (الدنيوية)، وكذلك إعادة تنظيم المجتمع كليه نتيجة التصنيع، وضعا معاً قيوداً شديدة الحدة على قيم المجتمع اليهودية – المسيحية. فبأى معنى، لم تكن أمريكا «دولة مسيحية» ولكن من الحقيقى أن المنظور اليهودى – المسيحى للعالم، الذى حدد بشكل دال، الشكل الحالى للحضارة، يعد غريباً فى الحضارة التى اسهم فى تشكيلها»(١٤) .

والأزمة هنا واضحة، فلقد أدى التحديث والتصنيع، إلى انفصال الحضارة المعاصرة عن جذورها الدينية ، فى أمريكا. وهذا الانفصال، شكل نقلة سريعة، أدت إلى انقطاع الاستمرار الحضارى التراثى. وعندما واجه مجتمع التحديث والتصنيع، مشكلات وأزمات حادة، لم يستطع أن يواجهها، لأن مخزونه الذاتى فقد فى عملية التحول، أى أنه لم يستطع استعادة جذوره الحضارية والقيمية، لكى يواجه بها مشكلات العصر.

وهنا بدأت الأصولية الأمريكية تقدم مشروعها فى العودة إلى التراث الدينى اليهودى – المسيحى، والذى يعود إلى المهاجرين الأوائل، من الأطهار، الذين حملوا معهم المسيحية الأصولية، والتزمت الروحى والأخلاقى ، كما حملوا معهم الشعور بأنهم مثل العبرانيين، أو أنهم العبرانيون الجدد ، الذين فروا من الظلم، إلى الأرض الجديدة، أرض كنعان. ومع هذه العودة ، للأصول الدينية الكتابية، وللتراث الدينى التاريخى لأمريكا، أعيد إحياء التفسيرات الحرفية الكتابية، بتراثها التطهرى والنبوى

الألفى، كذلك أعيد إحياء توحد الأطهار مع اليهود، سواء فى حدود التشابه، أو للإيمان بأن اليهود هم الشعب المختار، والأطهار بتوحدهم مع اليهود يتوحدون مع الشعب المختار.

ولكن الأصولية الأمريكية، لم تكتف بطرح مشروعها الحضارى، كحل لأزمتها، بل أرادت أيضاً، أن تطرح مشروعها الحضارى، فى جميع أرجاء العالم، وهى بذلك تقدم مشروعاً حضارياً عالمياً جديداً. فهل يصلح المشروع الحضارى النابع من الأزمة الأمريكية، أن يكون مشروعاً حضارياً عالمياً ؟ إن رؤية الأصولية الأمريكية لهذه القضية واضحة، فهى ترى أن طرحها الدينى عالمى وعام، لأنه هو المسيحية الحقيقية، وهو عودة للتراث المسيحى الحقيقى تراث الأطهار، فى أمريكا ، كما فى إنجلترا، كذلك فى فلسطين. أى أنه تاريخ ممتد، منذ عهد السيد المسيح، وعبر أجيال المسيحيين المتعددة، هذا الشعور بالتراث المستمر، والمستمد مباشرة من الأصول الدينية ، والرسل الأوائل، والكنيسة الأولى، والسيد المسيح نفسه، يجعل الرؤية الأصولية ذات بعد عالمى، فى ارتباطها الشديد بالمسيحية، وفى طرحها لرؤيتها عن المسيحية الحقيقية، كما تراها.

فمنذ البداية، وعبر السبعينات والثمانينات من القرن العشرين، وقبل ذلك ، كانت الحركة الأصولية ، واعية بأحد أهم أهدافها، وهو الوصول إلى كل أرجاء العالم، سواء للتبشير ليصبح العالم كله للمسيح، بالنسبة للأصولية التبشيرية (الإنجيلية) أو من خلال اقتحام العالم، أو حكم المسيح للعالم، بالنسبة للأصولية والأصولية الصهيونية، فالعالم هو الهدف النهائى، والدعوة ليست خاصة، بل هى دعوة عامة وعالمية.

لهذا، كان المشروع الأصولى، حسب وجهة نظر أصحابه، مشروعاً حضارياً أممياً يصلح للعالم أجمع، بل هو دعوة للعالم، للعودة إلى الأصول المسيحية التراثية المشتركة. وهذه الأممية الحضارية تخلق العديد من المشكلات، بل هى فى حد ذاتها، تجاوز لواقع الفروق بين الحضارات. والغريب، أن الأصولية المسيحية المعاصرة على عكس الحركات السابقة عليها تاريخياً، أدركت منذ البداية قضية الفروق الحضارية،

مما أكسبها قدرة على التعامل مع الحضارات المختلفة، كذلك أكسبها مرونة، تستطيع من خلالها أن تكون مناسبة لكل الحضارات.

والموقف الأصولي تجاه هذه القضية، ركز[١٥] على أن الجوهر الكتابي صالح لكل الحضارات، وعابر للفروق الحضارية ، ولكن هذا الجوهر عندما يقدم في صياغات معينة، فإن هذه الصياغات تكون متميزه حضارية، لذلك يجب على المبشرين، أن يعيدوا دراسة الفكر المقدم، لتحديد السياق الخاص بالحضارة المصدرة له، ثم يعاد وضعه في السياق الخاص بالحضارة المستقبله له .

أصولي صهيوني :

يظل اسم جيري فلويل[١٦] كأبرز نجم للأصولية المسيحية الصهيونية في أمريكا، فهو يعد من أهم من يؤيد إسرائيل، وينادي بتقديم كل العون لها، لأن قيام دولة إسرائيل الكبرى، وتجمع اليهود من الشتات، حسب رأيه، يمهد للمعركة التي ستدور بين الخير والشر، حيث ينتصر الخير ، ويتوج يسوع المسيح ملكاً على امبراطورية الخير. لهذا تعتبر حكومة إسرائيل فلويل أحد أهم أصدقائها ومؤيديها .

والأمر لايقف عند هذا الحد، فنشاط فلويل عبر العديد من المؤسسات ، ومنها «الأغلبية الأخلاقية» و«السفارة المسيحية» والمؤتمر المسيحي الصهيوني، وغيرها، جعلت له يدا طولى في شئون السياسة والدين. ذلك بجانب دوره في انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة، وتأييده للمرشحين الأصوليين والحزب الجمهوري. وعبر كل هذه الأنشطة، يظل نموذج مؤسسة «الأغلبية الأخلاقية» ذا دلالة خاصة، فهذه المؤسسة أنشئت لتقوم بوظيفة سياسية محضة، وهي جمع القوى المحافظة للتأثير على السياسة، أي أنها لوبي سياسي. وفي نفس الوقت فإن هذه المؤسسة، قامت على أسس دينية واضحة. فهي بذلك تعد ، مجازاً، نموذجاً فريداً للحزب الديني دون أن تكون لها صفة شرعية كحزب، فإنها تمارس عملها كمؤسسة سياسية، لاتهدف للربح.

ويرى البعض[١٧] أن أهم إنجازات فلويل، أنه استطاع جمع البروتستانت والكاثوليك واليهود ، لكي يعملوا معاً، على أسس مشتركة، وذلك من خلال منظمة

«الأغلبية الأخلاقية» والتى تمثل تجمعاً لجماعات مختلفة، دون التركيز على ما بينها من اختلافات عقائدية ولاهوتية . وتعمل هذه الجماعات لتحقيق أغراض مشتركة، مثل مقاومة الإجهاض والأفلام الجنسية وغيرها . وينظر البعض إلى ذلك باعتباره إنجازاً مسكونيا (عالمياً) متميزاً . والحقيقة إن هذا التجمع، ليس تعبيراً مباشراً، عن وجود وحدة وتعاون دينى، أو وجود تفاهم وحوار بين المختلفين فى المذهب أو الدين، ولكنه تعبير عن تجمع سياسى، بين المحافظين من البروتستانت والكاثوليك واليهود. فالعامل المشترك، هو الهدف السياسى ، الذى يرمى فى النهاية ، إلى إعادة تأسيس الوضع السياسى للولايات المتحدة الأمريكية على أسس دينية محافظة. بهذا استطاع فلويل، من خلال جماعة «الأغلبية الأخلاقية» تكوين جبهة دينية سياسية، تعمل على مقاومة العلمانية، التى تعد العدو الأول أمام التيارات الدينية السياسية الأمريكية. فمن خلال هذه المنظمة، تم تشجيع عدد كبير، من الجماهير الأصولية، على الدخول فى الانتخابات، وإعطاء صوتهم للمرشح الأصولى، مما ساعد على جعل الجمهور الأصولى، برغم أنه لايمثل الأغلبية، أن يكون أكثر فاعلية، وإيجابية . بهذا أصبحت أصوات المحافظين والأصوليين، ذات وزن فى انتخابات الرئاسة الأمريكية، وعبر سنوات عديدة، ومنذ انتخاب جيمى كارتر، رئيساً للولايات المتحدة، لم ينجح فى انتخابات الرئاسة إلا من استطاع الحصول على أصوات المحافظين والأصوليين ، من رونالد ريجان، إلى جورج بوش.

ولكن تاريخ فلويل السياسى، تعرض لعراقيل واضحة، منذ عام ١٩٨٨، وكان لذلك العديد من الأسباب منها (١٨) :

١- إدارة المؤسسة بأسلوب فردى، وتجمع سلطة إدارة أموالها فى يد فلويل.

٢- دخول منظمة «الأغلبية الأخلاقية» فى الجسم العام للحزب الجمهورى، كمنظمة تابعة له، بشكل علنى، تقوم بتبرير السياسة التى تتخذها الحكومة الأمريكية.

٣- المواقف الفجة، لفلويل، والتى دفعته لتأييد حكومة إسرائيل، وحكومة جنوب أفريقيا العنصرية، دون تحفظ.

٤- تضخم مؤسسة «الأغلبية الأخلاقية» وما يعنيه ذلك، من جمع التبرعات الصغيرة،

داخل مؤسسة ضخمة، وحرمان المؤسسات الدينية والكنائس الصغيرة من هذه التبرعات .

ولم تكن هذه هى كل الأسباب فظهور اسم فلويل، فى الفضيحة المالية، التى حاقت بالمبشر الشهير جيم بيكر[١٩] ، أضافت حول اسم فلويل العديد من علامات الإستفهام. ولهذه الأسباب، قرر فلويل ترك «الأغلبية الأخلاقية» وترك السياسة، والعودة إلى مؤسسته المرسلية، وكنيسته التى ظهر من خلالها ، فهل لهذه العودة من دلالـة؟

الواقع يؤكد ، أن تجربة الأصوليين فى السياسة الأمريكية ، مازالت تحقق الكثير من النجاح ، والكثير من المشكلات أو الفضائح . فمازال الطريق شاقا أمام الدينيين ، خاصة أن الجمهور يتصور الزعيم الدينى بصورة تقوم على العقائد ، والالتزام شبه المطلق . ولكن الدور السياسى للزعيم الدينى ، تحكمه فى النهاية اعتبارات الواقع ، وغالبًا ما تصدم الجماهير عندما ترى الرمز الدينى يتصرف بنفس الأسلوب الواقعى النفعى لرجل السياسة العلمانى . لهذا ، فإن نجاح الأصوليين الباهر، يتبعه فى بعض الأحيان ، سقوط مذهل . ولكن ليس لنا أن ننسى أن وسط هذا الصعود والهبوط تغيرت أشياء كثيرة فى البناء السياسى للولايات المتحدة .

وعاظ أم رجال أعمال :

عندما ظهر جيمى سواجارت وجيم بيكر ، قدما للمشاهدين فى برامجهما التليفزيونية نمطًا جديدًا من الوعظ ، هو إحياء للتقاليد الكاريزماتية (الإنفعالية) . بهذا استطاعا التغلب على العديد من المنافسين الآخرين .

بدأت منذ فترة مبكرة ، معظم البرامج التليفزيونية الدينية التنافس فى قدرتها على تقديم فاصل تسبيحى موسيقى ، حيث وجد أن الموسيقى قادرة على جذب عدد أكبر من المشاهدين .

اهتمت مختلف البرامج الدينية باستطلاع الرأى، حول عدد مشاهديها ، والبرنامج الذى ينخفض عدد مشاهديه ، يسرع القائمون عليه لمعرفة سبب ذلك ،

ومحاولة خلق أفكار جديدة ، تعيد المشاهدين لسابق عهدهم .

كثيراً ما يظهر الزعيم الدينى ، ويطلب الحصول على مبلغ من المال ، كتبرع من المشاهدين ، ويحدد لذلك عدد أيام محددة . وعندما ينجح فى جمع المال ، فى الوقت المحدد ، يعرف أنه أصبح زعيماً ، ويؤكد للمشاهدين ذلك النجاح .

عندما اختلف سواجارت مع بيكر ، بدأت حرب التنافس بينهما تتزايد ، وفى هذه الحرب استخدمت كل الوسائل ، ومنها : استئجار المخبر الخاص ، للبحث عن خطأ أو جريمة لدى الآخر .

مع حرب التنافس، ظهرت فضائح نجوم التليفزيون ، فبيكر اتهم باختلاس مبالغ مالية من حصيلة التبرعات ، وسواجارت اتهم بممارسة الزنا مع مومس محترفة، مقابل المال .

إن هذه بعض عناصر الصورة ، وهى عناصر تنذر بتغير الأساليب عن الأهداف التى وضعت لها . فالقضية لم تعد دينية ، والهدف ليس رسالة دينية ، لقد أصبح عمل الأصوليين ، يتبع كل قواعد لعبة المال ، وأصبح الزعماء ، رجال أعمال، تتناقل بين أيديهم مئات الملايين من الدولارات . إنها رأسمالية جديدة ، رأسمالية دينية ترتبط بالرأسمالية العالمية ، قدر ارتباطها بلغة المال ، وحدود لعبة النجاح . فلقد تحولت الهيئات الدينية إلى مؤسسات مالية ضخمة ، بعضها عابر للقومية ، وله فروع عبر الدول ، وكلها له علاقات متشابكة ، مع حكومات وشركات ومؤسسات الرأسمالية العالمية .

الأصوليون والمال :

يرى يوسف الحسن (٢٠) صعوبة : « ... حصر موارد الكنيسة المرئية والمسموعة، لكن رقماً اتفقت عليه تقديرات رابطة « الإذاعيون الدينيون الوطنيون» ، وجريدة «نيويورك تايمز» ، ومعهد «غالوب» ، ومجلة « المسيحية اليوم» فى عام ١٩٨٠ ، يشير إلى أن مواردها السنوية من التبرعات تصل إلى أكثر من مليار دولار ، وإذا ما أضيفت إلى هذا المبلغ قيمة موارد الإعلانات ، ودعم البرامج ، فإن الرقم يرتفع إلى مليارى دولار سنوياً .

ويمكننا أن نحدد ملامح الحركة الأصولية، فهى تتميز بـ :

١- تكونها من عدد كبير من الحركات الصغرى .

٢- أنها تمثل طائفة . ولها انتماء طائفى ، دون أن تكون طائفة رسمية .

٣- إنها تتكون من عدد يصعب حصره من الهيئات والمنظمات المتداخلة والمتشابكة .

٤- إنها تعتمد بشكل مباشر على تبرعات المنتمين للحركة الأصولية .

٥- إنها تعتمد أساساً ، على الانتشار من خلال مئات المحطات الإذاعية والتليفزيونية .

٦- يتميز عملها بالاعتماد على الميزانيات الضخمة .

٧- تتميز أساليبها الدعائية ، بقدرة نادرة على جذب التبرعات .

٨- تعتمد على أسماء رموزها المشهورين .

٩- يتجمع الأتباع حول الرموز الكبيرة ، ويتكون من كل رمز شيعة ضمنية .

١٠- تحاول الحركة اختراق معظم الكنائس ، والطوائف التى تعاديها ، حتى تصبح قوة مؤثرة داخل الحلف المعادى لها .

إن فى هذه العناصر وما يهمنا منها ، أن الحركة الأصولية الأمريكية ، حركة خرجت كموقف معاد للحضارة المعاصرة السائدة، ولكن فى جانبها العلمانى ، دون الجوانب الأخرى . فالأصولية الأمريكية ، هى العصر بدون علمانية ، وبأخلاق أصولية. وبالتالى فهى تعادى العصر إلى حدود ، ولكنها - وفى الوقت نفسه - نتاج هذا العصر ، تعمل بأساليبه ، وتتميز بخصائصه . وهذه الصورة ازدادت وضوحاً مع دخول الأصوليين إلى السياسة . فقبل ذلك ، كانت الأصولية تبدو ضد العصر بدرجة أكبر ، ولكن مع دخولها فى عالم السياسة ، أصبحت حركة ضد العصر ، ولكن بأسلوب العصر .

غـــزو لبنـــان ١٩٨٢ :

فى عام ١٩٨٢ ، قامت قوات الاحتلال الإسرائيلى بغزو لبنان . ووقف الأصولى

الصهيونى «جيرى فلويل» يدافع عن ذلك الغزو ، مؤكدًا أن الأرض التى وعد الله إسرائيل بها تمتد من النيل إلى الفرات (٢١) . ولعل ذلك يمثل نموذجًا لمدى التمادى فى توظيف العقائد الدينية سياسيًا . وهذا الموقف أيضًا ، كان مناسبة تظهر فيها ثنائية المسيحية فى أمريكا ، وربما فى العالم .

فالموقف المسيحى الأمريكى تجاه غزو لبنان ، وبرغم أى اختلافات صغرى ، انقسم إلى مؤيد ومعارض ، فالأصولية أيدت الغزو ، والليبرالية واليسارية المسيحية عارضت الغزو بشدة . وتظهر هذه المعارضة ، من البيانات ، والرسائل التى أصدرتها قوى المشيخية الليبرالية ومؤسساتها . ومنها التلغرافات التى أرسلتها الكنيسة المشيخية ، والكنيسة المتحدة ، والمجلس الوطنى لكنائس المسيح بأمريكا ، ومجلس الكنائس العالمى ، وغيرها (٢٢) .

ومنذ الثمانينات ، ومنذ غزو لبنان خاصة ، أصبح موقف المسيحية فى الغرب ، من اليهود ، ينقسم إلى مؤيد ومعارض ، فالأصوليون يؤيدون كل ما تقوم به إسرائيل، والليبراليون يعارضون بعض ما تقوم به إسرائيل ، فمازال الموقف المعارض للاحتلال الإسرائيلى ، لا يصدر بيانات إدانة عامة ، بقدر ما يدين عملاً محددًا ، مثل : غزو لبنان ، وضرب المفاعل الذرى العراقى ، وغيرها .

وبهذا أصبح الأصوليون أعداء العرب ، والليبراليون أصدقاء العرب ، أما اليساريون (مثل بعض القوى فى مجلس الكنائس العالمى) فهم الذين يتبنون حقوق شعوب العالم الثالث ، ويؤيدون العرب ، ويحاربون الامبريالية ، والهيمنة الأمريكية ، والاحتلال الإسرائيلى .

والقليل هو ما يمكن أن يقال عن المستقبل ، فالحركة الأصولية تحاول محاربة القوى الليبرالية واليسارية فى المسيحية ، ولقد تحقق لها ذلك فى بعض الأحيان ، وهى الآن التيار الأقوى فى المسيحية ، خاصة فى أمريكا . فهل ستقضى الأصولية على الليبرالية ؟ أم سيتغير ميزان القوى بينهما لصالح الليبرالية ؟ أم سنصل إلى الحال التى يصبح فيها الصراع الدموى ، هو عنوان العلاقة بين الأصولية والليبرالية؟.

حـــول حـــرب الخليـــج :

تتنوع مواقف تيارات الأصولية من حرب الخليج ، ويكشف هذا التنوع عن الفروق بين الفصائل المختلفة ، كما تظهر مواقف غير الأصوليين معبرة عن اتجاهات فكرية مختلفة جذريًا عن الموقف الأصولي ، ومن هذه النماذج ، ما يلى[٢٣] :

١- وجهت ١٥ مؤسسة كنسية محلية نقدًا للحكومة الأمريكية ، نظرًا لمنع وصول الطعام والدواء للشعب العراقى ، وطالبت بالتفرقة بين الشعب العراقى ، والنظام العراقى .

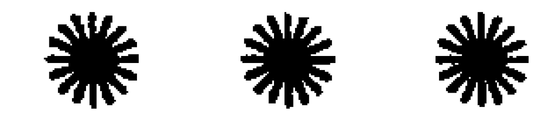
٢- اعترضت جماعات من المعمدانيين الجنوبيين ، وهم من قوى الأصولية -سواء التبشيرية (الانجيلية) أو الصهيونية - السياسة التى اتخذها وزير الدفاع الأمريكى ، بمنع إرسال الكتاب المقدس ، والمواد الدينية للقوات الأمريكية فى الخليج.

٣- أيد ٧,٨ مليون عضو فى المؤتمر الوطنى المعمدانى ، إرسال بوش للقوات الأمريكية فى الخليج ، ولكن البيان أضاف إلى ذلك ، تحذيرًا لأمريكا ، حتى لا تصبح حليفًا للدول التى ثبت أنها تمثل انتهاكًا لالتزام أمريكا الأخلاقى ، بسبب أنه قد ثبت تورطها فى أفعال تنتهك حقوق الإنسان .

٤- على الجانب الاخر المعادى للاصولية ، ومن خارج أمريكا صرح «جابى حبيب» السكرتير العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط ، بأن المجلس يرفض السياسة المزدوجة لأمريكا تجاه الشرق الأوسط ، وهى تلك السياسة المتحيزة للمصالح الغربية. ويقصد بها أن رغبة أمريكا فى إقرار القانون الدولى، يجب أن تكون تجاه كل قرارات مجلس الأمن الخاصة بالشرق الأوسط بما فيها القرارات الخاصة بإسرائيل .

٥- أما أحد العاملين بمؤسسة زويمر ، فينبه بأن الدول العربية الحالية، هى دول رسمت حدودها بقلم أوروبى . ويلفت النظر لوجود قوى تنادى بالقومية العربية ، ومنها حزب البعث الموجود فى عدد من الدول العربية . ويؤكد أنه بدون تأييد ما فعله صدام حسين ، فإن الكويت ألحقت الضرر بالعراق اقتصاديًا ، لأنها لم

تلتزم بقرارات الدول المنتجة للنفط - الأوبك - ، ويرى إضافة لذلك أن الولايات المتحدة في أحسن الأحوال ، هي حليف مؤقت لبعض الدول العربية . وبملاحظة الشك السائد في الوطن العربي تجاه الغرب ، فإن كل دولة عربية ، بداخلها شريحة مستعدة لهز أركان أي حكم يسمح للمصالح الغربية بأفضلية على المصالح العربية الإسلامية . ويضيف لذلك ، بأن المسيحيين الأمريكيين العاملين بالشرق الأوسط ، ربما يواجهون وقتاً عصيباً ، حتى يتغلبوا على الآثار السلبية الناتجة عن التدخل العسكري الأمريكي . وتلك هي وجهة نظر الأصولية التبشيرية (الحركة الإنجيلية) .



هوامش الفصل الثالث

(١) Johnson, P. Mainline churches and United States middle east policy. In B. K. Nijim (Ed) American church politics and the middle east . Massachusetts: AAUG, 1982, p. 67.

(٢) يوسف الحسن. البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي – الصهيوني. بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٠، ص ٣٨.

(٣) A book of beliefs. England: Lion, 1981.

(٤) Sweet, L. I. The 1960s : The crisis of libral christianity and the public emergence of evangelicalism. In G. Marsden (Ed) Evangelicalism and modern America. Michigan: Eerdmans, 1984.

(٥) غريس هالسل. النبوءة والسياسة. ليبيا : جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. ١٩٩٠.

(٦) Mainline Church

(٧) يوسف الحسن، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٣.

(٨) Frame, R. Presbyterian gadfly expands its influence. Christiarity Today, 19 Feb., 1988, p. 42.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) Marsden, G. M. Fundamentalism and American culture. Oxford: Oxford University Press, 1980.

(١١) المرجع السابق.

(١٢) المرجع السابق.

(١٣) Carpenter, J. A. From fundamentalism to the new evangelical coalition. In G. Marsden (Ed) Evargelicalism and modern America. Michigan: Eerdmans, 1984.

(١٤) Wells , D. F. An American evangelical theology, The painful transitien from theoria to praxis. In G. Marsden (Ed) Evangelicalism and modern America. Michigan : Eerdmans, 1984.

(١٥) المرجع السابق.

(١٦) Jerry Falwell

(١٧) Muck. T. Home to Lynchburg. Christianity Today. 15 Jan., 1988. pp. 16-17.

(١٨) المرجع السابق.

(١٩) Jim Bakker

(٢٠) يوسف الحسن. مرجع سبق ذكره، ص ٩٩.

(٢١) المرجع السابق ، ص ١٠٥.

(٢٢) Invasion of Lebanon. Geneva: World Council of Churches, 1982.

(٢٣) U. S. Gulf policy challenged. Christianity Today, Oct. 22, 1990. P. 64.

الفصل الرابع

المسيحية
بين اليهود والصهيونية

فى دراسة عن الجذور التاريخية المشتركة لليهودية والمسيحية ، يقدم «مارفن ويلسون»[1] عرضاً شاملاً للعلاقة بين اليهود والمسيحيين عبر التاريخ . وبدون أن يؤيد الأصولية المسيحية الصهيونية ، وبدون أن يؤيد نظرية الملك الألفى ، فإن الدراسة تهدف لتقديم دعوة للحوار والتعاون بين المسيحيين واليهود ، أو أبناء إبراهيم . وقد اشترك فى نشر الدراسة ، المركز اليهودى للدراسات اليهودية المسيحية .

وفى هذه الدراسة ، وبغض النظر عن موقف كاتبها ، تحليل وسرد تاريخى جيد للعلاقة بين اليهود والمسيحيين ، وهو تحليل يقدم فى النهاية ، العديد من التفسيرات الأساسية للظواهر المعاصرة ، كما يقدم تصوراً جيداً للتيارات المسيحية ، وموقفها من اليهود ، عبر التاريخ ، وحتى الآن . وسنحاول فيما يلى إيجاز أهم اللحظات والمواقف التاريخية ، التى نعتقد أنها مازالت تؤثر فى العلاقة بين اليهود والمسيحيين فى الوقت الراهن .

ويرى الكاتب فى البداية ، أن المسيح وتلاميذه ، كذلك الكنيسة الأولى ، أدركوا هويتهم كجزء من اليهودية . ولكن فى القرن الثانى بعد الميلاد ، بدأ الانفصال بين الكنيسة والجماعات اليهودية ، خاصة مع عصر «جيستن مارتيز»[2] ، فى سنة ١٦٠ بعد الميلاد تقريباً ، عندما عرفت الكنيسة نفسها باعتبارها ، حقيقة أخرى ، وكيان آخر غير اليهودية[3] .

والخلاف بين المسيحيين واليهود ، حسب رأى ويلسون[4] ، يبدأ منذ اختلف عمل المسيح عن توقعات اليهود ، الذين انتظروا المسيح المخلص الذى يخلصهم دينياً ، وسياسياً ، واقتصادياً . خاصة وأن اليهود فى عهد المسيح عانوا من الاستعمار الرومانى . وبرغم هتافات « أوصنا » ، و«مبارك ملك إسرائيل» التى استقبل بها

المسيح عند دخوله الأخير إلى أورشاليم (وتعنى: خلصنا من فضلك) ، إلا أن رسالة المسيح ، فى النهاية، تركت طريق الخلاص الدينى ، والخلاص للعالم ، دون أن يخلص المسيح بنفسه اليهود من الاستعمار .

أما المرحلة الثانية ، فكانت فى مجمع أورشاليم ، فى زمن تلاميذ المسيح ، حوالى سنة ٤٩ بعد الميلاد ، حيث اتخذ المجمع قراراً ، بإعفاء الأمميين من اتباع التقاليد والعادات اليهودية ، مثل الختان ، وذلك بتأثير من بولس الرسول ، رسول الأمميين ، والذى كان أكثر الرسل اهتماماً بفصل المسيحية عن اليهودية ، حتى يقدمها للأمم(٥) .

وكان من الواضح ، أن اليهود المسيحيين والأمميين ، يواجهون صعوبة كبيرة فى التعايش داخل الجسد الواحد ، الكنيسة ، وظهر الميل إلى تكوين تجمعات منفصلة . وعندما تغير يوم الرب ، من السبت ، إلى الأحد ، كانت الكنيسة بذلك تأخذ خطوات أكبر ، فى البعد عن التقاليد اليهودية . وبدا أن كلا التجمعين يتباعدان ، ويتزايد العداء بينهما ، لدرجة أن اليهود وضعوا محكًا ، يطبق على اليهود واليهود المسيحيين ، بمقتضاه يعتبر مهرطق ، كل من خرج عن ناموس الفرسيين ، وذلك فى محاولة لتكوين المجتمع اليهودى النقى(٦) .

وفى ثورتى اليهود ضد روما (٦٦ - ٧٣ ، ١٣٢ - ١٣٥ بعد الميلاد) رفض المسيحيون اليهود الدخول فى الحرب ، مساومين فى تحالفهم مع المجتمع اليهودى ، وهويتهم المرتبطة بالدولة الإسرائيلية(٧) . وتدور حلقات التاريخ ، لتصبح الكنيسة أممية من داخلها ، بدون تراث يهودى ، وبدون تجمعات مؤثرة لليهود المسيحيين .

ولكن فى القرون : الثانى والثالث والرابع الميلادى ، ظهرت روح جديدة من الرفض والتشكك ، لم يكن يتوقعها الرسول بولس . حيث أكدت الكنيسة أنها إسرائيل الجديدة . وأنها حلت مكان شعب الله المختار ، ففى البداية كانت الكنيسة جزءًا من إسرائيل . ولكن داخل الرابطة اليهودية ، لم يكن للأمميين مكان . وفى بداية تاريخ الكنيسة ، وصف الأمميون ، بأنهم أولئك الذين لا يعرفون الله . ولكن من كانوا خارج الكيان المسيحى ، أصبحوا يحلون محل من كان بداخله . وظهر ذلك

واضحاً فى العديد من المفاهيم والمؤسسات التى جرى لها عملية نزع للآثار اليهودية، وبدأت عملية تحويلها للهيلينية ، فلسفة وحضارة الأمميين . وهكذا ظهرت مصطلحات مسيحية جديدة ، لم تكن إلا كلمات يونانية ، لتحل محل الكلمات العبرانية القديمة(٨) . ويظهر دور بولس الرسول ، الذى قدم المسيحية للأمميين ، وقدمها بلغة الهيلينية ومفرداتها الفكرية . ومنذ ذلك التاريخ ، نلمح بوضوح سيادة الفكر الهيلينى، ليكون التراث المسيحى ، ويرسم الملامح الأساسية للكنائس المسيحية الكبرى ، فى القرون من الثانى إلى الرابع .

فلقد ركز «كليمنت »وآخرون فى الاسكندرية ، على قراءة الكتاب المقدس، بعيون أفلاطونية ، لدرجة أن مسيحية القرن الثالث الميلادى ، بدأت تنظر للجسد والمادة ، باعتبارها شراً(٩) ، علامة على تزايد تأثير الحضارة اليونانية ، والفكر الأفلاطونى، على المسيحية الأولى .

ويرى «ويلسون» أنه عبر التاريخ ، من الصعب أن نجد فترة ، لم تسهم فيها الكنيسة ، فى إذكاء روح العداء لليهود . ولذلك ساد عبر تاريخ اليهود ، الاتجاهات المعادية لليهودية ، والاتجاهات المعادية للسامية . وكما يرى البعض ، فإن المعاداة لليهودية ، والمعاداة للسامية ، كانت ظاهرتين توأمين ، يغذى كل منهما الآخر . فعداء الكنيسة لليهودية ، كان يؤدى إلى العداء ضد اليهودية . وعندما ظهر العداء الإنسانى للسامية ، فإن ذلك توافق مع الكراهية والعداء ضد اليهودية ، التى سادت فى التاريخ المسيحى . فالعداء للسامية ، كان الموجه الأكبر لاضطهاد اليهود . والتى تزايدت بسبب الأزمات الاقتصادية فى أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين . وفى الوقت الراهن ، فإن تاريخ عداء الكنيسة لليهود ، نادراً ما يحكى(١٠) .

لقد بدأت المسيحية طريقها ، بالتوجه نحو تبشير اليهود ، لكسبهم للإيمان المسيحى . ولكن منذ القرن الثانى الميلادى ، تغير الوضع وظهر العداء لليهود . وفى البداية كان العداء موجهاً من اليهود إلى اليهود ، أى من اليهود المسيحيين إلى اليهود غير المسيحيين ، ثم تحول الأمر ، ليصبح العداء موجهاً من الأمميين المسيحيين إلى اليهود(١١) .

وعبر كتابات الآباء الأوائل للكنيسة ، يظهر العداء لليهود ، من خلال تفسير الكتاب المقدس . لقد تحولت الآيات التى تدين ممارسات اليهود ، خاصة فى عهد المسيح ، إلى إدانة لليهود جميعًا . وفى هذا المناخ ، بدأ اليهود يفصلون أنفسهم عن المسيحيين ، فى بيئة البحر المتوسط ، وذلك باختيار أماكن خاصة بهم للمعيشة ، والتمسك بعاداتهم المميزة لهم فى المأكل والمشرب والملبس ، وهكذا(١٢) .

والأكثر من ذلك أهمية ، أن انهيار دولة اليهود على يد جيوش الأمم وتدمير أورشاليم ، كان يرى من قبل الكنيسة ، باعتباره دليلاً قويًا على رفض الله لشعبه المختار . لقد أصبحت الهزيمة الساحقة ، مبررًا تستخدمه الكنيسة ، لشرح موقفها المضاد لليهود ، خاصة بعدما أصبحت الكنيسة إسرائيل الله الجديدة. كذلك ، فإن الكنيسة رأت أن تدمير أورشاليم ، هو عقاب من الله لليهود ، بسبب صلبهم للمسيح . وهكذا أصبح تعبير « قتلة المسيح» ، شائعًا فى وصف اليهود ، مثلما نجد فى كتابات عديدة ، ومنها كتابات «چيستن مارتيز» ، و«أوريجون»(١٣) .

لقد علمت الكنيسة ، وآباؤها الأوائل ، أن بسبب عدم إيمان اليهود وخيانتهم، لذلك أصبح اليهود يحملون ذنبًا جماعيًا ، جعلهم دائمًا موضع لعنة الله ، وأصبحت الكنيسة تنسب لنفسها كل البركات ، التى كانت من قبل تنسب لشعب إسرائيل(١٤) .

وعندما قرر قسطنطين ، جعل المسيحية الدين الرسمى للدولة الرومانية، فإن مزيدًا من الاضطهاد وجه إلى اليهود. وفى عام ٣٣٩ أصبح التحول لليهودية جريمة يعاقب عليها القانون ، وبعد ذلك بسنوات ، أدان مجمع لدوكيا صوم المسيحيين مع اليهود ، وصنف من يفعلون ذلك باعتبارهم هراطقة(١٥) .

لقد واجه الآباء الأوائل للكنيسة ، مشكلة تحديد موقفهم من العهد القديم . وعدائهم لليهودية ، دفعهم إلى اعتبار الكتاب اليهودى (العهد القديم) بما فيه من قوانين وعادات غريبة ، كعمل مدان على أسوأ الظروف ، أو كعمل عتيق متروك على أحسن الظروف ، ويضاف لذلك أن الكنيسة رأت أنها حلت محل إسرائيل . وأصبحت الكنيسة ، بلا علاقة مع اليهودية ، ولم تعد إلا جسمًا أمميًا تمامًا . فبالنسبة للكنيسة ، كان أى اتصال بالعهد القديم، باعتباره المدخل الحقيقى للعهد

الجديد ، يعد إكساباً لمشروعية ومصداقية تاريخية ، للشعب اليهودى . لدرجة أن البعض أراد حذف العهد القديم من الأسفار القانونية للكنيسة . وبالطبع كان هذا الموقف مرفوضاً من الكنيسة . فالعهد القديم ، كان الوثيقة الأساسية ، التى تحدد الميراث، الذى ورثته الكنيسة عن شعب إسرائيل . فلقد كان حذف العهد القديم ، يحرم الكنيسة من المبرر الأساسي الذى تواجه به اليهود ، باعتبارها وريث شعب إسرائيل(١٦) .

ومن خلال تسييد الفكرة المسيحية ، والتفسير الروحى ، تمكن الآباء الأوائل من تقديم العهد القديم ، باعتباره وثيقة مسيحية . فأصبح العهد القديم ، يقرأ من خلال العهد الجديد ، دون قراءة الأخير باعتباره نتاج الأول . كان الموقف إذن فى تحويل معانى العهد القديم ، إلى المستوى الروحى . واتخذت الكنيسة موقفاً معادياً لليهود الذين لم يقبلوا المسيحية . كما أن الكنيسة الأولى ، ومن خلال الفهم الروحى للعهد القديم والجديد ، رفضت فكرة الملك الألفى ، بل أكثر من هذا أصبحت ضد الفكرة الألفية تماماً وتعاديها(١٧) .

وفى العصور الوسطى ، أصبحت الحضارة المسيحية تلفظ اليهود تماماً . وحاول اليهود التخلص من الضغط الاجتماعي والاقتصادى والكهنوتى ، بالعيش فى مناطق منعزلة داخل المدن . ولم يعد لهم أهمية ، إلا فى بعض شئون المال . وهذا الانعزال من جانب اليهود ، جعل المسيحيين ينظرون إليهم باعتبارهم شعباً منبوذاً ، ولقد حرم اليهود من حقوق شخصية ، وأصبحوا ضحايا لحضارة الصفوة المسيحية. ولقد أصبح على اليهود ارتداء ملابس مميزة ، وقبعة خاصة . وبهذا أصبح مفهوم العبرية ، مرتبطاً بالشيطانية . وتعرض اليهود للكثير من الاتهامات ، فقد قيل أن لهم رائحة خاصة ، وأنهم مسئولون عن الكثير من الشرور ، فهم «قتلة المسيح» . لقد اتهم اليهود بقتل أطفال المسيحيين ، لاستخدام دمائهم ، بدلاً من النبيذ ، في عيد الفصح(١٨) .

وعندما أعلن البابا «إربان الثانى» بداية الحملة الصليبية الأولى لتخليص القدس من أيدى المسلمين ، أصبح اليهود «الخونة» موضع اضطهاد من الصليبيين . إن آلافاً

من اليهود الذين رفضوا المعمودية (التحول للمسيحية) ، قتلوا فى الشوارع. كذلك حدثت حالات انتحار كثيرة وعذب اليهود وبرغم كل هذا العذاب فإن أغلبية اليهود ، رفضوا التحول للمسيحية . وفى القرن الثانى عشر ، والثالث عشر ، كان الفن المسيحى ، موضعًا للسخرية من اليهود ، وإظهارهم فى شكل مهين . وفى هذه الأعمال ، ظهر واضحًا المقارنة بين المسيحية المنتصرة ، واليهودية المهزومة . وفى إسبانيا ، صدر قانون ، يفرض عقوبة الإعدام ، على كل يهودى يحاول تبشير مسيحى باليهودية ، بجانب مصادرة أملاكه . لقد منع اليهود من تناول الطعام أو الحديث ، مع المسيحيين ، وبدأ طرد اليهود واضطهادهم ، من دولة لأخرى ، فمن انجلترا إلى فرنسا ، ثم مدن إسبانيا وألمانيا ، وغيرها . فلقد أُمِر اليهود بترك إسبانيا ، أو مواجهة الموت ، ولهذا اضطر عدد كبير من اليهود ، لقبول الكاثوليكية علنًا ، والإبقاء على يهوديتهم في السر (١٩) .

وعندما جاء «مارتن لوثر» تغيرت الكثير من الأشياء ، حيث اختلف مع الكنيسة الكاثوليكية . لقد ركز «لوثر» على الإيمان والأعمال ، الوحى والتقليد ، وكهنوت جميع المؤمنين . فقد ناصر «لوثر» الإيمان والوحى ، فى وجه الأعمال والتقليد (الكنسى) . وفى بداية عمل «لوثر» أعرب عن أمله فى الوصول إلى اليهود ، وتوصيل رسالة المسيح لهم . وفى عام ١٥٢٣ كتب لوثر : « لقد ولد المسيح يهوديًا » ، ممايثبت أن اليهود هم أسلاف المسيح .

لقد رأى لوثر ، أن الإرساليات الأولى الموجهة لليهود قد فشلت ، ليس بسبب شر وتعنت اليهود ، ولكن بسبب فساد القسوس والبابوات واللاهوتيين(٢٠) .

وأيًا كان ، المعنى الجيد ، أو النوايا الطيبة ، فى اتجاه لوثر ، كما يرى ويلسون، فإن موقفه تغير بعد ذلك . فعندما رأى لوثر ، أن اليهود فشلوا فى التجاوب مع الرسالة المسيحية ، أصبح لوثر شديد العداء لهم . وفى عام ١٥٤٣ ، كتب لوثر العديد من الكتيبات ضد اليهود ، يحكى فيها عن «اليهود وأكاذيبهم» . وفى هذه الكتيبات انهالت الصفات السلبية على اليهود . وأكثر من هذا ، لقد طالب لوثر بطرد جميع اليهود من ألمانيا. وفى نفس هذا التوجه ، وغيره من المواقف المعادية لليهود ،

وبعد أربعة قرون ، حمل النازى رغبة لوثر ، بنجاح ساحق . ومن حسن الحظ ، كما يرى ويلسون ، إن اليهود واللوثريين أصلحوا الكثير من هذا الأمر ، وكونوا علاقة جيدة بينهم (٢١) .

وفى بولندا (١٦٤٨ – ١٦٥٨) كغيرها ، اضطهاد لليهود ، وقتلى بالآلاف ، مما دفع العديد من اليهود ، لقبول المعمودية . وفى روسيا القيصرية فى القرن التاسع عشر ، ومن داخل أكبر تجمع يهودى (٦ ملايين) ، عاد الاضطهاد مرة أخرى ، ليقدم آلاف الضحايا القتلى . وبدأت هجرة اليهود إلى أمريكا ، على أمل أن يجدوا مكاناً لهم . وبين عامى ١٨٨٠ و ١٩١٠ ، هاجر ٢ مليون يهودى إلى أمريكا . وفى المناخ والتربة الألمانية ، كانت محرقة القرن العشرين ، هى أكثر من كل ما واجهه اليهود . فلقد رأى النازى أن الجنس البشرى ، يجب أن يُطهر بتخليصه من اليهود . وراح ضحية ذلك ٦ ملايين يهودى . وكما يرى ويلسون ، فقد كان من العار على الكنيسة ، أنها لم تفعل شيئاً لإنقاذ اليهود(٢٢) .

تلك صفحات ، يعرضها «ميرفن ويلسون» من تاريخ العلاقة بين الكنيسة واليهود . وقبل أى شىء ، فهذه الصفحات هى المفتاح الوحيد ، لفهم الواقع الراهن . إنها الدليل المباشر على ذلك الميل الذى طغى على المسيحية ، لتهويدها ، وأيضاً ذلك الميل الذى ظهر فى تأييد الكنيسة المسيحية الغربية عامة لليهود .

وفى البداية علينا أن نحذر مما قاله ويلسون ، ففيه غالباً قدر من المبالغة خاصة وأن الكاتب ، يكتب متعاطفاً مع اليهود ، ويكتب نداء للكنيسة لكى تغسل عار اضطهادها لليهود . لهذا نفرض أنه كان متحيزاً ، ومع هذا فإن أى قدر من المبالغة، ولو كان كبيراً يترك تاريخاً من العنصرية الدينية ، يلطخ وجه الكنيسة .

لقد اتخذت الكنيسة عبر تاريخها ، أفعالاً تتنافى مع كل القيم المسيحية ، وتخرج عن كل مفهوم دينى . فما حدث ليس إلا عنصرية دينية بغيضة ، لا تقل خطراً عن النازية ، وغيره من النظم العنصرية . وهذا ليس دفاعاً عن اليهود ، بل قل إنه دفاعاً عن المسيحية ، وما يحدث لها من الكنيسة . ولكن إقرار خطأ الكنيسة تجاه اليهود ، يدفعنا إلى تقييم أى محاولة لتصحيح هذا الخطأ .

ومنذ اللحظة الأولى ، نجد أن اليهود يبتزون الكنيسة المعاصرة ، عن أخطاء الماضى ، أى أنهم يطالبون بثمن عذابهم ، من جيل جديد لا يحمل هذه العنصرية الدينية ، وهو جيل وإن كان فيه تعصب ، فهو فى الحدود التى توجد لدى الجميع ، بما فيهم اليهود . فهل لليهود أن يحصلوا على ثمن اضطهادهم ، وهل يدفع الأبناء ثمن جريمة الآباء ؟ ! .

وأى ثمن يطلبون ؟ وهل للعذاب ثمن ؟ إن اليهود الآن يطلبون السيطرة على العالم . ففى كل أنحاء الغرب ، يسيطرون على السياسة والاقتصاد . أما فى أمريكا، فقد اعتبرها اليهود المهاجرون الأوائل أرضهم ، ومكانهم ، ولهذا فهم يسيطرون عليها ، ويتحكمون فى مصيرها . فهل كسب المصالح فى دولة ، على حساب مصلحة أغلبية سكانها ، هو الحل ؟ ! .

إن اليهود فى فلسطين المحتلة ، يعيدون التاريخ . إنهم فى أرض العرب ، يرتكبون أشد أنواع الاضطهاد، التى يمكن أن تحدث فى هذا العصر ، ولو كانوا فى عصر آخر ، لكان اضطهادهم للفلسطينيين أشد . فبأى منطق يقبل هذا الوضع ؟ فهل يغسل عن اليهود عذابهم الماضى أن يذيقوا شعباً آخر نفس العذاب ؟ ألا يقرأ اليهود تاريخهم ، ليعرفوا أن من اضطهدهم كان فى أوروبا وأمريكا لا فى فلسطين ؟ فهل يدفع شعب فلسطين ، ثمن عذاب اليهود ، على يد الجيل السابق للغرب ؟ .

الواقع إن الكنيسة أيضاً ، تنجرف إلى حافة السقوط مرة أخرى ، فأى كنيسة هذه التى قبلت من قبل عذاب اليهود ، واضطهادهم ، وتقبل اليوم دفع ثمن خطيئتها على حساب شعب آخر . إن أى تجاهل ، من أى كنيسة فى العالم ، لحقوق شعب فلسطين ، فى حين أن الكنيسة فى الغرب خاصة ، هى كانت أول من ساعد اليهود على إقامة دولتهم، يعد مرحلة جديدة ، من انحراف الكنيسة عن قيمها المسيحية.

ولا نعرف أن للكنيسة دوراً إلا فى الحفاظ على القيم المسيحية السامية ، وما هى هذه القيم ، إن لم تكن العدالة والحب والخير ، قبل كل شىء ، وأى عدالة تلك التى تقبل اضطهاد شعب فلسطين ؟ لعل التاريخ القادم ، والمستقبل الآتى لا يسطر فى تاريخ الكنيسة أن هناك آخر ، أصبح ضحية تعنت تلك النظرات التعصبية والعنصرية للكنيسة .

البروتستانتية واليهودية :

إن موقف المسيحية من اليهود ، ليس موقفًا بسيطًا ، فقد تغير عبر المراحل التاريخية ، كما إنه يختلف من تيار مسيحى إلى آخر ، وكذلك يختلف فى أسبابه . والصورة العامة ، التى سادت حتى القرون الوسطى ، كانت أميل إلى رفض اليهود ، بل إن ذلك الموقف تعدى الرفض فى كثير من الأحيان ، باعتبار أن اليهود هم قتلة المسيح .

ولكن هذا الموقف تغير فيما بعد ، ويرى يوسف الحسن(٢٣) ، أن هذا التغير نتج عن حركة الإصلاح البروتستانتى ، لأنها قدمت التوراة كتراث مسيحى ، مما جعل مضمونها يشيع فى الحضارة الأوروبية ، وتكون بذلك التراث اليهودى المسيحى . بجانب ذلك ، يرى يوسف الحسن(٢٤) ، أن مارتن لوثر ، وبرغم تغير موقفه من اليهود، وكراهيته لهم فى الفترة الأخيرة من حياته ، إلا أنه كان يريد التخلص من اليهود ، بعودتهم إلى فلسطين ، بعد فشله فى تنصيرهم ، وحتى تتحقق النبوءات الكتابية .

والواضح ، أن الموقف الأوروبى من اليهود، تحدد من خلال بعد دينى ، وبعد سياسى ، والبعد السياسى ، هو المسئول عن الصراع مع اليهود بسبب دورهم الاقتصادى ، ومحاولة إبعادهم عن أوروبا ، مما أدى فى النهاية لظهور فكرة العودة لفلسطين . كذلك ، فإن إقامة دولة إسرائيل فى أرض فلسطين ، كان له بعد استعمارى ، يتعلق بتصور القوى الاستعمارية لدورها فى منطقة الشرق الأوسط ، وذلك فى المرحلة التالية .

وبعيداً عن الجانب السياسى ، فإن الموقف الدينى من اليهود ، قدر له أن يلعب دوراً كبيراً . وفى البداية ، فإن حركة الإصلاح البروتستانتى ، قامت بترجمة الكتاب المقدس ، إلى اللغات الأوروبية السائدة ، حتى يتاح الكتاب لكل الشعب . بعد أن كان الكتاب المقدس ، مكتوباً باللغة اللاتينية ، ولا يسمح بقراءته إلا لرجال الدين الكاثوليك. وهو ما أتاح للمسيحيين ، أن يتعرفوا على الكتاب المقدس بأنفسهم ، بعهديه القديم (التوراة) والجديد (الأناجيل) ، فالكتاب المقدس ، ومنذ الكنيسة الأولى، يحتوى على العهدين معًا .

بهذا المعنى ، فإن مارتن لوثر ، وحركة الإصلاح ، لم تقدم التوراة ، كمصدر جديد بل مصدر يعاد إحياؤه ، وقدمت الكتاب المقدس ككل ، كمصدر وحيد ، أعيدت قراءته وتفسيره. والحادث هنا ، أن تفسير الكتاب أصبح متاحًا ، والاجتهاد ميسورًا، وهو ما ساعد على ظهور تيارات وطوائف واجتهادات جديدة ، تحسب فى النهاية ، على أنها استمرار للحركة البروتستانتية .

أما عن موقف مارتن لوثر ، فقد نادى بأن قراءة الكتاب حق لكل مؤمن فى محاولة للمساواة بين المؤمن والكاهن ، أى المناداة بكهنوت جميع المؤمنين . من جانب آخر ، فإن موقف لوثر من اليهود ، يمكن أن نعتبره موقفًا جديدًا فى المسيحية . فقبل لوثر ، لم يحاول المسيحيون تبشير اليهود ، باعتبارهم قتلة المسيح ، وأعداء المسيحية . أما لوثر فقد نادى بتبشير اليهود ، وهو ما يعنى ضمنًا : معاملة اليهود ، مثل معاملة غير المسيحى .

وفى هذا الجانب ، نلمح رفض لوثر الضمنى ، لأى عداء لعرق أو شعب ، يقوم على أسس دينية . وفى الحقيقة ، فإن الكثير من التفسيرات التى تحاول سبر غور الحركة البروتستانتية، تفشل فى ذلك . والسبب وراء ذلك أن الحركة البروتستانتية منذ قيامها على يد مارتن لوثر ، ثم جون كلفن ، كانت تتضمن معركتين ، ولكن المسافة بين معركة وأخرى ، كانت كافية لإحداث قدر من الازدواجية . وهى تلك الازدواجية ، التى دارت حولها الكثير من معارك الطوائف البروتستانتية ، وأدت إلى انقسامات ، ومازالت حتى اليوم توجد بصورة فعالة .

فلقد قامت البروتستانتية ، منذ بدايتها ، على عنصرين :

الأول : التأكيد على الجانب الروحى الإيمانى ، والخلاص الشخصى .

الثانى : التأكيد على القيم الإنسانية ، وحق الإنسان ، وغيرهما .

ومن خلال هذين العنصرين ، نفهم موقف مارتن لوثر ، فقد رفض لوثر معاملة اليهود على اعتبار أنهم أعداء دينيون ، بسبب النزعة الإنسانية التى ولدت مع البروتستانتية منذ بدايتها . ولكن من خلال الجانب الروحى الخلاصى ، أكد لوثر على أهمية تبشير اليهود . ولذلك فإن موقفه منهم تشدد ، بسبب رفضهم للرسالة

المسيحية، أى أن رفضهم قام على أساس العنصر الأول الروحى الخلاصى .

أما مسألة عودة اليهود إلى أرض فلسطين ، فهى قضية لها بعد سياسى ، ليس مجاله فى هذه الدراسة ، ولها بعد دينى . والبعد الدينى ، أى نظرية الملك الألفى ، تتضمن أن عودة اليهود من الشتات ، وقيام دولة إسرائيل فى فلسطين ، هو التمهيد الضرورى ، لعودة المسيح ليحارب كل قوى الشر ، ويقيم ملكًا أرضيًا لمدة ١٠٠٠ عام، تحت حكمه كملك للأرض جمعاء . إن هذه النظرية ، ظهرت عبر تاريخ المسيحية ، ولكن لفترات محدودة وبقوة محدودة ، وظهرت فى صورتها القوية الواضحة منذ ١٥٠ عامًا ، والتياران البروتستانتيان الأساسيان ، وهما اللوثرية (مارتن لوثر) ، والمشيخية (جون كلفن) ، مثلهما مثل الكاثوليكية والأرثوذكسية ، يرفضان هذه النظرية ، وهو أمر ثابت لاهوتيًا .

اللوثريون واليهود:

يقول يوسف الحسن(٢٥) : « إن أتباع مارتن لوثر اعتذروا ، بعد أكثر من أربعة قرون عما صدر عنه من ملاحظات سلبية بحق اليهود، وذلك حينما أعلن ممثلو الاتحاد العالمى للوثريون المجتمعون فى مؤتمرهم فى استوكهولم فى السويد ، فى الفترة من ١١ – ١٣ تموز/يوليو ١٩٨٣ ، عن عدم التزامهم بكل ما صدر عن لوثر بشأن اليهود . وعبر مؤتمر رؤساء الكنيسة اللوثرية الأمريكية ١٩٨٣، عن أسف اللوثريين وعدم علاقاتهم بالملاحظات المتطرفة التى سبق لمارتن لوثر أن أبداها تجاه اليهود » .

وهذا الموقف من الكنيسة اللوثرية ، يوضح أولاً أن مارتن لوثر لم يُعرِّف اليهود باعتبارهم شعب الله المختار ، وبالتالى لم يعط لهم مكانة خاصة فى المسيحية . والكنيسة اللوثرية الأمريكية ، عندما تعتذر عما صدر عن مارتن لوثر ، لا تعترف باليهودية كشعب الله المختار ، ولكن تدافع عن اليهود ، باعتبارهم شعبًا تعرض للظلم العرقى من قبل المسيحيين ، فى فترات سابقة .

التفرقة إذن ضرورية ، فليس كل مسيحى يناصر اليهود ، أو يؤيدهم ، فى موقف أو آخر ، هو مسيحى أصولى يؤمن بأن اليهود هم شعب الله المُختار ، وأن

عودتهم لفلسطين ضرورية حتى يعود المسيح . ومن وجهة نظر عربية ، فإن كل تأييد دينى لليهود ، هو عداء للعرب ، ولحقوق الشعب الفلسطينى . وبرغم ذلك ، فإن الدراسة العلمية ، تحتم علينا أن نعرف أسباب التأييد ، وخلفيته الدينية .

وموقف الكنيسة اللوثرية ، المؤيد لليهود ، نابع من أسس ليبرالية ، تعود فى جذورها إلى الجانب الإنسانى ، من الحركة البروتستانتية ، والتى تضمنت ومنذ مارتن لوثر ، جانباً مهماً من المذهب الإنسانى ، الوليد فى ذلك الوقت . لذلك فموقف الكنيسة اللوثرية الأمريكية ، يعنى أنها تأثرت بالدعاية اليهودية ، واقتنعت أن اليهود شعب مظلوم ، ولذلك ، ولأسباب ليبرالية دينية ، حاولت هذه الكنيسة إصدار بيانات ترفع هذا الظلم عن اليهود . وتصبح مساندة الكنيسة اللوثرية لليهود قائمة على أسس قيمية عامة ، دون أن تكون لها علاقة بمفهوم شعب الله المختار ، وعودة اليهود، وعودة المسيح .

وأهمية هذه النقطة ، تكمن فى إبرازها لدور الدعاية اليهودية الصهيونية ، التى استطاعت جذب تأييد الليبراليين المسيحيين ، وكذلك الليبراليين العلمانيين . فهذه الدعاية ، تصور اليهود باعتبارهم شعباً مضطهداً ، فى حين أنهم أصبحوا شعباً يضطهد الفلسطينيين . وهو ما يشير بوضوح إلى قوة الدعاية اليهودية ، وضعف الدعاية العربية .

من يبيع الدموع :

من داخل الكنيسة الرئيسية فى أمريكا (كنائس الخط العام) ، كان التوجه نحو اليهود ، يبتعد عن المعتقدات الدينية ، ليصبح قضية اجتماعية فى الأساس . ففى البداية الأولى لنشأة أمريكا كانت السيطرة للأطهار ، ولم يكن الأطهار مؤمنين بالملك الألفى ، أو أهمية عودة اليهود ليعود المسيح ويحكم الأرض. فقد كان اهتمام الأطهار بعودة اليهود إلى فلسطين ليس إلا تعبيراً عن اعتقادهم ، أن فلسطين هى أرضهم، لأنهم عاشوا فيها حسب التاريخ المدون فى الكتاب المقدس .

ولم يستمر هذا الاعتقاد كثيراً ، وظهر ميل واضح بين كنائس الخط العام ، لتبشير اليهود ، لأنهم ليسوا شعب الله المختار ، لأن الكنيسة هى شعب الله المختار .

ومنذ القرن التاسع عشر ، أصبح موقف الخط العام المسيحى فى أمريكا تجاه اليهود ، يتحدد على أسس اجتماعية وسياسية محضة . ولكن وفى نفس الوقت فقد ظهر تيار آخر ، يؤمن بالملك الألفى ، وهو التيار الذى ينمو تدريجياً ، ليصل إلى ذروته مع ثمانينات وتسعينيات القرن العشرين ، وذلك بظهور تيار مسيحى صهيونى قوى .

وفى هذا المناخ ، كان تيار الخط العام ، من الكنيسة المشيخية ، والأسقفية ، والميثوديست وغيرهم ، أميل للتعامل مع اليهود - باعتبارهم أحد شعوب الأرض - وأنهم أحد الحقول المهمة للتبشير . أما الموقف من عودتهم لفلسطين ، فكان أمراً يتوقف على السياسة أكثر من الدين . ولكن الصورة تغيرت ، ومنذ ما قيل عن مذبحة النازى لليهود .

فبعد الحرب العالمية الثانية ، كانت كنائس الخط العام ، تتجه إلى الليبرالية وتبتعد عن الأصولية . لذلك ، كان من المتوقع أن تكون هذه الكنائس آخر من يؤيد اليهود . أما الواقع فكان غير ذلك ، وتاريخ العلاقة بين اليهود والكنائس الليبرالية(٢٦) له دلالته . فلقد كان لهذه المذبحة دور مهم فى جذب الكنائس الليبرالية لتأييد الموقف اليهودى ، منذ نهاية الحرب العالمية .

لقد كان من الواضح ، أن اليهود قادرون على بيع دموعهم بأغلى الأثمان . فموقف الكنائس الليبرالية من اليهود ، ومنذ ١٩٤٨ ، يؤكد أن الكثير من التأييد أعطى لليهود باعتبارهم المضطهدين فى الأرض ، والمظلومين ، والمشردين ، لذلك كانت الكنائس الليبرالية ، تؤيد اليهود ، لأنهم شعب ضاعت حقوقه ، بسبب النازى ، وبسبب اضطهاد المسيحيين لهم عبر التاريخ ، ومن هنا أصبحت الكنائس الليبرالية ، تكفر عن أخطاء الماضى ، وأخطاء الآخرين ، بأن تعطى لليهود حقوقاً ، ولكن هل تكون العدالة ، بإعطاء حق لا نملكه للآخرين ؟ .

تلك بالفعل مشكلة هذه الكنائس ، لأنها كانت تتصرف ، وكأن أرض فلسطين فارغة ، بدون شعب . لقد تجاهل الليبراليون كل المشكلات التى تنجم عن مساندتهم لليهود ، فنسوا أن تعويض اليهود بأرض فلسطين ، ما هو إلا خلق شعب مضطهد

جديد. ولكن، فى آلة الدعاية الأمريكية ، فإن الحقيقة يصنعها خبراء الدعاية لا الواقع ، واليهود لهم يد طولى ، والعرب لم يكن لهم دور . ولذلك ، فإن اليهود ، قادرون على بيع دموعهم بأغلى الأسعار .

إن الصورة تستمر على هذا النحو ، عبر السنوات ، ولكن حرب ١٩٦٧ تضع بذوراً جديدة ، فى تصور الليبراليين عن اليهود . وهذه البذور هى التى تنمو ، لتظهر فى الثمانينات، كتصور جديد وموقف جديد . فمنذ حرب ١٩٦٧ ، وكذلك بعد حرب ١٩٨٢ وغزو لبنان ، تساءل الليبراليون: من هم الشعب المضطهد ؟ فلقد سقطت أقنعة البكاء اليهودى ، ورأت الكنائس الليبرالية ، أن اليهود هم الشعب الغازى والمعتدى . لذلك ، تحول موقف المجلس الوطنى لكنائس المسيح بأمريكا ، وتحول موقف المجلس العالمى للكنائس .

وحتى الآن ، لم نسمع صرخة من هذه المجالس والكنائس ، تحدد موقفهم بشكل قاطع ، ولكن توجهاتهم وبياناتهم ، أصبحت تبحث عن الحق العربى ، ولم تعد تردد نغمات الشعب المضطهد ، ولم تعد تنخدع بدموع اليهود . ولقد أزعج هذا التغير القيادات اليهودية ، مما جعل اللوبى اليهودى يحارب التيار الليبرالى ، ويستمر فى محاولة استقطابه ، كذلك أصبح اللوبى اليهودى مدفوعاً بقوة لكى يتحالف مع الأصولية المسيحية ، فهى الآن الصوت المسيحى المؤيد له .

وهنا تتغير ملامح التحالف ، فلقد تحالف اليهود الليبراليون ، مع المسيحية الليبرالية ، بدعوى أنهم شعب مضطهد ومظلوم، أما اليوم فإن اليهود الليبراليين يتحالفون مع الأصولية المسيحية ، وهم يخافون من الأصولية. واليهود الأصوليون ، يتحالفون أحياناً نادرة مع الأصولية المسيحية ، وهم يعتبرونها الخطر الأول عليهم . ويبقى المسرح معداً ، لفصول جديدة من الصراع والتحول .

الأصولية والإنجيلية وإسرائيل :

يمكن تقسيم الحركة الأصولية الأمريكية، كما نشير فى مواضع أخرى من هذه الدراسة . إلى ثلاثة أقسام هى :

١- الحركة الإنجيلية : وهى التيار الأكبر ، ويمثل الإنجيلية المحافظة .

٢- الحركة الأصولية ، وهى التيار الأكثر تشدداً داخل الحركة الإنجيلية ، باعتبارها الإطار العام .

٣- الحركة الأصولية الصهيونية : وهى تمثل قلب الحركة الأصولية ، وبها المؤمنون بالملك الألفى . مع ملاحظة ، أن أغلبية الأصوليين المعاصرين ، يؤمنون بالملك الألفى . إلا أن بعض الألفيين انعزاليون ، لا يحاولون تحقيق الملك الألفى بأنفسهم ، والبعض الآخر سياسيون يحولون عقيدة الملك الألفى إلى برنامج عمل سياسى .

ومن وجهة نظر علمية ، فإن هذه التيارات معاً ، تمثل التيار الأصولى ، ويمكن أن نعتبر الحركة الإنجيلية ، بمثابة تيار سلفى ، وفى قلبها الأصولية الأكثر تشدداً ، ثم فى قلبها الصهيونية المسيحية باعتبارها التوجه الأكثر تطرفاً .

ولكن من ناحية أخرى ، نجد أن هناك عاملاً يجمع بين التيارات الثلاثة ، فكما يرى حداد(٢٧) فإن «الإنجيليين تسمية عامة ، تضم الأصوليين والألفيين ، وغيرهم من الكتابيين الحرفيين ، وهم منتشرون عبر العديد من الطوائف البروتستانتية، والكاثوليكية أيضاً ، وهم يتميزون حسب المسح الذى أجرته مؤسسة جالوب تحت عنوان الدين فى أمريكا ١٩٧٧ - ١٩٨٧ بأنهم الذين يعتقدون فى خلاص الولادة الثانية ، وان المسيح مخلص شخصى ، وأن الكتاب المقدس هو السلطة الوحيدة لكل العقائد ، ويشعرون بأن عليهم واجباً ملحاً نحو نشر الإيمان . وبتعبير آخر ، فهم مجندون لإيمانهم ، وقد أشارت العينة إلى أن عددهم يتزايد بسرعة ، ونشاطهم يتزايد . وبسبب التصاقهم بحرفية الكتاب ، وبسبب تأكيدهم الشديد على النبوة ، يمكن اعتبار تأييدهم لإسرائيل أمراً مسلماً به ، لهذا فإن الأرض التى تشكل جذور التأييد الأمريكى لإسرائيل ، تبدو في تزايد مستمر ، ويحتمل أنها تحذف أى أثر للميل الموجود بين الليبراليين ، لأخذ موقف عادل نسبياً فى الصراع العربى الإسرائيلى» .

وما سبق يعنى أن كل الإنجيليين أو الأصوليين ، يؤيدون إسرائيل ، وإن كان

الأصوليون الصهيونيون يؤيدونها بسبب فكرة الملك الألفى ، فإن بقية الأصوليين والإنجيليين يؤيدونها بسبب التفسير الحرفى للكتاب المقدس ، الذى يؤدى إلى الإيمان بأن فلسطين هى أرض إسرائيل ، وأنها أرض وعدها الرب لهم ، والرب لا يخلف وعوده . والموقف الأخير ، هو نفس موقف حركة الأطهار ، التى ظهرت فى انجلترا فى القرن السابع عشر .

الأصولية المخدوعة :

إن الأصولية المسيحية الأمريكية ، وقعت فى شرك عدم التجانس الفكرى أو المنطقى أو الدينى ، فليس من المعقول أن نفهم عقائدها ، ولننظر لبعض الأمثلة :

١- لقد تراجعت الأصولية المسيحية عن تبشير اليهود ، وأجلت ذلك لما بعد الملك الألفى ، وقيام حكم المسيح(٢٨) .

٢- ترى الأصولية أن الملك الألفى يحدث من خلال سيناريو عقائدى ثابت ، ومع ذلك فإن تأجيل تبشير اليهود ، هو عبث بهذا السيناريو .

٣- يرى الأصولى المسيحى ، أن اليهود يأتون فى المرتبة الأولى ، ثم المسيحى الأصولى الأمريكى ، وذلك لأن الأصولى يساعد اليهودى ، وبالتالى يرضى عنه الله ، لأنه يساند شعبه المختار(٢٩) . والعقيدة بهذا المعنى ، لا تتسق مع أى لاهوت مسيحى . فمن خلال اللاهوت والعقيدة المسيحية فإن المسيحى هو المؤمن، واليهود وإن فرضنا أنهم شعب الله المختار ، فهم شعب الله الذى ضل الطريق، ويجب على المسيحى أن يبشرهم .

٤- يؤيد الأصولى اليهود ، ويساعدهم ، ويتقبل اليهود منه ذلك ، ولكن عقيدة الأصولى تقول : إن تجمع اليهود يمهد لحرب عالمية ثالثة بين الخير والشر ، سوف يموت فيها ٨٠ ٪ من اليهود ، أى أن هذه الحرب هى عقاب لليهود ، لا ثواب لهم ، وبالتالى فهم مغضوب عليهم ، لا مرضى عنهم .

٥- يرى الأصولى المسيحى أن العرب من قوى الشر فى المعركة الأخيرة ، ولكن لم نسمع عن موقف العرب المسيحيين فى هذه المعركة ، فهل العرب من قوى الشر لأنهم مسلمون ؟ أم لأنهم عرب ؟ ويستوى فى ذلك المسيحى مع المسلم .

٦- إن العلمانية تمثل الهدف الأول للأصولية ، ومع ذلك فإن الأصولية تساند إسرائيل ، وهى دولة علمانية .

إن هذه العناصر وغيرها ، لا نهدف منها إلى تصحيح عقيدة ما ، بل الهدف منها بيان جوانب العقيدة الأصولية الألفية المعاصرة (الصهيونية) ، فهذه العقيدة لا تنتشر فى صورة لاهوتية مدروسة ، بقدر ما أصبحت حالة اجتماعية ، وهى حالة شعب يشعر بالهزيمة من داخله ، برغم تقدمه ، ويبحث عن عقيدة يلتصق بها لتشعره بقوته ، فلا يجد قوته إلا من خلال التوحد مع مفهوم شعب الله المختار ، والتوحد مع اليهود . والأزمة هنا واضحة ، إنها أزمة حقيقية داخل وجدان وعقل المجتمع الأمريكى، مجتمع القوة المهزومة .

تحالف الأضداد :

إن التحالف بين الأصولية المسيحية، ودولة الأحتلال الإسرائيلى، يدعو للتساؤل عن كيفية التحالف نفسه. فدولة إسرائيل علمانية، برغم ما فى إسرائيل من توجهات دينية أصولية قوية، والحركة الأصولية المسيحية، لا تعادى أحداً قدر معاداتها للعلمانية. فعلى أى أساس يقوم التحالف ؟

من الواضح أن الكثير من أسباب التحالف تعود للسياسة ومناورتها، كذلك تعود للمال وسطوته، فالتحالف مع اليهود جزء من إقامة لوبى سياسى، ودعم اليهود مادياً، هو ببساطة وسيلة جيدة لجمع المال، فالأصوليون يعلنون عن جمع المال، لتمهيد الطريق لعودة المسيح ، والمسيحى الأصولى يدفع من ماله، لكى يعود المسيح، وأى سبب أعظم من ذلك لدفع المال !

ولكن الأزمة تظل كامنة، فالأصوليون يريدون عودة اليهود، ويريدون أيضاً تبشير اليهود، ودولة إسرائيل ترفض التبشير وتمنعه. وفى الجانب الآخر، فإن إسرائيل علمانية، تريد الدعم، دون عودة المسيح، أو دون التبشير، وتظهر عناصر هذه الأزمة، بين الأصولية المسيحية واليهودية .

فالأصولية اليهودية، تحاول التمهيد لمجىء المسيح، من خلال هدم المسجد الأقصى وإقامة هيكل سليمان، والأصولية المسيحية المسيسة، تحاول التمهيد لعودة

المسيح، من خلال إقامة دولة إسرائيل، وهدم المسجد الأقصى وإقامة هيكل سليمان، والهدف واحد، والإختلاف قاتل، فاليهود الأصوليون ينتظرون مجيء المسيح للمرة الأولى، لأنه لم يأت من قبل، حسب عقيدتهم، أما المسيحيون الأصوليون فينتظرون عودة المسيح، لأنه بالطبع أت من قبل.

والكل ينتظر المسيح، ليحكم الأرض ، ولكن العقائد مختلفة والتصورات متباينة، والتعاون بين هذه الأصولية وتلك، لايبدو ممكناً، بل إن اليهود الأصوليين أكثرمن يتخوفون من الأصولية المسيحية، لأنها تهديد للعقيدة اليهودية.

ومن الواضح، أن من يكسب فى النهاية، هو من يعرف قانون اللعبة، وهو رجل السياسة اليهودى، الذى يأخذ ما يريده، وهو الدعم المادى والسياسى، ولايعطى شيئاً، والذى يتظاهر بالتعاطف مع عقائد الأخرين، حتى يأخذ ما يريد، ثم يرفض أى عمل تبشيرى بهذه العقائد.

اليهود والمازق :

إن تأييد الحركة الأصولية لليهود ودولتهم، يعد مأزقاً حاداً، خاصة بالنسبة لليهود الأمريكيين. فعبر التاريخ الحديث، كان يهود أمريكا، من مؤيدى الحزب الديمقراطى، ومن مؤيدى الليبرالية، بل ومن أعلامها. فاليهود كأقلية على أساس دينى، أميل إلى تأييد العلمانية، والليبرالية، لأنها تعطى لهم كل حقوق الحياة، والعمل، والقيام بدور سياسى. كذلك فإن العلمانية توفر إطاراً سياسياً للدولة، ليس له علاقة بالجانب الدينى، ومن ثم يتيح لهم ذلك مكانة متساوية كأمريكيين، مع بقية المجتمع. ففى الإطار العلمانى، تختفى التفرقة والتمييز على أساس دينى، لاختفاء دور هذا الأساس فى حد ذاته.

ولكن، وبسبب ممارسات إسرائيل لم تعد القوى الليبرالية، هى المؤيد الأول لهم، عكس ما كان من قبل. فبسبب مذبحة النازى، والتشتت، وغيرها، أصبح اليهود فى نظر الليبرالية، ضحايا يجب مساندتهم، وشعباً بلا وطن، يجب البحث لهم عن وطن. وهكذا، كانت القوى الليبرالية الأمريكية تساند اليهود مرتين، مرة من خلال مساندة حقهم فى إقامة وطن لهم، ومرة أخرى من خلال مساندة حق اليهودى الأمريكى فى

المساواة الكاملة مع كل أمريكى آخر.

ولكن ممارسات دولة الاحتلال الإسرائيلى أدت إلى ضعف تأييد الليبراليين لها. وفى هذا الوقت، صعد نجم الأصولية، وما تطرحه من عقائد دينية تؤيد إسرائيل. وهنا أصبح المأزق واضحاً، خاصة بالنسبة ليهود أمريكا. فالحزب الديمقراطى، هو الحزب الذى يحمى حقوقهم فى إطار الليبرالية، أما الحزب الجمهورى فهو الذى يحمى حقوق دولة الاحتلال الإسرائيلى فى إطار الأصولية.

وأصبحت المفارقة ، أن اليهود الأمريكيين، يعطون أصواتهم للحزب الديمقراطى الذى يحمى حقوقهم، ولكنه لايحمى حقوق دولة الاحتلال نسبياً، لأنه يعارض ممارستها التى تعارض قيمه. أما الحزب الجمهورى، فلا يفوز بأصوات يهود أمريكا، مثل الحزب الديمقراطى، ومع ذلك فهو الحزب الذى يدافع عن حقوق إسرائيل، لأسباب أصولية، وأيضاً لأسباب سياسية يمينية متطرفة.

وهنا افترقت مصلحة يهود أمريكا، عن يهود إسرائيل، ففى إسرائيل يريد اليهود التأييد أيا كان مصدره. ولكن فى أمريكا، فإن اليهود يخشون من سيطرة الأصولية على حكم أمريكا، لأن ذلك سوف يتبعه تنامى الهوية المسيحية الأمريكية، وغيرها من الهويات الأخرى، وبالتالى يهدد بتجدد الاتجاهات المعادية لليهود.

الموقف المسيحى من دولة إسرائيل :

كى نستطيع فهم جملة المواقف المعقدة والمتغيرة، للكنيسة تجاه دولة إسرائيل، وأرض الميعاد وحقوق الشعب اليهودى، سنحاول فيما يلى إجمال المواقف المتتالية عبر التاريخ، إلى مجموعة منظمة من الفئات، تبدأ بالفئة التى ترفض اليهود وأى حق لهم، حتى الفئة التى هى بحق صهيونية مسيحية، مع ذكر أهم التيارات أو الكنائس الممثلة لكل اتجاه.

١- الموقف المعادى تماماً لليهود، والذى يعتبرهم قتلة المسيح، حتى فى كل أجيالهم. وهذا الموقف يرفض اليهود، وأى حق لهم، ويقول إنهم لم يعودوا شعب الله المختار، أو بنى إسرائيل، فالكنيسة هى إسرائيل الجديدة. وهذا الموقف يرفض عودة اليهود لفلسطين، وأكثر من ذلك يرفض جنس اليهود، ويرفض وجودهم فى

أى دولة مسيحية، ويظهر هذا الموقف، فى الكنيسة الأولى، وعبر القرون، حتى القرن السادس عشر، ثم يستمر فى الظهور، لدى بعض الكنائس، مثل الكنيسة الكاثوليكية، والكنيسة اللوثرية الألمانية، وحتى الدخول الى مشارف القرن العشرين.

٢- الموقف الرافض لفكرة شعب الله المختار، حيث يتم التأكيد على أن الكنيسة هى شعب الله المختار، وأن اليهود أصبح مثلهم مثل الأمم. ويؤكد هذاالموقف ، أن إسرائيل الجديدة، ليست دولة بل هى الكنيسة، ولذلك لايجوز إقامة إسرائيل جديدة على أسس كتابية، وهذاالموقف لايعادى اليهود، بل يطالب بتبشيرهم، كى يكون لهم فرصة الانضمام إلى إسرائيل الجديدة، أى الكنيسة. ويظهر هذاالموقف تدريجياً، فى الكنيسة الكاثوليكية واللوثرية والمشيخية، عبر فترات شهدت انتهاء العنصرية المسيحية ضد اليهود، ويبرز ذلك منذ القرن السادس عشر بالنسبة للكنائس البروتستانتية، وفى القرن العشرين تقريباً بالنسبة للكنيسة الكاثوليكية.

٣- الموقف الثالث، يرفض أيضاً فكرة شعب الله المختار، ويؤكد أن الكنيسة هى الشعب المختار وهى إسرائيل الجديدة. وبدون معاداة لليهود، يحاول أصحاب هذا الموقف ، تجاوز كل اضطهاد سابق ضد اليهود، والتأكيد على أن اليهود لهم حقوق البشر، وهنا تظهر أهمية معاملتهم بأسلوب إنسانى مسيحى، ورفع أى ظلم عنهم، ويختلف فى هذاالموقف عدد من التيارات، أو المراحل الفكرية . فعلى الأساس السابق، يهتم البعض بحقوق اليهود، دون حقهم فى إقامة دولة، وهو ما تحول بعد ذلك إلى اهتمام بحقهم فى قيام دولتهم، ثم تحول الموقف أكثر ليصبح لليهود حق فى إقامة دولتهم فى فلسطين موطنهم القديم، ولكن اختيار فلسطين ، بسبب أنها كانت موطنهم قبل ٢٠٠٠ عام، وليس بسبب أى دعوة إلهية. وهذا الاتجاه يبنى موقفه على فكرة العدالة، ومحاولة مسح ما تعرض له اليهود من ظلم من قبل الكنيسة. وهذاالموقف مهم جداً، لأنه فى الواقع يقوم على أسس ليبرالية غالباً، ويصدر عن الكنائس الليبرالية . فهو يقوم على إيمان كامل بالعدالة للجميع، وحق الجميع فى الحياة، وحق كل شعب فى وطن له.

وبرغم هذه النزعة الأخلاقية الواضحة، إلا أن هذا الاتجاه يطرح تساؤلاً خطيراً، فأى عدالة هذه، التى تقيم حق شعب على حساب شعب آخر ؟ وأى ليبرالية تلك التى تسمح بتسييد شعب فوق آخر ، وتجيز الإستعمار، والاستيطان، وتهجير الشعب الفلسطينى ؟ والواقع يؤكد أن الكنائس الليبرالية التى وقفت مع اليهود، وضعت فى مخيلتها ما لقاه اليهود من عذاب سابق، وحقهم وأهمية إنصافهم، ولكنها نسيت تماماً العرب، ولايمكننا أن نتجاهل هذا الموقف لان فيه عنصرية حضارية، وربما دينية لأن هذه الكنائس الليبرالية، لم تضع فى اعتبارها حقوق العرب، أى أنها لم تتعامل مع العرب باعتبارهم على نفس القدرمن الأهمية مثل اليهود. ولذلك فإن موقف الكنائس الليبرالية السابق، يعبر عن ليبرالية نسبية متحيزة حضارية، بل قل إنها ليبرالية هشة. وعدالة مزعومة. وهذاالموقف ظهر فى الكنائس الليبرالية البروتستانتية، منذ أواخر النصف الأول من القرن العشرين، واستمر هذا الاتجاه واضحاً لدى هذه الكنائس، والتى ساعدت اليهود بكل الطرق، حتى جاء عام ١٩٦٧، وتغيرت النظرة تدريجياً. فقد اكتشفت الكنائس الليبرالية، أن هناك عرباً ! وأن إسرائيل ليست دولة ليبرالية ديمقراطية، بل دولة عدوان وتعذيب ! لذلك بدأت الكنائس الليبرالية البروتستانتية (خاصة الكنيسية المشيخية الأمريكية، والعديد من كنائس أوربا) تغير موقفها تدريجياً نحو إسرائيل. حتى إذا جاء عام ١٩٨٢، وغزو لبنان، فإننا نجد إدانة شديدة، ودون أى تحفظ، من الكنائس الليبرالية، على ممارسات دولة الاحتلال الإسرائيلى. وهكذا تحول الليبراليون تدريجياً لتأكيد رفضهم للاستعمار والاستيطان والوحشية، ومؤكدين أن الوضع الوحيد المقبول ، هو دولة لإسرائيل ودولة لفلسطين، وحقوق متساوية لكلا الشعبين. وهذاالموقف الليبرالى، ولكن دون اسبابه الليبرالية، يظهر لدى الفاتيكان، ولكنه يظهر تدريجياً ومنذ الستينات، ولكن فى الاتجاه العكسى. أى أن الموقف الليبرالى القديم، القائل بحقوق اليهود فى دولة لهم ، بدأ يظهر لدى الفاتيكان، تدريجياً منذ الستينات، وبرغم أن الموقف الرسمى للفاتيكان يرفض دولة إسرائيل، إلا أن موقفها العلمى، يقبل دولة لإسرائيل، ودولة لفلسطين، أى أن الكنائس الليبرالية البروتستانتية كانت

أكثر تأييداً لإسرائيل، وقل تأييدها تدريجياً، لتتقابل مع الكنيسة الكاثوليكية، التي كانت أكثر رفضاً لإسرائيل، فأصبحت أكثر تأييداً. وجملة هذا الموقف فى النهاية، أنه يؤيد كل قرارات مجلس الأمن بدءاً من قرار التقسيم فى ١٩٤٧، إلى قرار ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧. ونلاحظ أن هذا التيار يرفض حتى الآن قرار مجلس الأمن، الذى أقر أن الصهيونية نوع من العنصرية . فالكنائس الليبرالية، وبالطبع الكنائس الأخرى، رأت أن هذا القرار تكريس لفكرة اضطهاد اليهود، ولذلك فهو قرار مرفوض لأنه يعد استمراراً للتاريخ المظلم لاضطهاد المسيحيين لليهود. لذلك فإن أكثر المجالس تشدداً ضد اليهود مثل المجلس الوطنى لكنائس المسيح بأمريكا، ومجلس الكنائس العالمى، يرفضان اعتبار الصهيونية نوعاً من العنصرية، ويرفضان كل ممارسات إسرائيل الحالية، مثل غزو لبنان، والاستطيان، واحتلال الأراضى، وتهجير اليهود السوفيت، وغيرها، والحل المقبول بالنسبة لهم هو فكرة الدولتين مع كل الحقوق، والعدالة الكاملة لكل دولة.

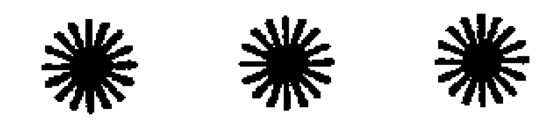
٤- الموقف الرابع، يرى أن اليهود هم شعب الله المختار قديماً، والكنيسة هى شعب الله المختار الجديد، ولذلك فإن أرض فلسطين ، هى أرض شعب الله المختار القديم، لأنها وعدت لهم، عندما خرجوا من أرض مصر، إلى أرض كنعان، وهذا الاتجاه ، يؤكد على أن وعود الرب لا تسقط ، والرب لايخلف مواعيده، وما دام الرب قد أعطى لشعبه القديم وعداً، فهو يبقيه، حتى وإن كان شعبه القديم، قد خرج عن الطريق ، ورفض المسيح. والأساس فى هذا الموقف ، هو قبول النصوص الكتابية فى العهد القديم، باعتبارها مستمرة، رغم وجود العهد الجديد، ويصبح لله شعب قديم له حقوق إلهيه، وشعب جديد له حقوق إلهيه أخرى. ولذلك يطالب هذا الاتجاه بعودة اليهود إلى فلسطين، لأنها أرضهم الموعودة لهم، ويعتبر أن مساعدة اليهود عمل من أجل تحقيق وعود الله. وظهر هذا الاتجاه مع الحركة التطهرية فى القرن السابع عشر، وظل مع الأطهار، والحركات المعبرة عنهم حالياً، وهى فى معظمها الكنائس البروتستانتية الأصولية، ولكن التى لاتؤمن بالملك الألفى، حيث إن الأطهار رفضوا فكرة الملك الألفى، ومفهوم عودة المسيح لحكم الأرض لألف عام. وتنتمى لهذه الفئة أيضاً

الحركة الأنجيلية المعاصرة الأصولية، التى لاتؤمن بالملك الألفى. و علينا أن نلاحظ أن الصورة، ليست دائماً بلا شوائب، فحركة القداسة، كانت على ارتباط كبير بحركة الأطهار، ومنها خرجت كنيسة الميثوديست، ولكن كنيسة الميثوديست الأمريكية، اليوم، هى أحد أهم قوى المسيحية الليبرالية فى أمركيا، بجانب المشيخية، وهى عضو فى المجلس الوطنى لكنائس المسيح بأمريكا، والذى عرف عنه مواقفه المتشددة ضد الممارسات الإسرائيلية.

٥- فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، ظهرت نظرية الملك الألفى، وتغير الكثير على الساحة . فقد أمن الألفيون بالتفسير الحرفى لكل النبوءات التى جاءت فى الكتاب المقدس، وهى تمتد عبر أسفار أشعياء وحزقيال ودانيال فى العهد القديم، ومتى ومرقس ورؤيا يوحنا اللاهوتى، وغيرهم، فى العهد الجديد، وهذا لايعنى أن كل المسيحيين لايؤمنون بالنبوءات، بل إن الكل يؤمن بها، ولكن الفرق بين الألفيين وبين كل المسيحيين، أن الألفيين قالوا إن هذه الآيات عن المستقبل القادم، فى حين أن كل المسيحيين يروا أنها إما آيات عن أحداث ماضية، أو كانت نبوءات عن أحداث قادمة، ولكنها تحققت بالفعل فى الماضى. فالآيات التى تتحدث عن خراب اورشاليم، يرى الألفيون أنها عن الخراب القادم، بعد تجمع اليهود من الشتات، وقيام الحرب الكبرى فى هرمجدون الفلسطينية، ليعود المسيح منتصراً، وملكاً على الأرض لمدة ألف عام . أما كل الطوائف المسيحية الأخرى، فترى أن الآيات الخاصة بخراب أورشاليم، تنطبق على خراب أورشاليم الذى حدث بالفعل، فى عام ٧٠ خاصة. ومن خلال الفهم النبوى والتنبوئى، يرى الألفيون ، أن تاريخ العالم مسجل فى العقيدة، ومقسم لمراحل ، وأن المرحلة الأخيرة هى المرحلة الألفية. ولذلك فإن اليهود سوف يعودون، وتقوم دولة إسرائيل، ويعود كل يهود الشتات، وتقوم حرب بين الخير والشر، بعد صعود المؤمنين الى السماء، حتى ينجوا من نيرات الحرب، ثم تنتصر قوى الخير بقيادة المسيح، ويعود المؤمنون الى الأرض، ليحكم المسيح ألف عام كاملة، حكماً أرضياً. وهذا الاتجاه والذى ظهر فى أواخر القرن التاسع عشر، ينادى بأن على المؤمنين الصلاة والانتظار حتى يأتى المسيح، ولذلك فإن الألفيين

رفضوا حتى العمل على إصلاح المجتمع لأن كل إصلاح لن ينفع والحل الوحيد مع عودة المسيح. وهذه النزعة هى الألفية السلبية الانعزالية، والتى ظهرت منذ القرن الماضى، مروراً بسنوات النصف الأول من القرن الحالى، وكان الألفيون الأوائل، من مؤيدى الصهيونية، حتى وإن كان تأييداً سلبياً، فإن عودة اليهود وقيام دولة إسرائيل، تمثل علامة آخر الزمان، وهى بالنسبة للألفيين، علامات على قرب قدوم الألف عام السعيدة.

٦- من هذا التراث الفكرى الألفى - ظهر تيار جديد، منذ الستينات، من القرن العشرين، وهو تيار مؤمن بالملك الألفى، ولكنه اختلف عن الألفيين السابقين عليه، لأنه نادى بأن على الألفيين لا الصلاة انتظاراً للألف عام، بل العمل بكل الوسائل لتحقيق الألف عام، أى لإعداد المسرح حتى يصبح مؤهلاً لقدوم المسيح. وهذا الاتجاه هو الذى تمادى فى تأييد إسرائيل، ومدها بالسلاح، والمال، وتأييد حقها فى الأرض من النيل إلى الفرات، وحقها فى غزو لبنان، بل وفى جزء كبير من دول المنطقة الأخرى. ويمثل هذا الاتجاه التيار الأصولى الصهيونى المعاصر، وهو بالفعل الحليف الأول لدولة الاحتلال الإسرائيلى .



هوامش الفصل الرابع :

(١) Wilson, M. R. Our father Abraham. Michigan: Eerdmans, 1989.

(٢) Justin Martys.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٨٧.

(٥) المرجع السابق، ص ٨٨.

(٦) المرجع السابق، ص ٨٨.

(٧) المرجع السابق، ص ٨٨.

(٨) المرجع السابق، ص ٨٩.

(٩) المرجع السابق، ص ٩٠.

(١٠) المرجع السابق، ص ص ٩٠ – ٩١ .

(١١) المرجع السابق، ص ص ٩١ – ٩٢ .

(١٢) المرجع السابق، ص ص ٩٢ – ٩٣.

(١٣) المرجع السابق، ص ص ٩٣ – ٩٤.

(١٤) المرجع السابق، ص ٩٤.

(١٥) المرجع السابق، ص ٩٥.

(١٦) المرجع السابق، ص ٩٦.

(١٧) المرجع السابق، ص ص ٩٧ – ٩٩.

(١٨) المرجع السابق، ص ٩٨ .

(١٩) المرجع السابق، ص ص ٩٨ – ٩٩.

(٢٠) المرجع السابق، ص ص ٩٩ – ١٠٠.

(٢١) المرجع السابق، ص ١٠٠ .

(٢٢) المرجع السابق، ص ص ١٠٠ – ١٠١.

(٢٣) يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي – الصهيوني – بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٠.

(٢٤) المرجع السابق، ص ٢٥.

(٢٥) المرجع السابق، ص ٢٥.

(٢٦) المرجع السابق، وغريس هالسل، النبوءة والسياسة. ليبيا: جمعية الدعوة الإسلامية

العالمية، ١٩٩٠.

(٢٧) Haddad, H. Christian zionism in America: The religious factors in American middle east policy. In B. K. Nijim (Ed) Amrican church politics and the middle east. Massachusetts: AAUG, 1982, p. 127.

(٢٨) يوسف الحسن، مرجع سبق ذكره.

(٢٩) غريس هالسل. مرجع سبق ذكره.

الفصل الخامس

امبراطورية التبشير ..

فى القرن التاسع عشر ، وصلت الحركة الإرسالية المعاصرة إلى ذروتها . وقد بدأت هذه الحركة ، قبل ذلك ، خاصة فى القرن السابع عشر والثامن عشر ، على يد الكاثوليك ، وعبر رهبانياتهم . وفى القرن التاسع عشر ، وصلت الإرساليات البروتستانتية إلى ذروتها ، من حيث انتشارها ، وعدد المرسلين ، وتأثيرها . لقد أصبحت هذه الحركة ، ملمحاً من ملامح التاريخ المسيحى ، لما كان لها من أثر فى نشر المسيحية عبر قارات المسكونة . لكنها ، ككل حركة ، تحتاج إلى وقفة وتقييم . فعلى مستوى الشكل ، تؤخذ هذه الحركات ، باعتبارها نشاطاً دينياً صرفاً ، أما على مستوى المضمون ، فنجد لهذه الحركات العديد من الجوانب الاجتماعية والحضارية والسياسية . الظاهرة إذن متعددة الجوانب ، وآثارها الاجتماعية مثلاً ، لن تقل أهمية عن آثارها الدينية .

وإذا كان الهدف الدينى معروفاً ، فإن الهدف الاجتماعى والسياسى ، ضمنى فى أغلب الأحيان . ولكن الهدف الدينى أيضاً ، ليس هدفاً بسيطاً ، بل هدف مركب. فالإرساليات لم تأت لتبشر بالمسيحية، هكذا وبشكل مطلق ، بل جاءت تبشر بأحد تيارات المسيحية . فالتبشير هنا ليس للدين المطلق ، وهو أمر قد يستحيل تحقيقه واقعياً ، ولكن التبشير لفكر طائفة معينة. من هذه النقطة ، يمكن فهم تأثير الإرساليات فى الجوانب المتعددة للحياة . فمنذ البداية ، كان المبشر يحمل معه فكراً دينياً ، نشأ وقام وازدهر فى حضارة المبشر ، لا فى حضارة المتلقى ، وحمل هذا الفكر الدينى معه ، رؤية حضارية خاصة للدين ، أى أنه لم يكن فكراً متحرراً من التحيز الحضارى ، وهل ثمة فكر متحرر من التحيز الحضارى ؟

والتحيز الحضارى لم يكن سمة الفكر فحسب ، فالمرسل – شأن غيره – يعبر

عن تكوينه الاجتماعى دون غيره . فهو ليس آلة ناقلة لفكر مجرد ، بل هو عنصر فعال فى عملية النقل ، بكل جوانبها ، من تحديد الرسالة ، إلى اسلوب إرسالها . لهذا فإن المرسل يأتى من حضارته ، وبها ، ليبشر فى حضارة أخرى ، ناقلاً فكراً دينياً متحيزاً للحضارة الأولى . والصورة بهذا تتضح ، فالمرسل جاء بالمسيحية البروتستانتية ، وجاء بالحضارة الغربية . أى حمل معه رؤية غربية للعقيدة المسيحية ، كما حمل معه عادات وقيماً وسلوكيات غربية . فهل أدرك المرسل ذلك ؟ الواضح ، أننا الآن ندرك أبعاد التجربة ، ولكن فى ذلك الوقت لم يدرك المرسلون الأوائل ذلك . والأهم من كل ذلك أن فى عقل المرسل ، كانت القيم والسلوكيات والعادات الغربية ، جزءاً من العقيدة المسيحية والفكر البروتستانتى . فقد كان المرسل ، يعتقد أن المسيحية هى حضارة الرجل الأبيض ، فالأسباب كثيرة ، ارتبط انتشار المسيحية بالغرب ، فى فترة من تاريخها ، وقامت فى الغرب دول مسيحية ، وعالم مسيحى ، هو أوروبا العصور الوسطى، التى ظن البعض أنها المسيحية، وممثلها الأول والأخير .

هذا الموقف من المرسلين الغربيين ، كان له أبلغ الأثر على دور تلك الإرساليات. فقد كان المرسل ، ينظر إلى حضارة الشعب ، الذى جاء لتبشيره ، باعتبارها خارج المسيحية ، ولا تتفق معها ، وباعتبارها خارج التقدم والتحضر ، الذى كانت تعيش بداياته أوروبا . وهذا الحكم كان فى الحقيقة ، باباً لمشكلات تتعدد وتتزايد آثارها ، ربما حتى الآن ، برغم أن هذه الموجة التبشيرية ، انتهت فى النصف الأول من القرن العشرين .

لهذا ، كان للمرسل موقف حضارى دينى طائفى ، فى البلد التى جاء لتبشيرها. كان الموقف مركباً ، وكان المرسل يراه موقفاً أحادياً . فالمرسل كان يعتقد أن كل ما يرفضه هو ما لا يتلاءم مع المسيحية ، وكل ما يقبله هو ما ينبع من المسيحية . وهكذا كانت القداسة تتجاوز العقائد المطلقة ، إلى التحيزات الطائفية ، والتفضيلات الحضارية ، وهو موقف ، يعبر - بلا شك - عن تعصب دينى ، وتشدد لا هوتى ، خليق بهذا الرعيل من الأصوليين الأوائل . فقد كانت حركة الإرساليات ، فى القرن الماضى ، مرحلة من مراحل الحركة الأصولية فى الغرب ، وكان منبعها ومنبتها أوروبا .

وهذا التحيز الحضارى للمرسل ، ترك آثاره ، وكما يرى بدياكو[1] فإن «المشروع المرسلى الغربى ، ارتبط فى العقل الجمعى الأفريقى والآسيوى ، بالهيمنة الاجتماعية والسياسية والحضارية للغرب » ، ويرى الكاتب[2] أن هذا كان «أحد أكثر الجوانب المؤلمة فى حركة الإرساليات المعاصرة » .

إن التزامن الذى حدث بين بداية عصر الاستعمار وبداية عصر الإرساليات، كان له الأثر السلبى على تاريخ المسيحية نفسها . ولكن تاريخ الإرساليات، يعرفنا أن حركة الاستعمار نبعت أساساً من الثورات الصناعية ، وظهور الطبقة البرجوازية ، وقيام الرأسمالية ، أما التبشير والإرساليات ، فقد كانتا نتاج الحركة الأصولية . إن الاستعمار نبع من العلمانية الرأسمالية ، أما الإرساليات فقد نبعت من الأصولية المسيحية . لقد كان لكل منهم طريقه ، ولكن الطرق تتقاطع أحياناً ، وهو ما أدى لظهور تعاون بين الإرساليات والاستعمار ، حيث كانت الإرساليات تحتاج للحماية ، أما المستعمر فقد كان يحتاج للمعلومات عن البيئات المحلية ، كذلك كان يستفيد من نشر قيم الحضارة الغربية ، من قبل المرسلين ، فأصبح التحالف أحياناً حتمياً .

الترجمة : الخروج من الغربية :

عانت الحركة الإرسالية منذ بدايتها ، من عوائق اللغة ، فقد كان على المرسل أن يتعلم لغة البلد التى سيبشر بها . فالتبشير باللغة الأجنبية ، لا يعطى فرصة للمبشر للوصول إلى الجماهير التى يريد تبشيرها . الخطوة الأولى ، إذن ، كانت تعلم المبشرين للغات التى يحتاجونها فى التبشير . ولعل هذا ما أدى إلى الربط أحياناً بين التبشير والاستشراق ، حيث إن اهتمام المبشر بتعلم اللغة ، كان يتبعه اهتمام بتعلم تاريخ البلد التى سيعمل بها لمعرفة حضارتها وعاداتها . وهكذا تداخل التبشير مع الاستشراق ، أى كانت هناك دائرة مشتركة ، تكمن فيمن زاول الاستشراق كمرحلة أولى للتبشير ، أما فيما عدا ذلك ، فقد كان للاستشراق تاريخه.

ولكن مجرد تعلم لغة الجمهور المستهدف ، لم يكن الحل النهائى ، بل الحل الأول، أو المرحلة الأولى من الحل . فالمشكلة تظهر بعد ذلك ، فى صعوبة توفير مادة مقروءة من هذا الجمهور . وكذلك تظهر المشكلة الأهم ، فى عدم قدرة من لا يعرفون

الانجليزية ، واللغات الأوروبية ، على قراءة الكتاب المقدس ، وهو الرسالة التى يقدمها المرسل البروتستانتى ، باعتبارها الهدف الأول ، والبشارة السارة ، التى ينقلها عبر أرجاء المسكونة .

إن هذا الاهتمام المرسلى البروتستانتى ، بتقديم الكتاب المقدس ، بوصفه المصدر الوحيد للمسيحية ، والمنبع الأول والأخير لها . دفع الحركة البرتستانتية التبشيرية إلى الاهتمام بترجمة الكتاب المقدس ، وبرغم صعوبة هذا العمل ، إلا أن المرسلين قاموا بدور وجهود بارزة فى هذا المجال ، وهكذا ترجم الكتاب المقدس إلى لغات عديدة ، ولم تتوقف حركة الترجمة ، بل استمرت ، وتستمر ، لتقدم الكتاب المقدس ، لا من خلال اللغات المنتشرة ، مثل العربية والصينية ، فقط ، بل لتقدم الكتاب من خلال اللغات الأقل انتشاراً ، وباللهجات المحلية . فمن الواضح أن الحركة التبشيرية ، تضع نصب أعينها ، توفير الكتاب المقدس ، بكل لغات ولهجات المسـكونة.

وأيناً كانت أبعاد هذا الإنجاز ، مسيحيًا ، فإنه فى أحد جوانبه كان إنجازاً حضاريًا مهمًا ، تظهر آثاره منذ أوائل القرن العشرين ، وتبدأ ملامحه فى التفجر مع نهاية القرن العشرين . ويبقى أن نحاول التنبؤ بالنتائج النهائية التى يمكن أن تشكل ملامح القرن الحادى والعشرين من تاريخ المسيحيين ، فترجمة الكتاب المقدس إلى لغات المسكونة أصبح فى النهاية ، الحدث الذى أتاح إخراج المسيحية من طوق وصومعة الحضارة الغربية .

ولكن هل كان إخراج المسيحية ، من طوق الحضارة الغربية هدفًا مقصوداً من المبشرين ، أم نتيجة غير مقصودة ؟ ، الواضح ، أنها كانت نتيجة غير مقصودة . فالدافع الحقيقى وراء الترجمة ، كان مشكلة الاتصال بين المرسل والمتلقى ، أى نفس المشكلة التى جعلت المرسل يتعلم اللغة المحلية للمتلقى . لهذا كانت ترجمة الكتاب المقدس ، وأيضًا الكتب الدينية التفسيرية والوعظية ، تهدف إلى اتاحة الفرصة أمام قدر أفضل من التواصل ، بين المتلقى فى الدول المختلفة ، والرسالة المسيحية المقدمة له . وهكذا ، خرج الكتاب المقدس ، من مجال اللغات المحدودة إلى العديد من اللغات

الأخرى . ففى البداية ، وحسب التقليد الكاثوليكى فى العصور الوسطى ، كان الكتاب المقدس يكتب باللغة اللاتينية فقط ، وبالتالي كانت قراءته مقصورة على صفوة - هى غالبًا - من رجال الدين الكاثوليك (الاكليروبس) . ومع حركة الإصلاح البروتستانتية ، بدأت حركة لترجمة الكتاب المقدس للغات الأوروبية ، وكان الهدف منها، توصيل الكتاب المقدس للجمهور ، كى تسهل عملية نشر الفكر البروتستانتى ، الذى اعتمد على إقصار الفكر المسيحى على مصدر وحيد ، وهو الكتاب المقدس . كذلك ، كان تقديم الكتاب المقدس للجمهور ، يعد جزءًا من جوهر الحركة البروتستانتية ، التى رأت أن قراءة الكتاب وتفسيره ، حق لكل المؤمنين ، لا فقط لرجال الدين ، وهو ما تواكب مع موقف البروتستانت الرافض للكهنوت .

وهكذا ، أصبحت ترجمة الكتاب المقدس من قبل الإرساليات ، تحقق هدفهم فى تقديم الرسالة ، باللغة التى يعرفها المتلقى . وفى نفس الوقت ، ظهر أثر جديد ، وهو تحرير الرسالة من تحيزها الغربى ، فوجود نص الكتاب بلغات كثيرة ، أتاح الفرصة أمام ظهور تفسيرات جديدة ، معبرة عن الحضارات المختلفة .

ويرى بدياكو[٣] ، إنه نتيجة لذلك « أصبح الوعظ المرسلى أقل في قوة تأثيره على الرسالة ، مما كان يظن ، بسبب إتاحة الكتاب باللغات المحلية» ، وحسب تعبيره : « أصبح الكتاب المقدس هو الذى يتكلم أكثر من المرسلين » .

من هنا ، كانت البداية لظهور ملمح جديد ، سيكون له شأنه فى التاريخ التالي . فعلى أقل تقدير ، أصبح الكتاب المقدس متاحًا ، لحضارات متنوعة منذ بداية القرن العشرين .

« وكأثر أكثر أهمية ، لتوافر الكتاب المقدس (باللغات المختلفة)، إنه أصبح من الممكن استخدامه كمحك مستقل موثق ، لاختبار ، وأحيانًا لرفض ، لما علمته الإرسالية أو فعلته »[٤] .

المرسلون الجدد ... والمشكلات القديمة :

منذ منتصف الستينيات من القرن العشرين ، بدأت جذور حركة تبشيرية جديدة. وعبر التارخ ، سنجد للإرساليات موجاتها ، ومراحها ، فهى ليست حالة ثابتة

مستمرة، بل تتغير قوتها عبر الزمن . والتغير لا يحدث فقط في القوة ، بل في مضمون الحركة نفسها . فحركة الإرساليات البروتستانتية ، والتي ازدهرت في منتصف القرن التاسع عشر ، نبعت من الكنائس البروتستانتية الجديدة ، والتي كانت في طريقها للانتشار ، وتثبت مكانتها ، أمام الكنيسة الرومانية الكاثوليكية . أما حركة الإرساليات في النصف الثاني من القرن العشرين ، فهي جزء من الحركة الأصولية المسيحية المعاصرة . والتي وإن خرجت من عباءة البروتستانتية ، إلا أنها خرجت أيضاً عن التيارين الأساسيين في البروتستانتية ، وهما اللوثرية (مارتن لوثر)، والمشيخية (جون كلفن) .

وما يهمنا هنا ، هو المقارنة بين موجة الإرساليات الأولى والثانية ، لا من حيث أسباب ظهور كل منها ، ولكن من حيث موقف كل موجة من البلاد التي تتوجه لها . فموجة الإرساليات الأولى ، أظهرت قدراً كبيراً من التحيز الحضاري للغرب ، ذلك التحيز الذي نتج من تصور المسيحية ، وكأنها حضارة الرجل الأبيض . فالتحيز - إذن - كان موجوداً ، كحقيقة أيدولوجية، يؤمن بها المرسلون أنفسهم ، ولم ينقذ الكنائس التي أنشأتها الإرساليات ، إلا توفير الكتاب المقدس بلغتها المحلية ، مما أتاح لها فرصة إعادة قراءة الكتاب ، وإعادة تفسيره ، في ضوء حضارتها .

أما الإرساليات الحديثة ، فإن أمامها تجربة الإرساليات السابقة عليها ، بكل ما فيها من أخطاء تجاوز حد الرسالة ، إلى حدود الحضارة ، وأمامها أيضاً المشكلات التي تركتها الإرساليات الأولى ، مما أساء للعمل المسيحي ، وربط بينه وبين الهيمنة الحضارية والسياسة للغرب . فهل كان لتجربة الماضي ، أثر على تجارب الحاضر ؟ لنا أن ندرك في البداية صعوبة الإجابة ، وكذلك صعوبة الوصول إلى تفسير عام عن ظاهرة مازالت تحدث ، ولم تظهر نتائجها النهائية بعد ، ولكن أهمية التساؤل تدفعنا إلى البحث عن إجابة أولية .

في عدد ١٥ يناير ١٩٨٨، من «مجلة المسيحية اليوم »، نجد ملفًا عن الموعد الأخير للإرسالية العظمى ، أي الموعد الأخير لتوصيل الرسالة المسيحية ، لكل المسكونة ، وهو عام ٢٠٠٠. وفي هذا الملف ، مناقشة للإمكانيات التي تتيح تحقيق

الهدف ، والعوائق التى تمنع ذلك . وفى مناقشة مثل تلك ، يجب التعرض للعوائق التى قد تواجه العمل المرسلى ، خاصة فى دول العالم الثالث ، أى الجنوب الفقير ، وعلى وجه الخصوص فى أطراف هذا الجنوب ، أمريكا اللاتينية ، وجنوب أفريقيا ، وجنوب شرق آسيا . ويتعرض الملف ، لأهم المشكلات التى تعترض العمل المرسلى فى هذه المناطق ، وهو ما يتيح لنا مقارنتها بالمشكلات التى واجهت الموجة الإرسالية السابقة .

وتحت عنوان لافت للنظر « هل تتكلم الإنجليزية ؟ » يكتب جيمس ريبسم[٥] عن أهم تلك المشكلات، ويلخصها فيما يلى :

١- الافتقار إلى المبادىء الأساسية للتواصل ، فإذا كانت وسائل الإرساليات الحديثة ، من راديو وتليفزيون ، ومطبوعات ، قد حققت نجاحًا ، إلا أن هذه الوسائل، لا تتيح لنا تقديم الكتاب المقدس ، بصورة يفهمها من لهم إطار حضارى مختلف تمامًا . فالتكنولوجيا ، هى مجرد وسيلة فرعية للتواصل .

٢- الافتقار للبيانات الأساسية ، فالمؤسسات الإرسالية ، تحاول الوصول إلى طريقة لكى تتغلب على مشكلة نقص المعلومات الأساسية ، التى تمكن من تحديد من مازال يحتاج أن نصل إليه (من لم تصلهم الرسالة) . فبدون بيانات جيدة وقوية ، سيظل حلم الوصول إلى العالم من أجل المسيح مجرد حلم .

٣- عقبات اللغة ، فلقد أوضح المترجمون أن ملايين الرجال والنساء ، أنكروا توافر معلومات عن يسوع المسيح لهم ، بسبب عدم حدوث اتصال معهم باللغة المناسبة التى يعرفونها .

٤- الافتقار إلى الأهداف الموحدة ، والتعاون المشترك ، بين الهيئات التبشيرية والكنائس المحلية ، لتحقيق هدف واحد معًا .

ومن جانب آخر يعرض نفس الكاتب أهم العقبات الاستراتيجية ، ومنها :

١- إرسال العديد من المرسلين فى منطقة واحدة ، وإهمال مناطق أخرى .

٢- الطرق ذات الأسلوب الغربى التى تطلب من الناس أن يتخذوا قرارًا (حول الإيمان بالمسيح) بدون أن يحدد المرسل الإنجيلى أولاً ، الأسس الكتابية الأولية .

٣- الإخفاق فى رؤية الفرق بين احتياجات الناس التى يشعرون بها ، واحتياجاتهم الروحية الأولية .

٤- عدم تحقيق تفوق فى عملية زرع - الكنائس[٦] .. .

هذه الفقرات السابقة ، تطرح رؤية متخصص فى بحوث الإرساليات ، حول العمل فى الجنوب الفقير ، والمشكلات التى تعوق هذا العمل ، وكيفية التغلب عليها. وإذا كانت هذه النقاط ، لا تطرح الموقف الحضارى للإرساليات مباشرة ، فإن المنظور الذى يحدد هذه المشكلات ، يمثل الموقف الحضارى الضمنى لها . فهل تغيرت عن تلك الإرساليات التى تسبقها تاريخياً ، فى موقفها الحضارى أم أن التاريخ يعيد نفسه ؟ ! .

من الواضح أن التاريخ يعيد نفسه ، أو قل إن الطبع يغلب التطبع . وقد يكون ذلك حكماً قاسياً، إن أدرك على هذا النحو . ولكن الرؤية السابقة، توضح لنا، أن الحركة الأصولية المعاصرة، تحدد هدفها المرسلى، فى توصيل رسالة مسيحية معينة، لا أى رسالة أخرى ، فهى تهدف إلى نشر الفكر الأصولى، الذى يستمد طابعه من أمريكا خاصة.

ففى البداية، علينا أن نبحث فى فكرة إرسال فريق للتبشير، فهذا الأمريبدو منطقياً ، عند ما تكون المنطقة المستهدفة ، بلا أى مسيحى ، أو أى كنيسة . فإن كان الهدف هو إحياء العمل المسيحى ، وفتح مجالات أمام انتشاره ، فلماذا لا يتم ذلك من خلال مساعدة الكنائس المحلية ؟ والأهم من ذلك ، لماذا لا يأتى الإحياء من داخل هذه الكنائس نفسها ؟ فالإحياء الدينى ، كظاهرة ، وحالة دينية إجتماعية، ليس مشروعاً يحتاج إلى طاقات وخبرات وأموال بقدر ما هو حالة وتوجه وسلوك ، من مجموعة أو جماعة . الإحياء يمكن أن يوجد - إذن - فى كل الظروف ، وبإمكانياتها المتاحة . فالأمر لا يحتاج إلى مساعدات خارجية ، فهل يحتاج إلى فريق من المرسلين ؟ .

إن حركة الإرساليات المعاصرة لا تعمل من فراغ تاريخى ، فقبلها كانت هناك العديد من الموجات التبشيرية ، وهذه الموجات تركت فى كل مكان كنيسة ، وتركت فى

كل مكان آثاراً ومشكلات سلبية ، نتيجة للتحيز الحضارى للمرسل ، ناهينا عن تورط البعض مع قوى الاستعمار . وهذه الخلفية تحتاج إلى من يساعد هذه الكنائس لتتجاوز أزمتها ومشكلتها ، إن كان ذلك يحتاج لمساعدة . وفى نفس الوقت ، فإن انتشار الكنائس في أرجاء المسكونة ، يجعل أى عمل مسيحى عالمى ، ممكنًا من خلال هذه الكنائس ، كل منها يمثل مواطنيه المسيحيين ، والكل أنداد .

ولكن الواقع الراهن يؤكد أن التبشير يأتى من الأقوى إلى الأضعف ، وأنه عمل لا يخلو من أخطاء التحيز الحضارى ، والاعتزاز القومى . فعندما يعارض الكاتب المشار له الأسلوب الغربى للتبشير ، يعارض فى الواقع أسلوب قبول المسيحية كاختيار حر ديمقراطى. حيث يرى أن ذلك لا يصلح مع من لا يعرفون الحقائق . وفى موضع تال نجده يؤكد على أهمية التفرقة بين الاحتياجات التى يحددها المجتمع، وتلك الاحتياجات الروحية الأساسية التي غالبًا سوف يحددها المرسل نفسه .

وإذا كان الماضى قد امتلأ بالجروح التي نتجت من زرع كنيسة جديدة فى مجتمع له طابعه ، حيث يظل لهذه الكنيسة طابع أو ذكرى الوافد ، فهل نعيد التجربة؟ إن الكنائس التى زرعتها الإرساليات ، احتاجت للكثير من الوقت ، واستفادة من توافر الكتاب المقدس بلغتها ، حتى يظهر لها طابعها ، أو على الأقل حتى تتخلص من أى طباع لا يلائم محيطها الاجتماعى ، والآن ألا يمكن أن تنبت الكنائس من الأرض ، دون أن تزرع ؟ .

برغم أن القضية أكثر تعقيداً من ذلك ، إلا أن ملامح أولية ، يمكن أن تضىء الطريق . فالحركة الإرسالية الأصولية مثل الحركات التى سبقتها ، تتجه نحو نشر «حق» تراه وتؤمن به ، فى كل أرجاء المسكونة . وهو «حق» من وجهة نظر البعض ، وربما ليس حقًا من وجهة نظر أخرى ، ولكنه بالنسبة للحركة الأصولية هو «الحق». هذه الرؤية تدفع الحركة فى طريق ، تقسم به الأفكار ، إلى صواب فى جانبها ، وخطأ فى أى جانب آخر ، وعدم وجود بدائل للحق ، أو عدم وجود أكثر من «حق» ، أو عدم وجود أكثر من رؤية ومنظور للحق ، حسب رأى الحركة الأصولية ، يجعل احتمال القبول أحاديًا ، واحتمال الرفض متعدداً .

هذه الرؤية تؤدى إلى وضع تصور للمسيحية ، والعمل على نشره ، دون اعتراف بوجود تصورات أخرى . والحقيقة أن الإرساليات الحديثة ، أصبحت على وعى واضح بالفروق الحضارية ، وأصبحت تتجاوز فى العديد من القضايا ، باعتبارها قضايا اختلاف حضارى . ولكن يبقى الفكر أو الرسالة محملة بأبعادها القيمية ، ويبقى احتمال تحيزها كبيراً .

قد تكون بداية المشكلة ، فى القول بأن الأصولية هى المسيحية ، أو أنها حقيقة المسيحية ، وأن هناك وجهًا واحداً للحقيقة . ومن هنا يبدأ العمل الدؤوب لتحقيق الأممية المسيحية ، أو أمة المسيح ، وهو ما يحدث ضمنًا أو صراحة . ولكن وجود فكر أممى مسيحى ، رهن بوجود فكر تخلقه كل الحضارات ، وهو المستحيل بعينه . أما أن تضع فكراً مسيحيًا ، وتتصور أنه أممى ، وهو نتاج حضارة واحدة ، وهى أمريكا، فهذا هو الطريق لإعادة أخطاء الماضى .

هذه الصورة توضح لنا ، أن حركة التبشير على خريطة العالم تؤكد ، أن القوة ما زالت تأتى من الشمال ، خاصة أمريكا . وأن الحركة المعاصرة ، مثلها مثل الفكر الأصولى المعاصر ، ينتمى إلى الحضارة الأمريكية . وهذا لا يعنى أن كنائس العالم الثالث ، ليس لها وجود ، فإن خط ظهورها مستمر منذ ترجمة الكتاب المقدس إلى لغتها ، وهو ما فتح الباب أمام استقلال مسيحيتها حضارياً عن الغرب وفتح الباب أيضاً أمام دراسة أثر التغريب على المسيحية حتى من الغرب نفسه . كذلك فإن مرسل اليوم غالبًا ما يتكلم عن إعادة إنتاج أفكاره فى لغة وحضارة البلد التى يعمل بها . ولكن كل هذه المراحل ، لم تثمر حتى الآن عن حركة تبشيرية مضادة ، أو حركة تبشيرية جديدة تمامًا ، فهل يحدث ذلك ؟ .

المسيحية بين الشمال والجنوب :

فى العصور الوسطى ، كان التجمع المسيحى ، الأكثر عدداً يتركز فى أوروبا . وبعد حركة الإصلاح البروتستانتى ، فى القرن السادس عشر ، بدأت موجة تبشيرية عظمى ، برزت فى القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، حيث خرجت الموجات التبشيرية ، من أوروبا أساسًا ، إلى أفريقيا وآسيا ، وأمريكا اللاتينية . ثم

بدأت الموجات الأمريكية ، فى الظهور ، والتى وصلت إلى مستوى يوازى الحركة الخارجة من أوروبا ، ويتفوق عليها تدريجياً .

ومنذ النصف الثانى من القرن العشرين ، أصبحت الحركة التبشيرية ، تأتى فى معظمها من أمريكا ثم تليها أوروبا ، وعبر موجات التبشير منذ القرن التاسع عشر ، وحتى الآن ، أصبحت كنائس آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، أكثر عدداً ، وأكثر قوة . لهذا ، ومنذ النصف الثانى من القرن العشرين ، نستطيع أن نبدأ رصد ، تغير مركز ثقل المسيحية على خريطة العالم . فعدد المسيحيين فى الشمال ، أصبح أقل من عدد المسيحيين فى الجنوب ، الأغلبية – إذن – توجد فى الجنوب ، فى العالم الثالث ، ولكن هذه الأغلبية ، تنتمى للأقلية الشمالية ، باعتبارها نتاج العمل المرسلى، لدول الشمال المرسلة للمبشرين .

ومع تغير النسبة العددية ، تظل هناك اختلافات وفروق أخرى . فمازال الشمال المسيحى هو الأكثر قدرة من حيث الإمكانات المادية والتكنولوجية ، كما أنه المبشر الأول أو المعلم الأول للجنوب المسيحى . هذه العناصر تجعل الشمال المسيحى أكثر تفوقًا على الجنوب المسيحى ، ولكن الجانب العددى ، يأتى فى صف الجنوب المسيحى عن الشمال .

ولكن ، «من أهم التطورات اللافتة بالنسبة للكنيسة فى أمريكا اللاتينية ، وآسيا وأفريقيا ، نمو الإحساس القوى بالهوية المسيحية ، متزامنا مع تزايد الوعى بالمسئولية الروحية ، وحتى المرسلية ، تجاه غرب ما بعد المسيحية(٧) ». هذه النقطة هى بداية تحول مهم حيث يظهر بين مسيحيى الجنوب ، شعور بأهمية قيامهم بدور مرسلى . وهذه المرة ، فإن الحركة تأتى من الجنوب إلى الشمال . وهو ما حدث بالفعل ، فهناك مرسلون من الجنوب يعملون فى الشمال ، خاصة أوروبا ، التى تبدو وكأنها تبتعد عن المسيحية ، عكس أمريكا التى يتزايد فيها عدد المسيحيين .

هناك – إذن – إرساليات من الجنوب إلى الشمال ، وهى فى بدايتها ، ولن تظهر آثارها إلا فى القرن الحادى والعشرين . ولكن من الآن نستطيع أن نتعرف على ملامحها ، فالحركة الأصولية فى الجنوب ، لم تطالب بالاستقلال عن الشمال ،

ولم تقم بدور المعارض له ، ولم تطلب الانفصال ، إنها – إذن – ليست حركة تبشيرية مضادة ، بقدر ما هى امتداد عكسى فى الاتجاه لنفس الحركة .

فحتى الآن ، تظهر الحركة الأصولية فى الجنوب ، باعتبارها امتداداً للحركة فى الشمال، ولا توجد مؤشرات ، على أنها حركة أخرى تماماً ، أو حركة مضادة . ولأن الحركة القادمة من الشمال ، أصبح لها امتداد قادم من الجنوب ، لذلك فإن قضية الفروق الحضارية ، والتغريب ، تظل قضية مهمة ، تحتاج إلى معالجة ، خاصة، وأن الأصولية المسيحية المعاصرة ، تنتمى بشكل واضح ، فى جذورها ، والكثير من ملامحها ، إلى الحضارة الغربية ، وتزداد أهمية هذه القضية ، لأن الآثار الغربية للموجة السابقة من الإرساليات مازالت تفعل فعلتها .

وكما يرى بدياكو[8] : فإنه « فى جوانب مهمة من الحياة المسيحية ، كما نجدها فى كنائس أمريكا اللاتينية ، وآسيا ، وأفريقيا ، هناك الكثير مما يحمل الطابع التغريبى، أكثر من تراث الرسل ، فالاسم الأول الأوروبى ، ما زال يستخدم كاسم مسيحى ، وتمثل زائير حالة خاصة ، عندما أدت سياسة الدولة نحو الحفاظ على هويتها إلى سن قانون يمنع أى استخدام لمثل هذه الأسماء المسيحية فى عام ١٩٧٢ ، وسمح فقط باستخدام الأسماء الأفريقية المحلية» .

ويتضح من ذلك ، الأثر التغريبى الباقى على بعض ملامح الحياة اليومية ، وهو ما يشير إلى عمق الأثر . وقد تكون الآثار فى جوانب هامشية ، أو تفقد فاعليتها ، وتظل كمجرد شكل مع الوقت . ولكن ذلك ، ولكى يحدث ، يحتاج إلى انفصال واع ومقصود عن أى تأثيرات أخرى جديدة . فتجاوز مثل هذه التأثيرات ، لا يتأتى إلا من خلال الانفصال المقصود ، أو التجاوز بتجديدات التراث والهوية الخاصة ، حتى يمكن إحياؤها ، لتزدهر ، وبذلك يتم تجاوز الوافد المقلد . والأمر بالطبع لا يتأتى من خلال قانون ، كما فى المثال السابق ، فهو حالة خاصة .

ويمكن أن نلمح بعض المؤشرات ، التى تتضمن تجاوزا لمثل هذه الأمور ، وهو ما يتضح فى وعى المرسلين الجدد ، بحدود الحضارات التى يتعاملون معها ، وإدراكهم لوجود أنماط سلوكية تختلف من حضارة لأخرى . كذلك فإن الصورة تتغير بسبب

الثقل العددى لمسيحيى الجنوب ، وهو ما جعل لهم الحق فى المطالبةباعتبارات خاصة بحضاراتهم ، مثل أهمية تعدد اللغات ، والاعتراف بوجود فروق حضارية بين المسيحيين ، وكذلك عدم فرض نموذج سلوكى حضارى ، على كل المسيحيين ، برغم اختلاف حضاراتهم . أى أن الشمال أصبح أكثر وعياً بحقوق الآخرين ، والجنوب أصبح أكثر قدرة على المطالبة بحقوقه . .

لكن كل هذه الأمور ، مازالت تدور فى فلك تقبل التعددية الشكلية للحضارات ، لا تقبل مضمونها المتعدد . فكل هذه الإجراءات ، تمثل نوعًا من خلق إطار عام ، يمكن أن يضم المختلفين ، ولكن حول فكر واحد . فكلها أمور تعطى لمسيحيى الجنوب القدر اللازم لاحترام الذات والشعور بالندية ، ولو النسبية . ولكن هل يؤدى ذلك إلى إنهاء سيادة مسيحية الشمال ، على الجنوب ؟ إن الشمال مازال يسيطر مسيحيًا ، بما له من قوة وقدرات مادية وتكنولوجية . والغريب أن الشمال استطاع – ومازال – تحقيق السيطرة الفكرية على اللاهوت المسيحى ، لأنه الشمال المتقدم ، والذى يملك التكنولوجيا ، وهو أمر مفهوم على المستوى السياسى . فالقوة العظمى ، هى القوة الأكبر، والأكبر من حيث قدراته الصناعية والتكنولوجية ، هو القادر على فرض نفوذه، وهذا عن الصراع السياسى، أو الصراع فى السياسة ، فماذا عن الدين؟.

من الواضح ، أن الأصولية المعاصرة ، ترتبط بالإنجاز الحضارى التكنولوجى ، للغرب خاصة أمريكا . فآليات الفكر الأصولى ، واستراتيجيات التبشير ، تعتمد اعتمادًا واضحًا ، على الإمكانات المادية ، والتكنولوجية الهائلة . لذلك ، فإن الشمال هو القادر على فرض سيطرته على الفكر ، لأنه القادر على نشر فكره ، وعلى تحقيق الهيمنة الإعلامية ، فى عصر تكنولوجيا الفضاء .

والفكر الأصولى الغربى ، يسيطر على الجنوب ، وعلى العديد من حركاته الإحيائية المعاصرة . وهذه السيادة ناتجة عن تفوق الغرب وتقدمه ، ولكنها ناتجة أيضًا عن ارتباط هذا الفكر بالعصر ، فليس كل فكر ، يحتاج إلى التكنولجيا بهذه الدرجة ، حتى ينتشر. أى أن الفكر متلائم مع التكنولوجيا ، وجزء منها ، وعدم قدرة الجنوب على إثبات هويته ، وإنجازه أمام الشمال ، ناتج من تبنى الجنوب لفكر

الشمال ، أى تبنيه لفكر لا يملك هو أداة نشره ، أو الإمكانات اللازمة لذلك .

فإذا كانت المشكلة الأولى التى تواجهنا ، هى مشكلة انتشار مظاهر التغريب فى سلوك ، وقيم ، وعادات أبناء الجنوب ، فإن المشكلة الثانية ، وهى الأهم ، هى مشكلة انتشار مظاهر التغريب فى الفكر الأصولى المسيحى المعاصر . وخطورة هذه المشكلة، أن يكون التصور السائد عن المسيحية ، ليس محايداً ، بل متحيز حضاريا . والأخطر من ذلك ، أن يؤدى تبنى الفرد للمسيحية الأصولية ، إلى تبنيه ضمنًا لعادات ومفردات غربية . ففى المسيحية ، كما فى غيرها ، توجد تيارات مثل الأصولية ، والليبرالية اليسارية ، كما توجد مذاهب ، وعلى مستوى الفكر ، يجوز الإبداع الذي يتجاوز الراهن ، إلى الجديد. وبهذا المعنى الفكرى النقدى والإبداعى ، يمكن أن نجد اصولية مسيحية فى الشمال ، كما فى الجنوب ، ولكن نجد أيضًا أن أصولية الشمال شمالية ، والجنوب جنوبية . ولكن ما يحدث غير ذلك ، فالفكر الذى يسود ، هو الفكر الذى ينتصر فى موطنه ، ويتسلح بقدرات حضارته ، ثم يحاول أن يفرض سيادته على الحضارات الأخرى . وهكذا نجد أن الفكر نفسه ، أصبح محملاً بعناصر غربية، وكأنها جزء من الدين نفسه .

ويقول بدياكو(٩) : « إن أشكال العبادات التى تمارس فى العديد من كنائس الجنوب، مازالت تفصح عن تلك النماذج التى ظهرت فى الشمال، ونقلت على أنها جزء أساسى من جوهر التقليد المسيحى» . ويضيف على ذلك، «ربما لامفر من بقاء بعض الدلائل على تأثير الغرب على هذه الكنائس (كنائس الجنوب)، وهو ما سيصبح جزءاً من الإحساس بالهوية المسيحية الجديدة التى تتأسس الآن».

إذا كان مسيحيو الشمال ، يرسلون المبشرين إلى الجنوب، فإن ما يقدمه هؤلاء يختلط حتماً بحضارة الشمال، وليس من المنطقى أن نطلب من المبشر الشمالى، القدوم إلى الجنوب لتقديم الرسالة دون تحيز حضارى، وليس من المنطقى أيضاً أن نستسلم لمثل هذه التأثيرات، وكأنها واقع لامفر منه . كما يرى بدياكو، فسيادة فكر مسيحى متحيز حضارياً، ليس مسئولية من نشره، بل مسئولية من قبله وتلقاه. فربما نتجاور الحقيقة فى أحيان كثيرة، عندما نتكلم عن التحيز الحضارى كمشكلة نبحث

لها عن الحل، فالتحيز الحضارى، ليس عرضاً ، أو أثراً جانبياً، بل هو جزء أساسى من الظاهرة نفسها.

إن أى نوع من التبشير، هو تقديم لفكر من فرد إلى آخر، وهو على المستوى الدينى البحت، إبلاغ فرد عن رسالة الدين، ولكن على المستوى الاجتماعى السياسى، يصبح سيطرة فكر فرد على آخر. فسيادة الفكر الأصولى الأمريكى، فى عصرنا، لاتصنع تغريباً غير مقصود كأثر جانبى، بل هى فى حد ذاتها، تصنع سيادة فكرية من مجتمع على آخر، أو قل على العالم، حسب الهدف النهائى لهذا الفكر .

مرسلون من الجنوب:

مع تزايد عدد المسيحيين فى أمريكا اللاتينية وجنوب أفريقيا، ومع انتشار الأصولية المسيحية فى هذه المناطق، بدأ ظهور إرساليات تأتى من الجنوب، لتعمل فى الجنوب أيضاً، أو فى شمال المسكونة. وفى أمريكا اللاتينية، على سبيل المثال، يتزايد عدد البروتستانت المحافظين (الأصوليين) فى هذه القارة الكاثوليكية، فبعد أن كان عددهم ٥٠٠٠ فى عام ١٩٠٠، أصبح عددهم الآن ٤٠ مليوناً، بما يوازى عشر السكان.

ويظهر اهتمام الأصوليين الجنوبيين بالتبشير، كذلك يظهر اهتمام الشماليين بهذا العمل، أى أن الأصوليين فى أوربا وأمريكا، يهتمون بهذه الظاهرة، ويشجعونها وهو ما يفهم ظاهرياً، بأنه تعبير عن عدم التحيز الحضارى، كذلك قد يفهم على أنه دليل على عدم وجود رغبة فى السيطرة الفكرية من قبل الغربيين، ولكن الاقتراب أكثر من هذه الظاهرة وموقف الغربيين منها، سوف يلقى الضوء أكثر على مضمونها الحقيقى.

«إن بعض القادة يرون أن فى إمكان كنيسة أمريكا اللاتينية، أن تصل إلى مكان الصدارة فى تبشير العالم، إذا أعطيت ما تحتاجه من أدوات وتدريب» هذا ما يذكره جون ماوست(١٠) فى مقاله ، ويضيف رأى لويس بوش، الذى يقول : «يتزايد اقتناعى أن دور الكنيسة فى الغرب، هو أن تساعد خدام الله الموهوبين والمدعوين للخدمة، فى العالم النامى، لكى يصلوا إلى من لم تصلهم الرسالة فى العالم».

إن الصورة تتغير إذن، فمن كان يتلقى الرسالة من قبل، أصبح يريد أن يصبح مبشراً بها، ولقد تغيرت الصورة نتيجة إحداثيات تطور الواقع نفسه ، أى مع تزايد عدد الأصوليين فى الجنوب ، وكذلك مع تزايد حركات الأحياء والصحوة بينهم ، حتى إنهم بلغوا درجات من الحماس الدينى ، والنزعة الروحية النهضوية ، تماثل أو تزيد عما يوجد فى الغرب . أما المرسلون الغربيون أنفسهم ، فلم يفكروا فى هذا التطور ، ولم يخططوا له ، فالمرسلون الأوائل لم ينشغلوا بإنشاء إرساليات من البيئات المحلية، لتخرج لبيئات أخرى .

ومع التغير الجديد ، لاحظ جون ماوست (١١) «أن بعض أهم المشجعين لجهود الإرساليات فى أمريكا اللاتينية هم أبناء للمرسلين الأمريكيين». فالإرساليات القادمة من الجنوب، ليست حركة جديدة، ولا حركة أصلية، بل هى امتداد للحركة الغربية السابقة عليها. لدرجة أن أبناء أمريكا اللاتينية أنفسهم(١٢) «تعودوا أن يروا المرسل القادم من أمريكا أو أوروبا، وأصبح المرسل بالنسبة لهم يمثل تلقائياً، صورة القادم من حضارة أعلى مستوى وأكثر إمكانيات» . وهو ما يعنى، أن المرسلين الجدد، القادمين من الجنوب، مشبعون أساساً، بالتصور الغربى، أو أصولية الشمال الغنى.

هكذا تتضح معالم الصورة، فالنجاح الذى حققته الإرساليات الغربية ، فى أمريكا اللاتينية ، وجنوب أفريقيا ، وجنوب شرق آسيا على وجه الخصوص ، أصبح يؤتى ثماره بل ويؤتى ثماراً غير متوقعة . فبعد زرع كنائس جديدة ، وتزايد عدد الأتباع ، أصبح هؤلاء الأتباع قوة جديدة ، تضاف إلى قوة الحركة الأصولية الغربية. وبهذا يمكن أن يضيف الجنوب، كحقل وميدان للتبشير ، عنصراً مهماً للحركة الأصولية الغربية العالمية، وهذا العنصر ، هو بالقطع، الطاقة البشرية . ففتح ميدان التبشير فى جزء كبير من العالم الثالث، أتاح للعمل المرسلى أعداداً ضخمة، أدت إلى تزايد عدد المسيحيين نسبة لسكان العالم. وهو أمر مهم بالنسبة للتيار الأصولى، لأنه دليل على قوة المسيحية في مواجهة التيارات الأخرى، كما أنه مؤشر يشجعهم على الاقتراب أكثر من الحلم الأكبر «إن يكون العالم كله للمسيح».

ومن هذا المجال، الذى أتاح أعداداً ضخمة، تبدأ مرحلة ثانية، حيث يخرج من

هذه الأعداد، جيش من المرسلين، يمثل مشاة الحركة، التي تعتمد على عددها، وطاقتها البشرية. وهو ما يتيح للحركة الأصولية، أن تنشر فكرها ليس في كل القارات، بل في كل الدول. وهؤلاء المرسلون الجدد، القادمون من الجنوب هم المشاة، لأنهم ليسوا المخططين أو المبدعين للفكرة. لهذا رأت الحركة الأصولية، كما أشرنا، أن على الغرب أن يقدم لهم المساعدة والتدريب والأدوات. فالمرسلون الجنوبيون هم امتداد للحركة الأصولية الغربية، وطاقة جديدة تضاف لها. وفي نفس الوقت، فإن هؤلاء الجنوبيين، يمثلون قدرة أكبر، تساعد على نشر الأصولية المسيحية بين أبناء وطنهم، وفي دول العالم الثالث الأخرى. فالاشتراك في المصير الواحد، والمشكلات الواحدة، التي أولها الفقر، يتيح التقارب بين المرسلين الجنوبيين ومواطنيهم، أو مواطني العالم الثالث، وهو ما يساعد على نشر الرسالة، دون عائق الاختلاف الحضاري، أو دون المشكلات التي تثار حول عمل الغربيين.

الجنوب : التبعية والاستقلال :

إن الحركة الأصولية الناشئة في الجنوب ، تجد تعضيداً لها ، من الشمال ولكن هذا التعضيد لا يعني أن مسيحيي الدول المتقدمة يطلقون العنان لمسيحيي الدولة المتخلفة. فالمحك الحقيقي يكمن في الفكر ، والحركة الأصولية المعاصرةلاتتعامل مع الظواهر بمنطق الإرساليات الأولى . ففي إرساليات القرن التاسع عشر كان المرسل هو القائد والمسيطر ولكن الصورة تغيرت مع حلول القرن العشرين ، وبدأ المواطنون المحليون يأخذون دورهم .

الآن أصبحت الصورة أكثر تعقيداً ، فالمساحة المتاحة لمواطني الجنوب الفقير ، قد تكفي للشعور بالرضا والندية. مما يساعد على إزالة أي أثر للشعور بالتبعية وبهذا يصبح التعاون بين الشمال والجنوب متاحاً ، وهو يسهل – بالفعل – وجود تنسيق وتعاون دولي بين مختلف منظمات الأصولية في الشمال الغني والجنوب الفقير. وهذا ما أتاح لأبناء أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا القيام بدور قيادي في العديد من المواقف والمؤسسات داخل إطار الحركة الأصولية .

ورغم هذه الملامح الجديدة إلا أن القضية الأصلية لاتزال قائمة . فالأصولية

المعاصرة أوروبية الجذور أمريكية المصدر ، بل إن الكثير من أفكار وملامح وممارسات الأصولية المعاصرة ، اختلط إلى حد كبير بالأسلوب الأمريكى فى الحياة[١٣] . فالحركة ، وحسب منبعها ، متحيزة حضارياً بشكل واضح . أما الإجراءات التى تتخذ حيال ذلك التحيز ، فهى لا تتعدى المظهر دون الجوهر . فالجوهر ، الذى تتضمنه رسالة الأصولية المعاصرة ، هو مسيحى غربى رأسمالى .

وكما فى السياسة ، كذلك فى الدين ، فالحركة الأصولية فى أنحاء العالم ، تعانى من التبعية للغرب ، ولكن فى السياسة ، يسهل مواجهة مثل هذه القضايا ، أما فى الدين ، فإن فكرة الحق المسيحى ، والجوهر الكتابى ، والأممية الدينية وغيرها ، تؤدى فى النهاية إلى تصور الفكر الأصولى المعاصر ، وكأنه الحق المطلق ، المرتبط بالكتاب المقدس ، دون أن يرتبط بأى حضارة كانت .

وهكذا فإن الحركة الأصولية المعاصرة ، والتى يقودها أصوليو أمريكا على وجه الخصوص ، قد استطاعت خلق حركات أصولية تابعة لها ، عبر أرجاء المسكونة . وهو الأمر الذى يعطى للحركة ، بعداً دولياً ، وعالمياً ، يجعلها قادرة ، دون شك ، على التأثير فى السياسة الدولية ، لتطرح نفسها كقوة دولية جديدة .

والوجه الآخر من العملة ، يؤكد ما وصلنا له من تصور عن وجهها الأول . فإن أى دعوة لنبذ التحيز الحضارى ، وقبول التعددية الحضارية ، من الغرب المسيحى ، وخاصة من الأصولية الغربية ، يجب أن تواجه بالتساؤل عن موقف هذا الغرب من التيارات المسيحية ، التى قامت ونبعت فى الجنوب ، وفى أحضان العالم الثالث ، وفى ربوع مشكلة الفقر .

ففى أمريكا اللاتينية ، ظهر لاهوت التحرر ، وفى جنوب أفريقيا ظهر اللاهوت الأفريقى . وهذه الأطروحات اللاهوتية ، جاءت تعبيراً عن الإطار الحضارى السائد فى العالم الثالث ، أى أنها حركات أصيلة ، نابعة من تاريخ وتراث هذه الدول . وهى فى أصالتها ، تماثل أصالة الحركة الأصولية النابعة من البيئة الأمريكية ، فكل حركة فى النهاية ، هى تعبير عن بيئتها ، وعندما تعبر عن بيئتها ، تقدم مستقبلاً جديداً لأوطانها .

وأمام هذه الحركات الجنوبية المستقلة ، نلاحظ موقف الغرب منها . فالحركة الأصولية الغربية ، ترفض هذه الحركات باعتبارها خروجاً عن المسيحية ، وتتهمها بالشيوعية والإلحاد . أما التيارات المسيحية الليبرالية فى الغرب . فإنها تقيم حواراً مع الحركات الجنوبية المستقلة ، وتتحفظ عليها ، فى نفس الوقت ، وتحاول تجاوزها بفكر آخر يواجهها ويمنع انتشارها ، فى أوروبا وأمريكا .

إن الموقف الغربى المسيحى ، يشير إلى رفض هذه الحركات تماماً ، أو التحفظ تجاهها والخوف من ظهور تبشير مضاد من الجنوب إلى الشمال ، يحمل فكر الجنوب . ويلاحظ أن هذه الحركات ، تمثل اليسار المسيحى المعاصر . فالتيار اليسارى المسيحى المعاصر ، ينبع من الجنوب ، من أمريكا اللاتينية ، وجنوب أفريقيا خاصة . أما التيار الأصولى المعاصر (اليمينى) فينبع من الشمال ، ومن الولايات المتحدة الأمريكية خاصة .

وهذه الصورة ، توضح الفرق بين الحركات التابعة ، وتلك المستقلة . وهو ما يظهر من دور حركات اليسار المسيحى (لاهوت التحرر) التى استطاعت خلق أرضية لها فى الغرب (فى أوربا أكثر من أمريكا) ، دون أن تحاول خلق أو زرع كنائس تابعة لها ، بل بتقديم لاهوتها كبديل ، وتحد جديد أمام الفكر المسيحى السائد .

من الراديو إلى التليفزيون :

برغم أن كل أساليب التبشير والدعوة فى عصرنا ، تستخدم التكنولوجيا ، ووسائل الاتصال المختلفة ، إلا أن النموذج الأمريكى مازال متميزاً عن غيره . وربما تظهر الملامح الأولى للتميز ، من خلال الكم الهائل ، لأفلام رعاة البقر ، التى أنتجتها هوليود . ففى معظم هذه الأفلام ، نجد شخصية المبشر ، كعنصر أساسى للصورة ، مثلها مثل شخصية المأمور ، والشرير ، والرجل الطيب . كذلك ، وعبر هذه السلسلة من الأفلام ، نلاحظ كثرة ظهور الكنيسة ، كمبنى صغير ملازم لبيوت القرية الصغيرة ، فى ذلك الزمان . ودلالة ذلك ، تكمن فى نشأة أمريكا ، فقد جاءها المهاجرون ، بكل أنواعهم ، ومن هؤلاء ، مجموعة كبيرة من المسيحيين الأصوليين ، الذين عملوا كرجال دين . فمنذ تلك اللحظة بدأت الأصولية الأمريكية تاريخها ، مع

تاريخ أمريكا ، كفرع للأصولية الإنجليزية ، ولكنه الفرع الذى سرعان ما أصبح جذور الشجرة الأصولية المسيحية فى النصف الثانى من القرن العشرين .

ومع ملامح تلك البداية ، تشكلت نوعية خاصة من التبشير فى أمريكا . فظهر الواعظ المتجول ، والوعظ فى الطريق . وساعد على ذلك ، امتداد رقعة أمريكا ، وتزايد السكان بها ، وتوزيعهم على مناطق متعددة ، بجانب صعوبة التنقل بين تلك المناطق . وهذا المناخ ، خلق عنصرين مهمين ، هما الامتداد ، والكثرة . لذلك ، ومع ظهور الراديو ، بدأ التبشير المسيحى فى أمريكا ، يأخذ طريقه سريعًا ، لكى يتجاوز صعوبات الامتداد والكثرة ، فظهرت البرامج الدينية فى الراديو ، وبدأت تأخذ ملامح خاصة ، حيث صار لكل برنامج واعظ مشهور ، ولكل برنامج جمهوره . وعبر الراديو، كان الانتشار السريع ، وتجاوز صعوبات المكان ، والقدرة على الدخول إلى كل منزل.

هذه العناصر ، شجعت المبشرين الأمريكيين ، على تحقيق أكبر نجاح من خلال وسائل الاتصال الحديثة . وعندما ظهر التليفزيون ، كانت الفرصة المواتية لظهور التبشير التليفزيونى ، فتعددت البرامج الدينية ، ولكل منها واعظ أو أكثر ، وظهرت الأسماء تلمع بالشعبية ، والجاه والمال . فعبر التليفزيون ، أصبح عدد مشاهدى الواعظ يتزايد ، حتى الملايين . وما تحقق من انتشار ، وقدرة على خلق الجماهير ، وتجاوز لحدود المكان ، كان أكبر من أن تجاريه أى كنيسة ، وهو ما جعل للظاهرة رونقها ، فالبرامج الدينية التليفزيونية ، أصبحت وكأنها كنائس أو شيع ، أو وحدات مستقلة . كل وحدة تتمثل فى واعظ مشهور وجماهيره ، والاتصال بينهما عبر التليفزيون. لهذا فإن توجه الفكر الدينى الأمريكى ، لا ينبع من الكنائس فقط ، بل ينبع أيضًا من كنائس التليفزيون ، إذا صح التعبير .

وقد تكون الظاهرة فى النهاية ، بلا دلالة خاصة ، ولكن الواقع يؤكد عكس ذلك. فظاهرة التبشير التليفزيونى ، والتبشير بالرديو ، كان لها أبلغ الأثر على الظاهرة الدينية فى أمريكا ، ولعلنا نتمكن من رصد أهم تلك الآثار :

١- منذ البداية ، ظهر الفكر الدينى الذى يتركز حول الواعظ ، كعنصر محورى لتكون الفكر والعقيدة .

٢- تأثر الظاهرة عامة ، بشخصيات الوعاظ ، فالواعظ ذو الشخصية الكاريزمية ، أصبح قادراً على خلق شيعة خاصة به ، أى مذهب أو طائفة ، تعرف بأنها كل من يواظب على الاستماع له ، وذلك بسبب ما فى وسائل الاتصال من إبهار تجعل من شخصية الواعظ ، نموذجاً أسطورياً لرجل الخير المؤمن .

٣- ظهر التنافس بين الواعظين ، والمحطات الدينية بصورة حادة ، جعلت محك النجاح هو عدد المشاهدين أو المستمعين ، لا المضمون العقيدى للوعظ .

٤- أدى التنافس على جذب الجمهور ، إلى خلق ما يمكن أن نسميه بأساليب الجذب الوعظى ، فنجد الواعظ يغير فى مواضيعه أو أسلوبه ، حتى يحقق عدداً أكبر من المشاهدين أو المستمعين .

٥- يرتبط عدد المشاهدين والمستمعين ، مباشرة ، بإيراد المحطة الدينية ، وما يصل لها من تبرعات ، وبالتالى فإن جذب الجمهور ، هو طريق الشهرة والمال معاً .

٦- أدى ذلك ، فى النهاية ، ونظراً لتكلفة وسائل الاتصال الحديثة ، إلى تحول العمل الوعظى ، إلى أساليب جمع التبرعات ، مما أضاف للصورة ملمحاً جديداً للبعد عن المضمون ، والتركيز على مهارة الأساليب ، سواء فى جمع الجمهور ، أو إخراج المال من جيوبهم .

وهذه العناصر معاً ، تتكامل مع العناصر الأخرى التى تميز الظاهرة الدينية فى أمريكا ، ومنها تزايد المذاهب والشيع بلا مبرر ، وظهور المؤسسات الدينية العملاقة ، وتلك العابرة للقومية ، واهتمام المبشرين بأعداد المتلقين للرسالة ، وأعداد المؤمنين الجدد ، وكان العدد هو كل القضية ، وهكذا أصبح التبشير ، عملاً تكنولوجياً ، يحتاج إلى مبالغ ضخمة من المال .

الموعد الأخير ٢٠٠٠ :

يمر العمل المسيحى المرسلى بفترات صعود وهبوط ، عبر تاريخه ، وفى فترات الصعود ، يتزايد الدافع ، والحماس ، لتحقيق الانتصارات ، فى الحقل التبشيرى . وتحديد تاريخ نهائى لتبشير العالم ، ليس أمراً جديداً ، ففى بداية القرن العشرين ، ومع انعقاد مؤتمر أدنبرة فى عام ١٩١٠ ، رفع شعار « العالم كله للمسيح» فى هذا

الجيل» ، ويظل اسم جون موط مرتبطاً بهذا الشعار . ولكن هذا الهدف لم يتحقق ، وتدور الدائرة مرة أخرى ، ليظهر شعار : « الموعد الأخير ٢٠٠٠ » ، ويصبح هدف المبشرين، الوصول إلى العالم أجمع مع حلول عام ٢٠٠٠ .

ولهذا العام (٢٠٠٠) دلالة خاصة ، بالنسبة للروح الألفية ، وللمؤمنين بنظرية الملك الألفى ، فمع عام ٢٠٠٠ ، حسب اعتقادات هذه النظرية ، تنتهى الحقبة الثالثة من التاريخ . فالحقبة الأولى ، تبدأ من ٤٠٠٠ قبل الميلاد إلى ٢٠٠٠ قبل الميلاد، أى من آدم إلى موسى ، والحقبة الثانية من موسى حتى يسوع المسيح ، أما الحقبة الثالثة ، فهى حقبة المسيحية ، وقيام الكنيسة ، منذ يسوع المسيح ، وحتى عام ٢٠٠٠ . وبعد ذلك ، يتزايد الرجاء ، فى عودة المسيح إلى الأرض ، لكى يقيم مملكة الله على الأرض ، ويحكمها لمدة ١٠٠٠ عام كاملة .

وحول هذا الهدف النهائى ، يحاول الأصوليون التبشيريون (غير الألفيين خاصة) تجميع طاقاتهم ، للوصول بالرسالة إلى العالم كله . وتختلف الآراء ، حول معنى الوصول إلى غير المؤمنين . فالبعض يرى أن ذلك يعنى تحولهم للإيمان ، والبعض يكتفى بأن تصل الرسالة إليهم ، بغض النظر عن استجابتهم . والاختلاف حول المعانى ، يشير بوضوح إلى أن هذا الهدف ، قد يكون غير واقعى ، وأن الأصوليين أنفسهم ، يدركون صعوبة تنفيذ هذا الهدف .

ولكن الهدف ، والطريق إليه يكتسب دلالة فى حد ذاته . وأياً كانت النتيجة النهائية ، فمن أجل هذا الهدف ، توضع العديد من الخطط التى من شأنها تحقيقه . وتحاول المؤسسات التبشيرية ، إزالة كل العقبات ، أمام تحقيق هذا الهدف . أما نقطة البداية ، فهى تجمع المبشرين الأصوليين أنفسهم . لذلك ، وعبر العديد من المنظمات ، تبذل جهود واضحة لتكوين إطار عام يضم المؤسسات التبشيرية ، وينظم العمل بينها دولياً .

ويلاحظ أن المؤسسات التبشيرية الأصولية ، فى أمريكا وحول العالم ، ليست مؤسسات كنسية ، بالمعنى الضيق ، أى أنها لا تتبع كنائس ، أو حتى طوائف محددة، بقدر ما هى مؤسسات موازية للكنيسة . فهى هيئات تنشأ بجهود فردية ،

وتقوم بجمع التبرعات ، وتوسيع نطاق نشاطها . ولهذا ، فإن كل هيئة لها أهدافها وخططها ، وأحيانًا كثيرة تتميز كل هيئة بفكرها الدينى . والطبيعة اللاكنسية للمؤسسات الأصولية ، تمكن تلك المؤسسات من العمل ، بدون حدود عقائدية أو مؤسساتية ، لتشكل فى النهاية حركة عابرة للطوائف . فالصورة النهائية للحركة الأصولية ، تؤكد أنها ليست كنيسة أو طائفة ، كما أنها لا تتبع كنيسة ما ، أو طائفة ما ، إلا فى كونها تنتمى إلى عباءة البروتستانتية عامة ، أى أنها ليست كاثوليكية كهنوتية ، بل روحية نسكية .

ولأن الحركة تتكون من عدد كبير جداً من الهيئات ، ولأنها خارج حدود الكنيسة، وفى معزل عن سلطة المجامع الكنسية ، لذلك تحاول الحركة ، تكوين إطار عالمى لها ، ولكنها – غالبًا – ما تفشل فى تحقيق ذلك تمامًا ، وتنجح فيه جزئيًا . فالهيئات الأصولية ، لها شبكة من العلاقات المتداخلة ، فترتبط فيما بينها ، عن طريق الأشخاص ، وتبنى هيئة لأخرى ، وإنشاء هيئة لأخرى ، أو انفصال هيئة عن الهيئة الأم ، وهكذا . وهذا الترابط يسهل عملية الاتصال بين مختلف الهيئات . ويأتى بعد ذلك ، دور المؤتمرات الدولية ، وفيها تتجمع هذه الهيئات معًا لكى تضع استراتيجية موحدة ، وهدفا واحدا ، مما يوفر لهذه الهيئات إطارًا عامًا يشملها . وهكذا تتحقق الوحدة ، بسبب قيادة معظم الهيئات من مجموعة مترابطة من رموز الأصولية . وتتحقق أيضًا من خلال الهدف الواحد ، ويبقى لكل هيئة تخصصها ومجال عملها . كذلك يظل التنافس بين الهيئات ، أمرًا واردًا ، بسبب التنافس فى جمع التبرعات ، والتنافس فى مجال العمل ، ومكانه ، وغيرها .

ولكى يتحقق لمؤسسات الحركة الأصولية ، ما تصبو إليه، كان عليها أن تدرك المشكلات التى تواجهها . لذلك ، أصبح التعاون بين هذه المؤسسات ، شرطًا أساسيًا لتحقيق الهدف النهائى . كذلك ، أدركت الحركة ، الدور المهم الذى تلعبه الكنائس المحلية . فلكى يتحقق تبشير العالم فى عام ٢٠٠٠ ، أصبح من الواضح أن على مؤسسات الحركة الأصولية ، «تثوير» النزعة التبشيرية داخل الكنائس ، حتى تصبح عاملاً يساعد الحركة ، ولا يعوقها .

لذلك ، سنجد أن الأصوليين يتجهون أكثر فأكثر ، إلى العمل من خلال الكنائس، وإلى اختراق الكنائس من الداخل ، وتغيير فكرها ، حتى تصبح الكنائس دعامة قوية لتحقيق أهدافهم ، دون أن تكون عائقًا يحول بينهم وبين تحقيق الهدف الأكبر ، أو «الإرسالية العظمى» حسب تعبيرهم . وهذا الموقف ، هو ما جعل المبشرين الأصوليين، يتجنبون الهجوم على الكنيسة، ويفضلون اختراقها ، وكسب ود قياداتها .

وهذا الموقف ، يعطى للحركة التبشيرية ، بعداً واقعيًا ، أو سياسية عملية ، وهو ما يختلف عن الصورة الدينية المثالية ، حيث يعلن المبشر عقيدته دون مواربة ، ويدخل فى صراعات مع المختلفين عنه . فالحركة التبشيرية المعاصرة ، تتعامل مع الواقع بأسلوب سياسى ذكى ، وتحاول تجاوز أخطاء الماضى وعبور العوائق ، دون تحطيمها . وهو ما يضيف للحركة ، ملامح كثيرة ، من ملامح العصر ، فهى فى النهاية تقف ضد العلمانية تماماً ، ولكنها ضد العصر ، أى أن العلمانية ، هى الصورة اللادينية من العصر ، أما الأصولية الأمريكية فهى الصورة الدينية من العصر نفسه، لذلك تستخدم الحركة، نفس أساليب العصر.

والمتابع لعمل المؤسسات التبشيرية ، يذهل من ذلك الاهتمام غير العادى، بالإحصاءات حيث تقوم هذه الهيئات، بإجراء إحصاءات على مستوى العالم، وتمول أبحاثا إحصائية، وأكثر من ذلك تنشىء مراكز متخصصة للأبحاث الخاصة بالتبشير. وفى كل هذه الإحصاءات تدور الأرقام حول عدد السكان، وعدد المسيحيين، وعدد اللادينيين، أو المنتمين للأديان الأخرى. ولكن ما يثير الإهتمام بحق، أن هذه الإحصاءات تصنف المسيحيين أيضاً، ليس فقط بناء على الإنتماء الطائفى ، ولكن بناء على الموقف الدينى أيضاً .

وعبر صفحات «موسوعة العالم المسيحية»(١٤) ، وموسوعة «عملية العالم»(١٥) ، نجد تصنيف سكان العالم حسب الدين، وتصنيف المسيحيين حسب الطائفة، وتصنيف المسيحيين داخل كل طائفة، حسب موقفهم من الإيمان، وذلك بتقسيمهم إلى إسميين ومنتمين، فالمسيحى بالإسم، هو من يكتسب هذه الصفة، لأسباب أسرية أو

اجتماعية، دون أن يظهر اهتماماً وانتماءً عقائديا للمسيحية.

كذلك يتم إحصاء عدد المسيحيين الأصوليين (الإنجيليين) حيث تعرفهم الموسوعة، بأنهم الإنجيليون ، وهم المنتمون للحركة الإنجيلية الأمريكية المعاصرة. ونلاحظ هنا، أن الموسوعة تعرف فئة داخل الإنجيليين، وهى فئة الأصوليين، وهم الأشد تطرفا داخل الحركة الإنجيلية. وإن كانت النظرة العلمية الخارجية، تجعل كل المنتمين للحركة الإنجيلية فى فئة الأصوليين، مع وجود تيارات ودرجات متنوعة داخل الحركة.

المهم هنا، أن التصنيف بدأ يأخذ بعداً جديداً، فمن موسوعة «عملية العالم»، نفهم أن الهدف النهائى ، والإحصاء الأهم، هو عدد الأصوليين، لا المسيحيين، وأن «العالم سيكون كله للمسيح» ، عندما يكون عدد الأصوليين مساوياً لعدد سكان العالم. فمحكات الإيمان تتزايد، لتخلق للإيمان، والانتماء للمسيحية، معياراً شديد التحدد، يضيق بالكثيرين، فلا يجعل منهم إلا مجرد رقم لأصولى محتمل فى المستقبل.

تنافس أصولى :

من القضايا المهمة، التى يهتم بها التيار الأصولى فى أمريكا، تزايد عدد المسلمين داخل الولايات المتحدة نفسها، سواء المهاجرين من دول أخرى أو الأمريكان خاصة الزنوج. فهذه الظاهرة، تمثل تحدياً للأصولية الأمريكية، داخل أهم مناطقها. وأمام هذا التحدى، يهتم التيار الأصولى، بمعرفة النشاط الإسلامى، كذلك الأنشطة الدينية الأخرى، للبوذيين مثلاً، ليعرف على وجه التحديد، أساليب هذا النشاط ومفردات خطابه ، وأسباب نجاحه. ونظراً لطبيعة المجتمع الأمريكى، فإن المواجهة بين الأصولية المسيحية، والنشاط الإسلامى فى أمريكا، تعتمد على التنافس الحر، أى على قواعد السوق المفتوح، إذا جاز التعبير.

حيث لاتوجد مواجهات أمنية، للنشاط الإسلامى، فدستور أمريكا، يؤكد على أن الدولة علمانية تماماً، وأنها تعطى الحرية الدينية بلا حدود، وأنها لاتتدخل بالسلب أو بالإيجاب فى أى نشاط دينى، أيا كان. وبجانب ذلك، فإن مناخ العمل العلنى، المتاح للجميع، لايعطى مساحة للمواجهات العنيفة بين المنتمين للأديان المختلفة. ويبقى

التنافس بعد ذلك، رهنا بقدرة كل طرف، على استخدام أفضل أساليب التبشير والدعاية والوعظ.

من هنا، يؤكد التيار الأصولى المسيحى[16] ، على أهمية إعلان الرسالة المسيحية، من خلال الكتاب المقدس، ونصوصه، فى كل الممارسات الدينية، مؤكداً، على ضرورة الربط القاطع بين المسيحية والحقيقة، أى على كون المسيحية هى الحقيقة الدينية الوحيدة. ويهاجم هذا التيار، أية محاولة لعرض المسيحية كقيم عامة، لأن هذا يجعلها مجرد فلسفة، أو طريقة للتفكير. وبمعنى أكثر وضوحاً يؤكد التيار الأصولى على «.. إننا إن لم نعلم الحقيقة الخاصة بإبراهيم والمسيح، فإن المسلمين سوف يعلمون حقيقتهم الخاصة بإبراهيم ومحمد، وهم يفعلون ذلك بالفعل»[17] .

وتعليقاً على الخطب التى يقدمها المسلمون فى عيد الأضحى فى شيكاغو، أمام جمع من المسلمين وغير المسلمين الأمريكان، يرى أحد الأصوليين الأمريكيين[18] أن هذا الخطاب يقدم القيم الدينية العامة ، ويهاجم العلمانية، ويؤكد على القيم الأخلاقية، مما قد يتوافق مع توجهات المسيحية، وهو بذلك خطاب تبشيرى، يهدف إلى الوصول لمؤمنين جدد، مما يؤكد أن التبشير ليس مقصوراً على المسيحيين. وبعد ذلك، يشرح الكاتب نفسه، كيف يمكن للمسيحيين تقديم رسالتهم المميزة، من خلال الحق والحب، حسب تعبيره.

الأصولية والآخر الدينى :

جرانت ويكر[19] ، أحد الباحثين الأصوليين، فى بحثه عن الأصولية، وحضارة ما بعد العصر، يشرح وجهة نظره عن الأسباب التاريخية الاجتماعية لظهور الأصولية فى أمريكا، حيث يرى أنها ظاهرة ثقافية متكاملة، أخذت من العصر، وتميزت عنه. وهو يعرض تصوره، مؤكداً أن الأصولية المعاصرة، ليست حركة ضد العصر، أو مجرد رد فعل للعلمانية، بل هى تراث تاريخى ممتد، من حركة الأطهار وحركة القداسة، التى تعود إلى القرون من السابع عشر إلى التاسع عشر.

وبغض النظر عن تفسيره لظهور الحركة الأصولية، فهى قضية طويلة تحتاج لدراسة خاصة، فإن جرانت ويكر، وفى معرض حديثه عن أسباب ظهور الحركة الأصولية يؤكد أنه «.. لايوجد سبب كاف للاعتقاد بأن ظهور التقليدية الدينية فى بلد

مثل إيران يمكن أن يقارن بحق، اجتماعياً أو دينياً»[٢٠] بالحركة الأصولية المسيحية المعاصرة.

إن هذا الموقف، لايدعو للدهشة، فإن الأصوليه فى تراثها، لاتقبل الآخر الدينى بسهولة. فمن شدة التمييز بين المنتمين للدين الواحد، ورفض الاتجاهات الدينية الأخرى، برغم أن الدين واحد، كل ذلك يؤدى فى النهاية إلى خلق هوية دينية شديدة التحدد، هى فى مثالنا هذا، ليست المسيحية، بقدر ما هى الأصولية المسيحية.

ولأن الأصوليين، يرفضون الأخر المسيحى، والأخر غير المسيحى، فإنهم غالباً ما يكونون أكثر حساسية تجاه أى محاولة للمقارنة بينهم وبين أصوليين من دين آخر. لذلك ، فالاتجاه العام لدى الأصولية المسيحية، يرفض أى مقارنة بينها وبين الأصولية الإسلامية.

وهذا الموقف يتكرر عبر الدول، أى أنه لاينتج من رفض الأمريكيين للمقارنة بينهم وبين شعوب العالم الثالث. ففى مصر، سنجد نفس الظاهرة. فالأصوليين المسيحيين فى مصر، يرفضون أية مقارنة بينهم وبين الأصوليين الإسلاميين، ويمكن أن نتوقع كذلك ، موقفاً مشابهاً من الأصوليين الإسلاميين.

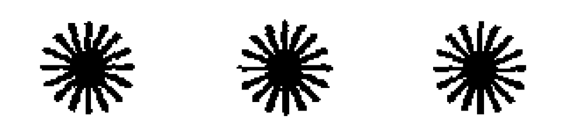
والحقيقة ، إن هذه الظاهرة، لها دلالتها، خاصة وأنها تشير إلى إهمال الفكر الأصولى، للجذور والبناءات الاجتماعية فالأصولية المسيحية، كعقيدة هى شىء آخر، غير الأصولية الإسلامية، كعقيدة، ولكن الأصولية المسيحية أو الإسلامية، كحركة اجتماعية، وكاستجابة اجتماعية لتحديات العصر، يمكن أن تكون نفس الشىء، أى نفس الظاهرة.

والفكر الملتصق أكثر بالتراث العلمى، والتفكير العلمى، يرى الصورة على هذا النحو، ويفتح المجال للمقارنة بإعتبار أن هذه الحركات، هى ظواهر اجتماعية، يمكن أن تقارن، وكذلك يمكن أن تكون لها أسباب واحدة.

مثال على ذلك، فإن مارتين مارتى[٢١] الباحث الأصولى، وفى بحثه عن الأصولية كظاهرة اجتماعية، والمنشور فى نفس الكتاب، الذى نشر به بحث جرانت ويكر يرى أن « .. هناك رد فعل عالمى ضد العديد من المنتجات المتداخلة للعصرية. والأصولية ،

كجزء منه، توجه رسالتها لضحايا التحديث وتستغلهم فى نفس الوقت، وإيران تمثل النموذج، فلقد غيرت التكنولوجيا الصورة هناك، ولكن الفائدة كانت للقلة . فعائلة الشاه، والصفوة الإيرانية التى درست فى أمريكا، وشيوخ البترول، اقتنصوا الفوائد، أما بقية الشعب، فلم ير أى تغير فى ظروف البيئة، وفقط وجد أن قيمة التقليدية مهددة. وكرد فعل لذلك، بشر آيات الله، بالكتاب (القرآن الكريم) وعادة المرأة لترتدى الشادور، فكأن هناك ثورة على أسس أصولية. وشىء من هذا يحدث فى العديد من دول العالم الثالث، ويرغم أن الأصولية الأمريكية، لاتعد ذات أسس اقتصادية فى الطبقة الدنيا، إلا أن بعض الأبعاد الاجتماعية واضحة فى حركتها. وهى - بوضوح - اعتراض ضد «الصفوة» و«المفكرين» و«وسائل الإعلام»، وغيرها، أى الناس الذين يجلسون فى منازلهم، يتمتعون بالتحديث ولايهتمون بالتقاليد[٢٢] .

إن هذه النظرة، وهى من أصولى، ومن التيار الذى يسمى «اليسار الإنجيلى» أى الأصولية المعتدلة، أو الخط الأخير فى الأصولية، قبل التيارات الأخرى المعتدلة، تؤكد أن الرؤية العلمية، لها منظور آخر، ومن خلالها، أصبحت المقارنة بين الأصولية المسيحية والإسلامية ممكنة.



هوامش الفصل الخامس :

(١) Bediako, K. The missionary inheritace. In Christianity: A world Faith. England: Lion, 1985, p. 304.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٠٥.

(٤) المرجع السابق.

(٥) James Reapsome

(٦) Church - planting

(٧) المرجع السابق، ص ٣٠٨.

(٨) المرجع السابق.

(٩) المرجع السابق، ص ص ٣٠٩ - ٣١٠.

(١٠) Maust, J. Who Holds the key of world evangelization ? Christiainty Today, 15 Jan, 1988, pp. 40-41.

(١١) المرجع السابق.

(١٢) المرجع السابق.

(١٣) American Way of life

(١٤) Barrett, D. World christian encyclopedia. Nairobi: Oxford University Press, 1982.

(١٥) Johnstone , P. Operation world. England : STL & WEC, 1986.

(١٦) Muck, T. The mosque next door. Christianity Tody , 1988, 19 Feb., 15-20.

(١٧) المرجع السابق، ص ١٨.

(١٨) المرجع السابق.

(١٩) Wacker, G. Uneasy in zion: Evangelicals in postmodern society. In G. Marsden (Ed) Evangelicalism and modern America. Michigan: Eerdmans, 1984.

(٢٠) المرجع السابق، ص ٢٢.

(٢١) Marty, M. Fundamentalism as a social phenomenon. In G. Marsden (Ed) Evagnelicalism and modern America. Michigan: Eerdmans, 1984.

(٢٢) المرجع السابق ص ص ٦٥ - ٦٦.

الفصل السادس

الأصولية الغربية فى مصر..

لكى نستطيع تكوين تصور عام عن علاقة الأصولية الغربية بمصر، يمكن وضع تصور تاريخى مختصر، عن الحملات الأصولية التى جاءت لمصر، وكل حملة تختلف عن الأخرى، فى مضمونها الفكرى، وتأثيرها. وفى هذه الدراسة نهتم بالأصولية المعاصرة، التى جاءت لمصر منذ ستينات القرن العشرين. وسنحاول فيما يلى، تحديد أهم الحملات الأخرى، باختصار شديد، كمجرد خلفية عامة :

١- الحملة الأولى : كانت الإرساليات التبشيرية، والتى جاءت إلى مصر، خاصة مع منتصف القرن التاسع عشر. والقوة البارزة فى هذه الحملة، هى الإرسالية الأمريكية المشيخية، والتى أسست الكنيسة الإنجيلية (المشيخية) المصرية. وكانت هذه الحملة أصولية، من حيث إنها نبعت من التيارات المتشددة داخل الكنيسة المشيخية، ومن حيث تأثرها بالحركة التطهرية، التى أثرت على معظم الكنائس الأمريكية فى ذلك الوقت. وحركة الإرساليات، التى جاءت منذ منتصف القرن التاسع عشر، لم تبشر بعقيدة الملك الألفى، ولم تؤمن بها، ولم يكن بها مكون فكرى مؤيد لاسرائيل أو دولتها. حيث كانت الكنيسة المشيخية الأمريكية فى ذلك الوقت تميل للأصولية التبشيرية والروحية والتطهرية، دون أن تظهر حرفية تفسيرية تاريخية، للكتاب المقدس. ونتج عن هذه الموجه التبشيرية، قيام الكنيسة الإنجيلية الوطنية فى مصر. والتى استقلت عن الكنيسة المشيخية الأمريكية، وبدأت تأخذ خطها التاريخى الخاص، ومراحل تطورمميزة لها، منذ النصف الأول من القرن العشرين. وبعد ذلك، يظهر فى الكنيسة الإنجيلية المصرية، أكثر من تيار، منها التيار المستنير (الأميل لليبرالية)، والتيار المحافظ الإحيائى، أو التيار الأميل للأصولية، والذى أزدهر فى السبعينات، بفعل اختراق الحركة

الأصولية الأمريكية، عن طريق إرسالياتها، للكنيسة الإنجيلية المصرية. أما الكنيسة المشيخية الأمريكية، فقد اتجهت للفكر الليبرالى، منذ الثلث الثانى للقرن العشرين، لتصبح أهم قوى الليبرالية المسيحية فى أمريكا .

٢- الحملة الثانية، وتظهر مع جيل جديد من المرسلين القادمين من الغرب، فى بدايات القرن العشرين، وهم من الطوائف البروتستانتية الأكثر تشدداً، والأميل للأصولية، أى التى تمثل الأصولية الأولى فى التاريخ المعاصر. حيث تأتى إلى مصر، كنائس القداسة، والرسولية، والخمسينية، والأخوة، وغيرها ، وينتج عن ذلك، قيام طوائف بروتستانتية جديدة، تحظى بالاعتراف الرسمى، وتنضم إلى طائفة الأقباط الإنجيليين، وفى الغرب، تعد هذه الطوائف، إحدى القوى التقليدية أو المؤسساتية داخل الحركة الأصولية المعاصرة، ولكن فى مصر، سنجد أن هذه الطوائف أكثر انفصالاً عن الحركة الأصولية المعاصرة، التى جاءت إلى مصر منذ الستينات، حيث تميل هذه الكنائس، إلى الوضع المؤسسى التقليدى وإلى وضع أقل حركية، من الأصولية المعاصرة.

٣- الحملة الثالثة، وهى الأصولية الأمريكية، سواءً التبشيرية أو الصهيونية، والتى جاءت إلى مصر منذ ستينات القرن العشرين، وإن كان الفكر الأصولى التبشيرى ، أكثر انتشاراً، فى حين يتوقف انتشار الفكر الصهيونى، على الفكر الألفى التدبيرى، المؤمن بتدبير الله للملك الألفى، دون تدخل البشر، فالنزعة الأصولية الصهيونية السياسية، والتى تحول عقيدة الملك الألفى، إلى برنامج عمل سياسى، مؤيد لإسرائيل، ولإقامة هيكل سليمان، وهدم المسجد الأقصى وغيرها، هذه النزعة، لاتجد مناخاً يلائم انتشارها فى مصر.

ويلاحظ أن الأصولية التبشيرية الكاريزماتية، وهى التى تمثل الشق الكاريزماتى من الحركة الإنجليلية المعاصرة (الأصولية) تمثل أهم التيارات التى وجدت قدراً كبيراً من الأتباع والمؤيدين، حتى إن لفظ الحركة الإنجيلية، أو الحركة الأصولية، لايستخدم بين مسيحيى مصر، ويستخدم لفظ الكاريزماتية، للتميز بين المنتمين للحركة الأصولية المعاصرة، عن غير المنتمين لها.

كذلك يلاحظ أن الحملة الأولى، نتج عنها تكون كنيسة وطنية محلية، أصبح لها تاريخها وتياراتها، والحملة الثانية، نتج عنها تكون كنائس وطنية محلية، أصبح لها أيضاً تاريخها وظروفها الخاصة، أما الحملة الثالثة، فقد نتج عنها حتى الآن، تكوين تيار أصولى، له كنائس يسيطر عليها، ومؤسسات تعبر عنه، داخل معظم الطوائف المصرية، الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت.

فنتيجة الحملة الثالثة، لم تكن كنيسة جديدة، بل حركة عبر طائفية، تجد طريقها داخل كل الطوائف، وإن كانت بنسب مختلفة، فقد تكون نسبة وجودها داخل الكنائس البروتسانتية، أعلى من نسبة وجودها داخل الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية.

وهذا الوضع ، هو السائد فى أمريكا أيضاً، فالحركة الأصولية المعاصرة، فى أمريكا، والعالم، كما فى مصر، حركة غير طائفية، لها قدرة واضحة على اختراق مختلف الكنائس، وإن كانت بنسب مختلفة. ويصعب أن نتنبأ بالمستقبل، فهل تصل الحركة إلى مرحلة تنشىء فيها كنيستها الخاصة، أم تستولى على معظم الكنائس الحالية ؟ أم تذوب وتختفى ؟

مما سبق ، يمكن أن نعقد مقارنة سريعة، بين أهداف الحملات الثلاث. حيث نرى أن :

١- لقد جاءت الحملة الأولى (إرساليات القرن التاسع عشر) لتبشير المسلمين، وظهر بجانب هذا الهدف، هدف آخر، وهو إحياء الكنيسة المصرية، ثم تحول هدف الحملة نتيجة فشلها فى تبشير المسلمين، إلى التركيز على القيام بدور داخل الكنيسة الأرثوذكسية، وعندما لم يستطع المرسلون العمل من داخل الكنيسة الأرثوذكسية، شرعوا فى إقامة كنيسة بروتستانتية جديدة، وهى الكنيسة الإنجيلية المصرية، وبذلك تحول هدفهم الأخير إلى تبشير المسيحيين الأرثوذكس بالبروتستانتية (خاصة الفكر المشيخى).

٢- جاءت الحملة الثانية (مرسلو أوائل القرن العشرين) كحركة إحياء، وامتداد لحركة الإحياء، التى ظهرت آثارها فى الغرب. لهذا كانت بدايات العمل المرسلى

لكنائس القداسة والرسولية والخمسينية، تركز أساساً على إحياء الكنيسة المصرية، وتوجهت بعد ذلك إلى إقامة كنائس إحيائية جديدة، وهى مجموعة الطوائف البروتستانتية الصغرى، غير المشيخية. على هذا، كان هدف المرسلين، هو إحياء الكنيسة المصرية، الإنجيلية ثم الأرثوذكسة، وكان التبشير موجهاً للإنجيليين ثم الأرثوذكس، أما مضمون التبشير، فكان عقائد التطهر والروحية والمواهب، وغيرها، من العقائد الأساسية للتيارات البروتستانتية الفرعية.

٣- أما فى الحملة الثالثة، فكما حدث فى الحملة الثانية، كان الهدف الأول للهيئات الأصولية التى بدأ عملها منذ ستينات القرن العشرين، هو إحياء الكنيسة المصرية، والتبشير بالأصولية. ولذلك توجهت هذه الهيئات إلى اختراق الكنيسة الإنجيلية، مستخدمة قناعاً بروتسانتياً يتميز بالعقائد البروتستانتية العامة، أو أساسيات حركة الإصلاح، لتخفى وراءه فكرها الأصولى. ومن خلال هذا التكنيك، بدأ دور بعض هذه الهيئات فى الكنيسة الإنجيلية . وكان قانون هذا الدور واضحاً، فالتغير بالتدريج وتقديم الفكر فى حدود الممكن، حتى تستمر الهيئة، ولو اضطرت إلى إخفاء الجانب الأهم من فكرها. وتستمر عملية الإختراق، وبالنسبة للكنائس البروتستانتية غير المشيخية، أو نتاج الحملة الثانية، فلم يكن الأمر يحتاج اختراقاً، ومع ذلك فإن الجيل القديم من الأصولية، ليس حليفاً للجيل الجديد، على الأقل فى مصر. ويأتى دور الكنائس الكاثوليكية، والذى يأتيها الفكر الأصولى، من عمليات الاختراق الداخلى، أو عمليات الاختراق العالمى، للفاتيكان نفسه.

أما الكنيسة الأرثوذكسية، فيتم حصارها فى الداخل، مرة من خلال التعاون بينها ، وبين هيئة، لها قناع مقبول، ومرة أخرى من خلال التأثير على الشباب فى المؤتمرات، وثالثة من خلال «التلمذة» أى تدريب قيادات كنسية، تعمل داخل الكنيسة الأرثوذكسية، ويكون ولاؤها الفكرى، فى النهاية، لإحدى الهيئات الأصولية .

بذلك، فإن الحملة الثالثة، تهدف بوضوح إلى اختراق كل الكنائس المصرية، وأى جديد فى ذلك، فالحركة الأصولية تعمل على اختراق كل الكنائس، فى كل بقعة تصل

إليها من العالم. ولا يغيب عن هيئات الحركة الأصولية، هدف تبشير غير المسيحيين، ولكنها تفعل ذلك إن كان ممكناً وتؤجل هذا الهدف، إن لم يكن متاحاً .

الأصولية تأتى إلى مصر :

عرفت الموجات المسيحية الكبرى، والتى نشأت فى الغرب، طريقها إلى أنحاء كثيرة من العالم، حتى أصبحت السمة الأساسية، للحركات المسيحية الجديدة، أنها تؤسس وضعها داخل دولة المنشأ ثم تمتد بفروعها ونشاطها، عبر أرجاء العالم. وبالنسبة للتيارات الأصولية، فإن الوصول إلى مختلف أنحاء العالم، هو جزء من الشعار والهدف الأخير، بأن يكون العالم كله للمسيح.

إن الأصولية التبشيرية (الحركة الإنجيلية) عامة، ترى أن العالم كله سيكون للمسيح، خاصة مع حلول عام ٢٠٠٠، وهو ما يعنى أن كل سكان العالم سيسمعون رسالة المسيح، والهدف الأكثر تفاؤلاً، والأقل انتشاراً، هو أن يكون كل سكان العالم مسيحيين.

والأمر يختلف لدى الأصولية، التى تمثل التيار الأكثر تشدداً من الأول، حيث إن الهدف ، أن يكون العالم كله للمسيح، ولكن التبشير يأخذ معنى جديداً، وهو معنى اقتحامى بالضرورة، فيصبح التحالف مع القوى السياسية، والدخول فى كواليس السياسة، أمراً متكرراً، وكل ذلك من أجل توفير المناخ الجيد للتبشير، وهذا التيار الاقتحامى التبشيرى مثل سابقه، ولكنه يتميز بالتبشير العدوانى، أى بالاقتحامية.

وعلى درجة أخرى، من سلم الفكر المتشدد، تقف الأصولية الصهيونية، باعتبارها المركز والقلب، الأكثر حماساً وقوة وخطراً. فالأصولية الصهيونية، تؤمن بأن العالم كله سيكون للمسيح، لأن المسيح سيكون الملك الفعلى الأرضى، للعالم كله، كمملكة واحدة للخير، لمدة ألف عام. والتدبيريون يؤمنون بأن ذلك سيحدث بفعل إرادة الله، دون جهدهم الشخصى، أما السياسيون، أصحاب لاهوت السيطرة والسلطة(١) ، فهم الذين يحاولون تحقيق الملك الألفى بأيديهم.

إن كل هذه التيارات، عرفت طريقها إلى مصر، فهيئة (البحارة) تمثل التيار الأصولى التبشيرى، وإن كان نظام الطاعة بها، يجعلها أميل للأصولية الاقتحامية.

وهيئة «المعسكر الصليبى للمسيح» تنتمى للأصولية الصهيونية التدبيرية، أما هيئة «شباب له رسالة» فتنتمى للأصولية الصهيونية السلطوية (السياسية). وهكذا عرفت مصر، كل الأنشطة والتيارات، فلماذا جاءت، ومتى ، وما هى النتائج ؟

إن البداية ترجع إلى أواسط الستينات، وفى مدينة الأسكندرية، وعبر سلسلة من المؤتمرات ، التى عرفت «بمدرسة الكرازة». وكانت هذه المؤتمرات تعقد تحت رعاية أحد قساوسة الكنيسة الإنجيلية (المشيخية) المصرية، وهو القس الراحل لبيب قلدس، ولم يكن ذلك تعبيرا عن فكر الكنيسة، بقدر ما كان تعبيراً عن فكر القس نفسه، لأنه كان من الأصوليين، وكان أيضاً من الكاريزماتيين.

والكاريزماتية، هى الإيمان بالعمل المعجزى للروح القدس، ويعنى ذلك أن المؤمن المخلص ، المولود ثانية، والذى تخلص فى لحظة، وقبل المسيح مخلص شخصى لحياته، يمر باختبار يزيد إيمانه، وهو اختبار الامتلاء بالروح القدس. فيسكن الروح القدس بداخله، ويعطيه قدرات معجزية، وتظهر هذه القدرات فى أشكال كثيرة ، منها القدرة على معرفة إرادة الله، والقدرة على سماع صوته، والقدرة على شفاء المرضى، والتكلم بألسنة أى لغات غير مفهومة، يقوم بعض الموهوبين بترجمتها، وهى فى النهاية رسالة من السماء.

والكاريزماتية ، لاتقف عند هذا الحد، بل تتبلور أكثر فى روحانية انفعالية حادة. فنجد المؤمن يشعر بالأرواح الشريرة، ويصارعها، ويعيش حرباً روحية معها، ثم يخرجها من نفسه أو من غيره. ويمر المؤمن بحياة كلها تجارب، أى كلها حروب مع الشياطين ، والتى تسكن كل جزء من هذا العالم المادى، مملكة الظلمة. ويتواكب ذلك، مع العبادة الانفعالية، وتزايد الخبرات الروحية الغريبة والحادة. ويظهر ذلك، فى حدوث الامتلاء بالروح القدس، فى موقف انفعالى، حيث يشير القائد للشخص بإصبعه، فيمتلىء بالروح القدس، أو ينفخ فيه، ليتحقق الامتلاء، ومن ثم يحدث الامتلاء، ويسقط الفرد على الأرض، فى حالة انفعالية حادة، بعدها يصير ممتلئاً بالروح.

وهذه الأفكار، لم يؤمن بها القس لبيب قلدس وحده، بل تؤمن بها أيضاً هيئة

شباب له رسالة، التى كانت القوة المحركة وراء مدرسة الكرازة. وهكذا فتح الباب للأصولية المسيحية الغربية، ومنذ أواخر الستينات، لتعرف طريقها إلى الشباب المسيحى المصرى . وكانت البداية قوية للغاية، حيث استطاع هذا الفكر كسب أنصار ومؤيدين، وبأعداد كبيرة، بين الشباب خاصة، ثم توقفت مؤتمرات «مدرسة الكرازة» التى كانت تعقد فى مدينة الإسكندرية، لتبدأ مرحلة أخرى.

ماذا يحدث فى قبرص .. ؟

بعد انتهاء مؤتمرات مدرسة الكرازة فى مصر، والتى كانت تبشر بالفكر الأصولى ، بدأت موجه جديدة من المؤتمرات، مع سبعينيات القرن العشرين، واتجهت هذه المؤتمرات للخارج، خاصة قبرص. وفى قبرص حضر عشرات، وربما مئات، من الشباب المسيحى المصرى، ليحضر مؤتمرات صيفية، تبشر بالفكر الأصولى الأمريكى . ومرة أخرى، كان من أهم المراكز التدريبية التى تعقد بها هذه المؤتمرات، المركز الخاص بهيئة شباب له رسالة، ثم ظهر النشاط الواسع لهيئة المعسكر الصليبى للمسيح، ومؤتمراتها فى الخارج، ثم تدفقت الهيئات والمؤتمرات.

فى هذه المرحلة ، كان العنصر البارز هو صناعة الفكر، وصناعة القائد ، وكان تأثير هذه المؤتمرات، طاغياً. فعدد كبير، ممن حضروا مثل هذه المؤتمرات، عاد منها أصولياً، أو على أقل تقدير، عاد منها لايعادى الأصولية، والقليل هو من كان يستطيع أن يصمد أمام قوة وطغيان هذا الفكر.

ومع سنوات السبعينات، بدأت خطوات الفكر الأصولى، نحو الانتشار فى الكنائس المصرية . ولقد تم ذلك، تدريجياً، ولكن بوضوح، وتم ذلك ضد إرادة الكنيسة وضد فكرها فى معظم الأحيان. ومع ذلك، فإنه تم دون مقاومة لها شأن من قبل الكنيسة وقيادتها. ومن خلال هذه المؤتمرات، تكون جيل من القادة الأصوليين، من الشباب المؤمن، والمتحمس. وهذا الشباب لم يترك كنيسته، بل كان يعود من المؤتمرات إلى كنيسته، ولكنه كان يعود لكى يعلم ويبشر بالفكر الجديد.

وفى مصر، كما فى العالم، بدأ الفكر الأصولى يخترق الكنائس البروتستانتية، التى تمثل الأصولية القديمة تاريخياً، ثم يخترق الكنائس البروتستانتية غير الأصولية

(مثل الكنيسة الإنجيلية المشيخية فى مصر)، ثم يتسرب إلى الكنيسة الكاثوليكية، فالكنيسة الأرثوذكسية. وكان الطريق واحداً، وهو الإختراق، دون الثورة، والتسرب من الداخل، دون الهجوم من الخارج، وهى قاعدة واستراتيجية الأصولية الغربية المعاصرة، فى صورتها الأمريكية الخاصة.

وقاعدة الاختراق الذهبية هى تغيير فكر الشباب تدريجياً، واستقطاب القيادات الشبابية. بعد ذلك تبقى الكنيسة وقياداتها بلا قاعدة شبابية، مما يجعلها تهادن الشباب، أو تتأثر بهم، أو على الأقل تستسلم فى النهاية لقوتهم. ومن خلال الشباب، تمكن الفكر الأصولى من تحطيم جزء من الأساس الذى يقف عليه فكر الكنيسة الرسمى. وأكثر من ذلك، أصبح جزءاً من فكر الكنيسة المصرية الرسمى، والشائع، ليس هو فكرها الأصلى، بل هو صورة أصولية النزعة، من فكرها وعقيدتها الأصلية.

وعند هذا الحد، أصبح الفكر الأصولى يأخذ طريقه عبر العديد من القنوات، منها الحركات التى تعمل داخل الكنيسة، والهيئات التى تعمل من خلال الكنيسة، وكذلك الحركات والهيئات المستقلة والمنشقة. وكان من الواضح ، أن الأصولية الجديدة، هى القادرة على فرض نفوذها وسيطرتها.

ولقد اتجه عدد من الهيئات الأصولية، إلى العمل من خلال الكنائس المصرية، وهى خطوة تبدأ عادة بالكنيسة الإنجيلية (المشيخية)، نظراً للتجانس معها فى قضايا مثل الكهنوت، ولمساحة الحرية التى تتوافر بها، حيث لايوجد فكر رسمى عام، يصدر من أعلى، وتلتزم به كل الكنائس. والعمل من خلال الكنائس يقوم على دعامتين، الأولى هى تقديم مساعدات وأنشطة تحتاج لها الكنيسة بالفعل، والثانية إظهار أن فكر الهيئة لايتعارض مع فكر الكنيسة وعقيدتها.

ولكن هذه الهيئات، كانت تنفذ سياسة واستراتيجية، تم اعتمادها، من قبل الحركة الأصولية. وهى سياسة العمل من خلال الكنائس المحلية، ومن داخلها، دون الصراع معها، ودون الانشقاق عليها. وكانت هذه السياسة ، تهدف إلى منع إعاقة الكنائس المحلية لنشاط هذه الهيئات، كذلك كان لهذه السياسة هدف أخر، وهو الهدف الأخطر، فالأصولية المعاصرة، ليست كنيسة، وليست طائفة، ولكنها طائفة عابرة

للطوائف، تريد أن تجعل من كل كنيسة ومن كل طائفة، مؤسسة ممثلة لها. إن الأصولية المعاصرة، لاتطلب من أحد تغير طائفته، أو البعد عن كنيسته، بل تحاول جعل الأصولية، هوية تضاف للهوية الطائفية، وتتفوق عليها، لتصبح هوية طائفية أممية، تضم الكنائس والطوائف المختلفة.

ومن خلال اعتماد هذه السياسة، كان النجاح من نصيب الحركة الأصولية. لأنها منذ البداية، كانت تقدم المقبول، وتعمل فى حدود المقبول، الذى هو الممكن بالنسبة لها. وتدريجياً، كانت الهيئات الأصولية، تستطيع تجاوز المقبول من قبل الكنيسة المصرية، خاصة كلما تزايدت شعبيتها، وتزايد أتباعها من الشباب وغيرهم. فالقوة والأتباع، كانا العنصر الحاسم، الذى يمكن الهيئة من تجاوز الحدود المسموح لها بها، من قبل الكنيسة، دون أن تكون الكنيسة قادرة، حتى على الاعتراض العلنى.

لايعنى ذلك، أن الكنيسة المصرية وقياداتها، قد استسلمت تماماً للحركة الأصولية، فالبعض يعترض أحياناً ، وبقوة أحياناً، والبعض يصمت، والبعض يستقطب تماماً، ولكن نادراً ما نجد مواجهة حاسمة ومستمرة وقوية، أى حرب فاصلة. ويبدو أن الأصولية ، أصبحت من القوى التى تحكم الكنيسة المصرية، وإن كان من وراء الكواليس .

فماذا حدث فى قبرص ؟ هل هو غسيل للمخ ؟ بأى التسميات ، أو أى الصفات، لايهم، فالحقيقة أبسط من أى تعقيدات، إن ما حدث فى قبرص وغيرها، وما حدث فى الإسكندرية وغيرها، ليس أقل أوأكثر، من إعادة تربية شباب الكنيسة دينياً واجتماعيا، من قبل منظمات الحركة الأصولية الأمريكية، بالطبع ليس كل الشباب، وأيضاً ليس دائماً بنفس القدر من النجاح.

إن اهتمام الأصولية الواضح، بالمؤتمرات والتدريب والرحلات ، وغيرها من الأنشطة الشبابية، يتيح لها فرصا كبيرة للتأثير على الشباب، وهو ما يؤدى إلى إعادة تشكيل فكرهم الدينى، على أقل تقدير. ولكن هذه المؤتمرات، ليست فى حد ذاتهاالسبب الوحيد لانتشار الأصولية، فلقد كان المناخ مهيأً لقبول الأصولية، وكان

الاتجاه الدينى الأصولى، يتزايد فى مصر، منذ الستينات وكذلك بعد هزيمة ١٩٦٧. فالمناخ المصرى ، فى هذه الحقبة كان مؤهلاً لظهور الحركات الأصولية (اليمين الدينى)، كذلك الحركات الدينية بمختلف تياراتها. وهوما ظهر واضحاً، فى صعود التيار الدينى الإسلامى، بمختلف فصائله، وما كان بالنسبة للجانب الإسلامى ، كان بالنسبة للجانب المسيحى. والاختلاف ظهر، فى مدى تداخل ظهور الحركات الأصولية المسيحية ، مع نشاط الهيئات الأصولية الأمريكية. فعلى الجانب الإسلامى، كانت الحركات تنبع من البيئة، وبدرجة أكبر من الاستقلال، مع وجود التأييد والتحفيز الخارجى، أما على الجانب المسيحى، فإن دور العامل الخارجى تزايد.

وعبر إمكانات الهيئات الأصولية الغربية، أتيح للأصولية أن تجد طريقها فى مصر، من خلال الهيئات والمؤسسات التابعة للأصولية الغربية، ومن خلال القيادات الرسمية وغير الرسمية لهذه الهيئات، وهو ماأتاح للأصولية، إمكانيات كبيرة، ساعدت على انتشارها ، وتزايد عدد المؤمنين بها.

أصولية فى العمل الاجتماعى :

لقد كان الملمح البارز للأصولية (حركة الإحياء) فى النصف الأول من القرن العشرين، إنها حركة انعزالية أو حركة دينية صرفة، ولكن الصورة تغيرت بعد ذلك، فالحركة الأصولية فى موجتها التى ظهرت منذ سنة ١٩٠٠، كانت تركز على محاور، من أهمها : التبشير، والممارسة الدينية، والتطهر، والنقاء، وكان التأكيد واضحاً، على البعد عن السياسة، والعمل الاجتماعى. بل وأكثر من ذلك ، البعد عن «العالم»، وهو تعبير مسيحى اصطلاحى، يعنى كل ما هو خارج الإيمان، والدنيوية (العلمانية). فالعالم فى التعبير المسيحى، هو «الجاهلية» حسب التعبير الإسلامى.

لكن الصورة تغيرت منذأربعينات القرن العشرين، ولم يكن تغيرها حدثاً فريداً، فالمتابع لتطور الحركات الدينية، يعرف من تاريخها، أنها ليست حركات انعزالية أو سياسية (تنخرط فى المجتمع) ، ولكنها حركات تمر بمراحل انعزالية، وأخرى اجتماعية وسياسية. فالتحول إذن، ليس طفرة، بل لعله قانون التغير، لهذا فإن الحركة الأصولية الأمريكية، وبعد سنوات من الانعزال، عادت لتهتم بالجوانب

الاجتماعية ثم السياسية، منذ الأربعينات. وقد ظهر هذا الاهتمام، فى خطاب أصولى يؤكد على دور المسيحى فى الحياة، وأهمية إعلان الرأى المسيحى فى قضايا المجتمع، وأهمية أن يكون للمؤمن سلوك يميزه عن العالم، وأيضاً سلوك من شأنه أن يحقق المسيحية فى المجتمع، ويمهد لقيام المجتمع المسيحى. وكان رائد هذه الحركة، هو الأب الروحى للأصولية الأمريكية، منذ الأربعينات، وحتى التسعينات، وهو الواعظ الأشهر، والأسم اللامع، بلى جراهام.

وهكذا توالت المنظمات والأسماء، التى تعمل من أجل الفكر الأصولى، من خلال قنوات متعددة، منها الاجتماعى ومنها السياسى، والملمح الاجتماعى ظهر منذ الأربعينات، أولاً فى شكل فكر، ثم منظمات اجتماعية أصولية، ويستمر التطور التدريجى حتى السبعينات، فتظهر الأصولية الحركية الاجتماعية، ثم تزدهر الأصولية الحركية السياسية فى الثمانينات، ويبقى أمام الحركة – حسب تصورها – جنى الثمار، بالانتصار داخل أمريكا وخارجها، مع التسعينات، وحتى السنة / الرمز ٢٠٠٠.

فى هذا المناخ، ومنذ منتصف الخمسينات من القرن العشرين، ظهرت إحدى أهم الهيئات الأصولية الاجتماعية، وهى «الرؤية العالمية»[٢] ، وعبر الـ ٣٥ سنة الماضية، تظل الرؤية العالمية، الهيئة الأكبر، والأوسع نفوذاً، والأكثر تأثيراً، وأيضاً الأغنى، بين منظمات الأصولية المعاصرة. ومن نموذج هذه الهيئة، نستطيع أن نتعرف على العمل الاجتماعى من منظور أصولى. وملامح هذا العمل واضحة، فهو لايهدف إلى تحقيق التنمية بأى معنى ليبرالى أو يسارى، ولايعرف إحداثيات التنمية المستقلة أو التقدمية، ولا يهدف الى نشر قيم العلمانية بالطبع، ولكنه يركز أساساً لا على التنمية بل الخدمة، ولا على الثورة بل إطعام الجياع، ولكن ما هو الهدف ؟ إنه ليس بالطبع القضاء على الجوع، من أجل ذاته، وفى ذاته، كهدف نهائى ، بل إن العمل الاجتماعى الأصولى، فى مجمله ليس هدفاً فى ذاته، بل وسيلة لهدف دينى نهائى. فمساعدة الفقراء، فى المنظور الأصولى، ليست بسبب الالتصاق بقيمة الإنسان وحقوقه، بل هى مجرد تمهيد لهدف آخر، وهو هدف دينى بالضرورة، وهو التبشير حتماً.

ومن إعلان لجمع التبرعات ، لهيئة الرؤية العالمية[٣] ، نتعرف على ملامح الصورة. فالتبرع الدينى للفقراء، حسب الإعلان، هو بديل جديد للمادية المتفشية، يشعر الفرد بالسعادة والغنى، وبالرضا للامتياز الذى اعطاه له الله، وكل ذلك يتحقق من خلال تقديم دعم شهرى (٢٠ دولارا) لأحد الأطفال، الذي يتعرف عليه المتبرع من خلال الهيئة، ويراسله ويعرف أخباره، إنه بحق تبن عن بعد. وهذه الهبة الشهرية، تعطى فرصة لطفل لكى يعرف محبة المسيح – حسب تعبير الإعلان، فالعمل واضح، وهو مساعدة فقير، والهدف واضح، وهو احتمال تحوله للمسيحية فى النهاية، أو إذا كان مسيحياً، فاحتمال تحوله للأصولية . وليس غريباً أن تنتفى عن هذا العمل أية علاقة بالتنمية، فهو دعم مادى (منح) يستخدمه فرد أو أسرة أو جماعة، حتى يحقق مستوى معيشياً مرتفعاً ، وهو ما يخلق قدراً كبيراً من التبعية، بين المتبرع والمتلقى للتبرع.

ولعل السؤال يبقى عن كيفية تحقيق المساعدة المادية للتبشير، والواقع يؤكد أن التبشير هدف نهائى، لكنه عاجل أو آجل، مباشر، أو غير مباشر، والأمر يتوقف على السياق المحيط. فأحياناً تؤدى المساعدة إلى التنصير مباشرة، أولا تؤدى له بالفعل، فالتبشير هو الهدف، لكن ما يحدث هو الممكن فقط، وهيئة الرؤية العالمية، تعمل فى بلاد، لاتستطيع فيها ممارسة التبشير، أى يبقى الهدف بعيداً أو مستحيلاً، ولكنها – فى الواقع – تعمل، لتوجد وتبقى وتؤثر فى حدود الممكن والمستطاع.

الرؤية العالمية :

إن مؤسسة الرؤية العالمية، كإحدى أهم المؤسسات الاجتماعية الأصولية، وهى كمؤسسة ذات نزعة تبشيرية واضحة، تصبح ضمن مؤسسات الأصولية التبشيرية (الحركة الإنجيلية). وكمؤسسة تعمل منذ الخمسينات، تعد من أول المؤسسات التى تبنت أهدافاً اجتماعية وإنسانية عامة، وحملت رسالة محاربة الشيوعية والفقر، وتعمل الرؤية العالمية بالاشتراك مع العديد من المؤسسات الحكومية والكنسية، والمدارس، وغيرها.

ومن خلال ميزانية، تقدر بنحو ربع مليار دولار سنوياً (٢٥٠ مليون دولار) تعد

الرؤية العالمية، من أكبر مؤسسات الإغاثة التبشيرية حول العالم، ولقد بدأت الرؤية العالمية، عملها من خلال تبنى أطفال العالم الثالث، من خلال متبرع لكل طفل أو أكثر. حيث يرسل المتبرع، مصاريف شهرية للطفل، ويقيم علاقة معه عبر البريد، ويتابع أخباره، ويعرف ظروفه تفصيلاً. ثم انتقلت مؤسسة الرؤية العالمية، إلى مشروعات أكبر، مثل تبنى أسرة بأكملها، أو العمل مع جماعة صغيرة، كذلك التعامل مع الكوارث، وإحداث الاكتفاء الذاتى، من خلال عملية تنموية طويلة الأجل، بجانب الشهادة المسيحية، وتنمية القيادات، وتوعية المجتمع ومده بالمعلومات، وهكذا انتقلت المؤسسة، من تقديم العون، إلى محاولة إحداث التنمية .

وفى البداية، تأثر عمل الرؤية العالمية بالحرب الباردة، مما جعل لعملها فى جنوب شرق آسيا، أهمية خاصة، وهو ما دفع مؤسسة التنمية الدولية (AID) الأمريكية، لدفع أموال، للرؤية العالمية. ولكن، ومنذ السبعينات، تغير الموقف السياسى للرؤية العالمية، وأهملت قواعد الحرب الباردة، وبدأت تعمل مع الحكومات الشيوعية، مما أدى إلى انخفاض الأموال التى تحصل عليها من مؤسسة التنمية الدولية الأمريكية. وبسبب تلقى أموال فيدرالية من الحكومة الأمريكية، والتى تمنع استخدام أموالها فى تغيير المعتقدات، لذلك اتجهت الرؤية العالمية، إلى تعظيم دورها فى الإغاثة والتنمية، عن دورها التبشيرى(٤) .

إن هذه النقطة تضيف بعداً جديداً للرؤية العالمية، فالبعد عن التبشير، كهدف مباشر، جعل معظم عملها، يتحول الى المساعدات الاجتماعية. ولكن الدور الاجتماعى، لمؤسسة الرؤية العالمية، يشكل بعداً آخر، يثير المشكلات من حولها. فالرؤية العالمية، أثبتت أنها قادرة على التكيف مع الظروف المحيطة بها، برغم أسسها التبشيرية المثالية. وهو ماحدث فى مصر مثلاً، فلقد عملت الرؤية العالمية فى مصر، لسنوات . فى النصف الثانى من ثمانينات القرن العشرين خاصة. وفى مصر، لم يكن المناخ صالحاً لأى عمل تبشيرى، فأصبح عمل المؤسسة، محصوراً فى المساعدة الاجتماعية. وبالرغم من ذلك، فإن جهات الأمن المصرية، أعلنت استياءها فى عمل المؤسسة وطالبتها بالتوقف عن العمل فى مصر، بعد أن صرح لها بالعمل

رسمياً، كهيئة تتبع قانون وزارة الشئون الاجتماعية، وفى نهاية عام ١٩٩٠، كانت الرؤية العالمية، تقفل أبواب عملها فى مصر.

وبغض النظر عن أسباب رفض جهات الأمن المصرية، لعمل مؤسسة الرؤية العالمية، إلا أن عملها فى حد ذاته، أثار العديد من المشكلات عبر دول كثيرة، مما أدى إلى توجيه النقد الحاد لها . ففى قلب أفريقيا، أعلنت إحدى الدول ترحيل الرؤية العالمية، لأنها تثير الحساسيات القبلية. وفى السودان ، تم ترحيل الرؤية العالمية، باعتبارها مؤسسة تبشيرية، تضر الأمن القومى.

والأمر لايقف عند هذه الحدود، فالمشكلة الحقيقية تنبع من اسلوب التنمية، إن جاز لنا أن نسميه تنمية. فالمساعدات التى تقدمها الرؤية العالمية، تخلق وضعاً مثيراً للحساسية، بين أفراد الأسرة الواحدة، أو بين الأسر، أو بين الجماعات. وهو ما ينبع من تبنى المؤسسة لفرد أو جماعة، وتوفير سبل الحياة له أو لها ، دون بقية المجتمع، وهو ما أدى – غالباً – إلى قيام مشكلات بين القبائل فى أفريقيا.

الأمر الثانى : إن اسلوب الرؤية العالمية، حسب آراء الناقدين لها(٥) ، يؤدى إلى خلق التبعية . أى أن المؤسسة ، تخلق أفراداً وأسرا وجماعات، تابعة، بكل ما تعنيه الكلمة من معان. ولنتأمل، حال فرد أو أسرة أو حتى كنيسة، تتلقى دعماً شهرياً مستمراً من المؤسسة، وهو دعم مالى نقدى. إن هذا الدعم، يخلق شخصيات تابعة، تعتمد على المعونة الشهرية، ولا تعيش بدونها، كما أنه يخلق كيانات تابعة، لمؤسسة عبر قومية.

وهذا الأسلوب، أدى إلى تنمية النزعة الاستغلالية، فى المناطق التى تعمل بها المؤسسة . حيث يتزايد ميل الأفراد إلى الحصول على أكبر قدر ممكن من تلك الأموال الدولارية، التى تهبط عليهم من الرؤية العالمية. وعند هذاالحد، فإن المؤسسة تقف فى منتصف الطريق، وتواجه المشكلات من الجانبين معاً.

فمن جانب الأصوليين المسيحيين، يوجه النقد للرؤية العالمية، لأنها خرجت عن حدود التبشير، والمهام التبشيرية الأساسية، أما من جانب غير الأصوليين، وأحياناً الأصوليين أيضاً، فإن المؤسسة تعد متورطة سياسياً بدرجة كبيرة، حيث إن لها

نشاطًا سياسياً واسعاً، سواء من خلال التعامل مع حكومات العالم الثالث، أو من خلال تكوينها لبؤر صغيرة، ليست إلا حضارة فرعية.

فى الإطار العام لعمل الرؤية العالمية، سنجد أنها تخلق نمط التبعية الاقتصادية، للأطراف الفقيرة، نحو المراكز الغنية، للرأسمالية العالمية. وتتزايد الاتهامات، فمرة تتهم المؤسسة بأنها مؤسسة تقف فى طليعة السياسة الأمريكية الخارجية، وأنها تتبع المخابرات المركزية الأمريكية. وفى أمريكا اللاتينية، على سبيل المثال، فإن عمل المؤسسة، يتحدى كل الأعمال الكنسية الأخرى، للكاثوليك والبروتستانت والأصوليين، لأنها ومن خلال برامجها المدعومة بالمال الوفير، تقدم بديلاً جديداً عن الكل.

وعلى أية حال، فإن عمل المؤسسة، بغض النظر عن أية علاقة مع الحكومة الأمريكية، أو المخابرات المركزية، يمثل اتجاهاً امبريالياً واضحاً. فالمؤسسة فى حد ذاتها، تقوم بأعمال، هى من أعمال السياسة الرأسمالية التوسعية. لذا، فإن المؤسسة تخدم أهداف السياسة الأمريكية، والسياسة المخابراتية، حتى بدون وجود علاقة بينهم، حيث لايوجد دليل قوى على مثل تلك العلاقة.

وفى نيكارجوا، على سبيل المثال، نموذج يوضح أبعاد هذه المؤسسة، فمع انتصار الحكومة اليسارية للساندينستا، اتجهت الرؤية العالمية للتعامل مع الحكومة من خلال المؤسسات المسيحية التى أيدت الحكومة اليسارية(٦) . فالرؤية العالمية، تتميز بمرونة أيديولوجية كبيرة، أو بمعنى أدق، إنها تتميز بمرونة عملية كبيرة. حيث تعمل فى كل الظروف، وفى حدود المتاح، وفى حدود أفضل الطرق وأكثرها أمانا. وفى النهاية، فإن المؤسسة غالباً ما تحقق أهدافها، وإن لم تصل إلى أى نتيجة تبشيرية، فإنها تبشر بنمط اقتصادى رأسمالى، وتؤكد علاقات التبعية بين الدول الغنية، وتلك الفقيرة.

وبالنسبة لهيئة لها ميزانية تتجاوز ٢٥٠ مليون دولار، وتعمل فى ٩٠ دولة، ويعمل بها أكثر من ٤٤٠٠ موظف، فإن الأثر النهائى، لايخلو من البعد السياسى، والبعد الدينى، وهو ما يلقى ظلالاً من الشك، حول هذه المؤسسة، ويكفى أن هذه المؤسسة فى عام ١٩٨٧ استطاعت الوصول بعملها إلى ٧ر١٣ مليون شخص حول العالم.

البحـــارة :

من خلال ملف معد من قبل إحدى المؤسسات التى تقدم معلومات عن الهيئات التطوعية والمسيحية فى أمريكا[7] ، يمكن أن نتعرف على ملامح إحدى المنظمات الأصولية التبشيرية (الإنجيلية) ، والتى لها عمل ممتد فى أنحاء كثيرة من العالم، وهى ليست منظمة صهيونية ولا تعتقد فى الملك الألفى، فهى ضمن الأصولية التبشيرية غير الألفية.

ولقد تأسست هيئة النافيجيتورز[8] (البحارة) فى عام ١٩٣٣، فى جنوب كاليفورنيا، على يد دوسون تورطمان، وهى مؤسسة إرسالية إنجيلية أساساً، وتهدف إلى تنمية قيادات روحية، يقومون بقيادة الآخرين، ليتبعوا طريق المسيح. ولقد بدأ النشاط من خلال العمل بين أعضاء بعض الوحدات العسكرية فى أمريكا. وبعد الحرب العالمية الثانية، توسع العمل ليشمل بيوت الطلبة الجامعيين، والمجتمعات الصغرى، عبر الولايات المتحدة. ولقد تحول البحارة إلى العمل الدولى، منذ إرسالهم لإرسالية الى الصين فى عام ١٩٤٨ . ويقول البحارة، إنهم الآن يعملون فى ٦٠ دولة حول العالم، من خلال مرسلين ينتمون إلى ٣٣ جنسية. ومازالت الجماعة تركز على العمل فى معسكرات الطلبة، ووحدات الجيش ، والمجتمعات الصغيرة من خلال الكنيسة .

وتملك الجماعة، داراً للنشر، تنشر مجلتها الشهرية «التلمذة»، والمجلات والمنشورات الأخرى، بما فيها سلسلة ٢ : ٧، والتى تمثل برنامجاً مدته سنتان للتدريب على التلمذة لأعضاء الكنيسة.

ويعمل فى هيئة البحارة، ٢٦٠٠ متفرغ، وفى الولايات المتحدة. وتؤكد الهيئة أن لها فاعلية فى ١٥١ جامعة وكلية، ١٤٥ قاعدة عسكرية، ١١٢ مجتمعاً صغيراً.

وتعتمد الجماعة، على التبرعات، من الأفراد والأصدقاء والأقرباء والكنائس المهتمين بعملها، وتدعى الجماعة أن لها ٩٠ ألف ممول. وفى عام ١٩٨٠، سجل البحارة حصولهم على إجمالى تبرع قدره ٢٧ مليون دولار.

إن العمل الرئيسى للبحارة هو التبشير وضم تلاميذ جدد. ويعمل البحارة على

الوصول للأعضاء الجدد من خلال تعليم الناس كيف تكون لهم علاقة شخصية مع المسيح، وكيف يقرأون الكتاب المقدس ويدرسونه، وكيف يطبقونه على حياتهم، وكيف يحصلون على استجابة لصلواتهم، وكيف يحفظون آيات الكتاب المقدس. وضم الأعضاء (التجنيد) والتدريب، يتم من فرد لفرد، أى على أسس فردية محضة . وهذا النمط الشخصى فى التدريب ، هو الذى يشجع الناس على الاستمرار فى حضور كنائسهم المحلية، والاشتراك فى الأنشطة الرياضية والاجتماعية المختلفة.

ومن خلال دار النشر الخاصة بالنافيجيتورز، تقوم الهيئة بتوزيع مطبوعاتها بين الكنائس الأصولية، والمكتبات المسيحية، وأحد برامج التلمذة التى تستخدمها الهيئة هو «نسق الذاكرة الموضوعى» . وهو يقوم على عملية الحفظ، ويشمل كتيبات للتدريب، وكروتاً لآيات مختارة من الكتاب المقدس، ويتضمن هذاالبرنامج تدريباً على التأمل الروحى وأساليبه، وهو ماينتج عنه ، حسب رأى أحد نقادهم، تكوين عادة الطاعة بدون سؤال .

ولقد أصبح للبحارة نشاط واسع وإرساليات ممتدة، فى القواعد العسكرية عبر البحار، بما فى ذلك، ٥ قواعد عسكرية فى اليابان، و٤٠ قاعدة فى ألمانيا الغربية.

وفى كل سنة يقوم أحد المسئولين بالهيئة، بتقديم دورات متعددة فى نهاية الأسبوع، لكى يقوى القيم التقليدية والمسيحية والأسرية . وفى عام ١٩٨٧، كانت المجموعات المستهدفة من الدورات، مثل الأطباء، والمرأة، وقيادات الكنيسة وقساوسها، والعاملين بسكرتارية الكنيسة، والمحالين للمعاش، والأزواج والزوجات .

وفى نهاية هذاالملف ، كتب التعليق التالى : إن الهدف من هيئة البحارة ، هو جمع التلاميذ وتدريبهم لكى يساعدوا على تحقيق إرسالية المسيح العظمى (أن يكون العالم كله للمسيح) ، وتسمى استراتيجية الجماعة «التضاعف الروحى للوصول إلى العالم شخص بشخص» . كذلك يتبنى البحارة أسلوبًا فرديًا فى التبشير. فالهيئة ترى العلاقة بين الله والإنسان فى شكل رأسى ، حيث الله أعلى ، والإنسان أسفل . والبحارة يمثلون حلقة الوصل بين الله والإنسان .

وعند هذا الحد ، ينتهى الملف ، وبالطبع إن هذه المعلومات قليلة ، ولكنها كافية.

ولكن الأمر يحتاج إلى نظرة متأنية ، لهذه العناصر ، ولرؤية خاصة ، لنشاط البحارة ، في الواقع الفعلي ، خاصة إنهم عملوا في لبنان ومصر . ولقد استمر عملهم في مصر ١٥ عاماً ، حتى تم ترحيل ممثلهم في مصر ، نبيل جبور (اللبناني الجنسية) بدعوى اتهامه بتبشير المسلمين . وكان ذلك نهاية عام ١٩٩٠ .

إن مفتاح فهم هيئة البحارة ، هو مفهوم «التلمذة» . ويعني أن القائد (البحار) ، يقوم باختيار أعضاء (تلاميذ) ، ويقوم بتدريب وتعليم كل واحد منهم على حده ، حتى يصبح تلميذاً له . والتلمذة تقوم على الطاعة ، لله أولاً ، ثم للقائد ، ولكن القائد هو حلقة الوصل بين الله والتلميذ . وهذا النموذج ، له قوة غير عادية ، في زرع الفكر المستهدف داخل عقل «التلميذ» الذي يستمر تابعاً للقائد، الذي يظل بدوره المرشد الروحي له ، في العديد من أمور الحياة .

وهذا الأسلوب يخلق أتباعاً يطيعون قائدهم ، ويتوزعون في كل مكان. فالهيئة تشجع تلاميذها على الاستمرار داخل كنائسهم ، ومن ثم يستمر «التلميذ» في كنيسته ، ولكنه يتبع القائد في فكره ، فيصبح سفيراً جديداً لهذا الفكر ، وهو سفير مطيع ، ومن هنا تظهر أهمية نشر الأتباع داخل الكنائس المختلفة . خاصة عندما يقوم البحارة بتلمذة قيادات الكنيسة ، ثم تركهم على الطاعة ، يعملون داخل كنائسهم ، بهذا يكسب البحارة قيادات توجه كنائسها ، لا حسب عقائد الكنيسة ، بل حسب عقائد البحارة .

لذلك فإن البحارة في مصر ، عملوا من خلال الكنيسة الإنجيلية ، بدعوى أن هدفهم مساعدة الكنيسة على التعليم ، والنهضة الروحية . أما الواقع ، فهو أن البحارة استطاعوا خلق أتباع لهم في كل ركن من أركان الكنيسة ، وعبر ١٥ عاماً . وفي البداية كان العمل يتم من خلال برنامج التلمذة ، ومع تزايد الاعتراض عليه ، أصبح العمل يتم من خلال برنامج الأزواج والزوجات . وفي البرنامج الأخير ، يقدم للمتدربين ، معلومات عن الحياة الزوجية ، وتربية الأطفال ، وغيرها ، وكلها تقوم على نفس المبادىء الأساسية «للتلمذة» . أي أن الفرق الأساسي ، وهو واضح من نشاط البحارة عالمياً ، أنهم يضعون برامج دينية فقط (التلمذة) وبرامج دينية اجتماعية

للمتزوجين ، والمحالين للمعاش والأطباء ، وهكذا .

ولعل أثر التلمذة الحقيقية ، كما تسمى ، يظهر فيما يقال عن أن نبيل جبور ، قد تلمذ القمص زكريا بطرس ، راعى كنيسة مارمرقس فى مصر الجديدة، ومارجرجس بمنشية التحرير ، والذى تم إبعاده عن مصر ، متهماً بالتبشير فى عام ١٩٨٩ . وبغض النظر عن مدى صدق هذه القصة ، فهى تعنى أن كسب «تلميذ» داخل كنيسة بروتستانتية أو أرثوذكسية ، هو الطريق إلى محاولة تغيير فكر هذه الكنيسة . وإذا كان «التميذ» قائداً ، وزعيماً روحياً ، فإن الآثار التى يمكن أن يتركها على كنيسة بل كنائس ، لا يمكن أن تقاس .

من ناحية أخرى ، فإن فكرة التضاعف لهاأهميتها ، فهى تعنى أن على القائد أن يتلمذ أكثر من شخص ، ثم على كل تلميذ أن يتلمذ آخرين . وفى أحد النماذج، يمكن أن نفرض أن القائد يتلمذ ٨ أفراد ، وكل منهم يتلمذ ٨ أفراد ، وهكذا ، ولنا أن نحصى العدد المتتالى المتزايد ، وهو ١ ، ٨ ، ٦٤ ، ٥١٢ ، ٤٠٩٦ ، وهكذا . وبالطبع فإن النجاح لا يحدث دائماً بهذه الصورة ، ولكن الفكرة فى حد ذاتها ، ملفتة للنظر.

وإذا عدنا إلى أصل تكون هيئة البحارة ، سنجد أنها بدأت بالعمل بين العسكريين ، أى أنها تبشر بالمسيح بين العسكريين ، وتتلمذ بين العسكريين ، وتضم لها تلاميذا، تعلموا الطاعة، وخاصة فى جيش الولايات المتحدة الأمريكية ، أكبر جيوش العالم ، والذى يحارب فى مشارق الأرض ومغاربها ، من بنما إلى الخليج العربى . ولا تعليق ؟ ! .

المعسكر الصليبى للمسيح:

إن وجود هيئة المعسكر الصليبى للمسيح[٩] ، فى مصر ، لتمارس نشاطها من سنوات عديدة ، يلقى العديد من التساؤلات . إن هذه الهيئة تدعى أنها تساعد الكنيسة المصرية ، خاصة الكنيسة الإنجيلية (المشيخية) ، من خلال العمل مع الطلبة، والتنمية الروحية للشباب . وفى هذا الإدعاء فإن الهيئة تؤكد ، أنها تعمل لتحقيق أهداف الكنيسة المحلية، كذراع مساعدة لها . وعند هذا الحد، فإن الصورة تبدو عادية، وإن كان قدوم هيئة من الخارج، لمساعدة الكنيسة المحلية، فى نشاطها

الدينى، يعد أمراً غريباً.

إن العديد من الهيئات الأصولية التبشيرية، تعمل فى مصر، والوطن العربى، مثل معظم أرجاء العالم. ولكن الجديد فى هذه الهيئة، أنها تعمل فى مصر منذ سنوات عديدة، ولم يثر حولها أى تساؤل. ومع كل ذلك، فالجديد أيضاً وبخلاف هيئات أخرى، أن هيئة المعسكر الصليبى للمسيح، تمثل إحدى هيئات لا الأصولية، بل الأصولية الألفية التدبيرية، فكيف ؟

لنقرأ فى ملف هذه الهيئة، والذى نشره المجلس الوطنى لكنائس المسيح فى أمريكا[١٠] ضمن دراسة تحذر من تيار الأصولية الصهيونية، والأصولية التبشيرية (الحركة الإنجيلية). والتحذير هنا، وفى الأساس موجه لأمريكا، والعالم، وينادى الكل بأن يدركوا حجم المشكلة، حتى لايأتى اليوم، الذى يحكم فيه هؤلاء، أمريكا، أو العالم. لنقرأ، إذن، ولكن قبل القراءة، يفضل أن نعرف أن المعلومات التالية ، فى معظمها غير معروفة فى مصر. وكذلك فمن غير المعروف أن هيئة المعسكر الصليبى تؤمن بالملك الألفى.

إن هيئة المعسكر الصليبى للمسيح، تمثل واحدة من الهيئات الأقدم والأكبر ، والأكثر ثراء، من بين المؤسسات التى تتبنى الاتجاه السياسى المحافظ، والأصولية المسيحية. وقد انشئت هذه الهيئة فى عام ١٩٥١، ومازالت تعمل بقوة فى جميع أنحاء العالم، وقد تأسست الهيئة ، على يد الرجل، الذى مازال يدير مؤسسة تعمل بـ ١٠٠ مليون دولار، وهو بيل برايت[١١] . وتعد هيئة المعسكر الصليبى، من المؤسسات التى اشتهرت بأنها لاتتبع كنيسة ما .

ومع بداية عمل الهيئة، فى مرحلة الحرب الباردة، أكدت كثيراً على أهمية محاربة الشيوعية. كذلك فإن الهيئة، تركز على فكرة نهاية العالم، والملك الألفى. إن هال لندسى، مؤلف أكثر الكتب مبيعاً فى العالم، والذى يؤمن بلاهوت نهاية العالم سنة ٢٠٠٠، وقيام الملك الألفى، من خلال عودة اليهود، هذا الكاتب، خدم كأحد العاملين فى هيئة المعسكر الصليبى لمدة ٨ سنوات.

إن كتاب لندسى «الراحل كوكب الأرض العظيم» يعد الكتاب الكلاسيكى

(النموذجى) للاهوت هرمجدون، ولندسى، عضو فى «التحالف من أجل الحركة الدينية» وضيف على البرامج الأصولية التليفزيونية والإذاعية.

وبسبب نزعتها القومية، واتجاهاتها المعادية للشيوعية، فإن هيئة المعسكر الصليبى، اشتركت فى مواجهة المظاهرات المعادية للحرب فى معسكرات طلبة الجامعة. وشجعت أرسال المرسلين للعمل بين أفراد القوات العسكرية فى الستينات. وتدعم الهيئة السفارة المسيحية بواشنطن، والتى تقوم بتنظيم مجموعات صلاة ودراسات كتابية، لأفراد القوات المسلحة، وأعضاء الكونجرس والبنتاجون . كذلك فإنها تدعم السفارة المسيحية فى نيويورك، كى تصل إلى القادة الدوليين، فى الأمم المتحدة. ويقول أحد مسئولى الهيئة، إن كل اهتمامها ينصب على الحياة الشخصية للشخصيات العامة، وأن المشاركين لهذا النشاط، يمثلون كل الأحزاب السياسية.

ولهيئة المعسكر الصليبى، نشاط واسع فى أمريكا اللاتينية، وهى غالباً ما تستخدم اسم «الفا واى أوميجا»[١٢] فى هذه المنطقة . وفى تقرير عام ١٩٨١، عن أمريكا اللاتينية ، تؤكد الهيئة أنه برغم خطورة الشهادة للمسيح فى العديد من المناطق فى أمريكا اللاتينية بسبب الفلسفات الماركسية، استطاع الطلبة اكتشاف طريق لتوصيل الرسالة، وفى الأكوادور استطاع الطلبة إقامة حملات، للصق حوائط معسكر الطلبة الجامعى، بالملصقات، والدخول فى الفصول وتقديم خطب تبشيرية فى الصباح، وغيرها.

ومن أهم المواد التى تستخدمها الهيئة، فيلم يسمى «يسوع» ، ويقال إنه من خلال هذا الفيلم، تم توصيل الرسالة إلى أكثر من ١٠٠ مليون شخص. ويقوم نيلسون بانكر، بتغطية تكاليف الفيلم، وهو بليونير، وكان فى الستينات، أغنى رجل فى العالم، وأحد المشاركين فى الحملة العالمية ضد الشيوعية. كذلك أحد الأسماء المتورطة فى فضيحة كونتراجيت فى عام ١٩٨٧، وهو «هانت»، أعطى لهيئة المعسكر الصليبى، ملايين الدولارات، لأنه يرى أنهم يعرفون كيف يؤدون المهمة كاملة، وبكفاءة. وفى المقابل، فإن بيل برايت شكر هانت، وقال إن إسهامه لإكمال الإرسالية العظمى، هو من أهم الإسهامات فى وقتنا الحاضر.

لقد استطاعت هيئة المعسكر المسيحى، أن تصبح الأكثر شهرة، من حيث قدرتها على الوصول الى معسكرات الطلبة (تجمعات طلبة الجامعة عموماً) بأشكال مختلفة، منها عن طريق إنشاء هيئات رياضية مثلاً، ومن خلال هذه الهيئات، يتم التبشير بالمسيح، من خلال أسلوب عدوانى (اقتحامى) فى التبشير، يؤكد أن هؤلاء المرسلين، لايقبلون كلمة «لا» كرد على رسالتهم.

وقد عرف بيل برايت (وهو ضيف متردد على البيت الأبيض، خاصة فى سنوات حكم ريجان) من خلات نبذته «مهامك الأربعة كمواطن مسيحى» والتى نشرت فى عدد لايحصى من المجلات والنشرات، عبر السنين. والمسيحى المسئول، حسب رأى بيل برايت، هو الذى يصلى من أجل النهضة الروحية لأمريكا، ويصلى بدون توقف من أجل المسئولين السياسيين (القيادات العامة) الذين لايعرفون الله، وكى يخرج غير المطيعين لله، من مؤسسات الحكومة، ويحصل على معلوماته من خلال مجلة «الصوت المسيحى» وينتخب الشخص المؤمن.

وبجانب وجود مكاتب لهيئة المعسكر المسيحى فى ٧٠٠ تجمع طلابى، فإن الهيئة تعمل فى ١٥٠ دولة، كما أن لها إرساليات فى المدارس الثانوية. وجملة العاملين بالهيئة لوقت كامل أو نصف الوقت، يصل إلى ١٦ ألفاً ، وأغلبهم مطالبون بتحصيل رواتبهم، من خلال جمع التبرعات. وفى السبعينات والستينات، كانت إرساليتهم تعرف من خلال شعار «هذه هى الحياة» «لقد وجدتها» . إن بيل برايت يقول : إن العمل التبشيرى المسيحى مثل العمل العسكرى، حيث تمثل أجهزة الإعلام، القوات الجوية، التى تمهد الطريق وتعد المستقبلين، وبهذا يمكن أن تتقدم قوات المشاة، وتحتل المنطقة.

إن بيل برايت، يتميز بالميل المحافظ سياسياً، وفى عام ١٩٧٤، بارك ديكتاتور جنوب كوريا، بارك شانج هى، قائلاً إنه لايوجد ضغوط دينية هنا، إن الضغوط سياسية فقط، وأنا أؤمن أنها لسبب جيد، إن الموجودين فى السجن الآن انخرطوا فى أعمال ما كان يجب الانخراط فيها. وأيضاً ، لقد قال بيل برايت، أن حكم المحكمة العليا فى عام ١٩٦٢، والذى منع الصلاة فى المدارس، قد أدى إلى عقاب

الله، المتمثل فى اغتيال مارتن لوثر كينج، وجون كنيدى، وقيام حرب فيتنام. إن بيل برايت، صديق مقرب من رونالد ريجان، وهو المسئول عن إعلان «سنة الكتاب المقدس» والتى أعلنت خلال حكم ريجان.

إن هيئة المعسكر الصليبى، فى أمريكا اللاتينية، تمثل معارضاً أساسياً للاهوت المتمرد (وهو يمثل اليسار المسيحى المحلى فى القارة) . وعلى موظفى الهيئة، أن ينتموا إلى الكنائس المحلية، ليجعلوا المعسكر الصليبى، عضوا أساسياً فى الكنائس المحافظة والخمسينية. ولقد تم استجواب رئيس المعسكر الصليبى، فى نيكارجوا، بين عامى ١٩٨٢-١٩٨٥، من قبل حكومة الساندينستا، بالاشتباه فى تشجيعه للأعمال المناهضة للحكومة، كما أتهم بإدارة جريدة غير مرخص لها، وإدخال مبالغ طائلة للبلاد دون إعلانها، ولقد تم الإفراج عنه، ورحل عن البلاد، وأصبح يجوب الولايات المتحدة، ويتحدث عن الاضطهاد الدينى فى نيكارجوا.

ولأن الفكر الجامع للعاملين بالمعكسر الصليبى للمسيح، بسيط وسهل، يفصل بين الخير والشر، ويؤكد على النهاية الدينية للعالم، لذلك فإن اهتمامهم بسنة ٢٠٠٠، لاينازع. لذلك فمن المهم ملاحظة نشاطهم فى العشرسنوات القادمة ، كذلك ملاحظة العلاقات النامية بينهم وبين منظمات اليمين المسيحى، مثل شباب له رسالة، وهى مؤسسة أقل ميلاً للتدبيرية (إنتظار حدوث الملك الألفى بفعل إرادة الله وحدها) وأكثر قرباً من لاهوت السيطرة (العمل على إحداث مراحل الملك الألفى، بفعل من المؤمنين أنفسهم).

ألا يدفعنا ذلك، إلى البحث فى ملف هيئة شباب له رسالة، فهى تعمل فى مصر أيضاً...!! فإذا كان الفكر الألفى التدبيرى المعاصر، لايعنى الإنعزال، فماذا عن الفكر غير التدبيرى. ومن الواضح أن العمل السياسى قاسم مشترك، ولكن المؤمنين بالتدبيرية، يؤيدون ويساعدون علامات نهاية العالم ومنها إسرائيل، أما المؤمنون بلاهوت السيطرة والألفية السياسية، فهم يعتقدون أنهم لايمثلون عاملاً مساعداً، بل العامل الرئيسى فى تحقق الملك الألفى. فالتدبيرية تعنى أن على الفرد أن يسير وفق خطة الله لنهاية العالم، أما السياسة فتعنى أن عليه أن ينفذ هذه الخطة بنفسه.

شباب له رسالة :

تعمل هيئة «شباب له رسالة»(١٣) فى مصر، ومنذ أكثر من عشرين عاماً، أى منذ أواخر ستينات القرن العشرين، ونشاط هذه المؤسسة، يلفت النظر، لما لها من تأثير كبير وممتد، عبر الشباب المسيحى، كذلك فإن نشاطها فى قبرص، يمثل مركزاً مهماً، لنشر فكرها فى الشرق الأوسط.

وتعمل هذه الهيئة، بدون أى غطاء لها فى مصر، ويرتبط عملها، بممثلها ومندوبها فى مصر، منير مساك، ولا توافق معظم الكنائس المحلية على هذا العمل. فهيئة شباب له رسالة، عكس الهيئات الأخرى، لم تستطع العمل من خلال الكنائس المصرية، ولم تستطع الحصول على قبول كنسى عام، بإعتبارها هيئة مساعدة للكنيسة، مثلما فعلت هيئات أخرى. وبرغم هذا الوضع الضعيف رسمياً، إلا أن الهيئة، أثبتت قدرتها على التأثير فى مصير الكنيسة، وفى مصير الفكر المسيحى السائد فى مصر.

فبرغم رفض الكنيسة فى مصر، لعمل هذه الهيئة، إلا أن الكنيسة لم تستطع إيقاف عملها، أو حتى الحد من تأثيرها، وعبر قنوات الهيئة من القيادات المسيحية المؤمنة بكفرها، يتاح لها اختراق الكنيسة، وبث فكرها.

ومن خلال التأثير على كنيسة، ينتقل الأثر إلى الكنائس الأخرى، وهو عادة يبدأ بالكنائس البروتستانتية، وينتقل إلى الكنائس الأخرى، تبعاً لاستراتيجية الاختراق.

وكى نعرف المزيد عن هذه الهيئة، نقرأ ملفاً عنها، قدمه المجلس الوطنى لكنائس المسيح بالولايات المتحدة الأمريكية(١٤)، والممثل للقوى البروتستانتية الليبرالية، ومنها الكنيسة المشيخية الأمريكية.

بدأ عمل هيئة شباب له رسالة فى عام ١٩٦٠، وبدأ أول برنامج تدريبى لها فى عام ١٩٦٩. وتملك المؤسسة الآن، أكثر من ١٠٠ مركز تدريبى، فى ٥٠ دولة، ومن بين مؤيديها، عبر السنين، بيل برايت (المعسكر الصليبى للمسيح)، وفى مناسبة مرور ٢٥ عاماً على المؤسسة، قال رونالد ريجان إن للمؤسسة سمعة كبيرة، بما لها من دور فى نشر الأخلاق والقيم الدينية التى قادت أمتنا.

وتدير هيئة شباب له رسالة جامعة آسيا والباسفيك المسيحية فى هاواى، وتحاول إنشاء جامعة مسيحية مستقلة فى كانبرا، فى استراليا، بجانب مدارس أخرى مرتبطة بها فى استراليا. ويرى مدير الهيئة، أنها لم تهتم بما إذا كانت شهادة المدرسة معترفاً بها، لأن الهدف الرئيسى لمناهجها، ليس إعداد الطلاب مهنياً، للعمل فى الوظائف العلمانية. فالهيئة غير مهتمة، بالاعتراف الحكومى. وهذا الرفض، للاعتراف الحكومى، يرتبط برفض المعايير العلمانية، كجزء من لاهوت السيطرة (السلطان)، المؤمن بأن على المسيحى أن يعمل بنفسه على إقامة الملك الألفى.

ولقد اتهمت هيئة شباب له رسالة، بأنها تستغل حالة اللاجئين، فى جواتيمالا، لكى تقوم بعملها التبشيرى، كذلك اتهمت بمحاولة تغيير الفكر والعقيدة، داخل معكسرات اللاجئين فى تايلاند، ولقد تم القبض على ممرضة تتبع هيئة شباب له رسالة، فى موزمبيق، بمعرفة القوة العسكرية المعادية للحكومة، رينامو، وعند الإفراج عنها فى عام ١٩٨٧، تم إجراء مقابلة صحفية معها، وفشلت فى إدانة مختطفيها، ولم تستطع تأكيد انتمائها لهيئة شباب له رسالة.

كذلك، فإن هيئة شباب له رسالة، تدعم سفينة (١٧٣ قدماً) تعرف باسم «السامرى الصالح» وتقوم السفينة برحلات فى أمريكا الوسطى، وموانى الكاريبى، وتحمل السفينة معها، المساعدات الطبية، وإنجيل يسوع المسيح، للمناطق التى تتعرض للكوارث، والأزمات الاقتصادية.

وسفن الرحمة، تقودها «المجناكارتا المسيحية» والتى أنشئت فى عام ١٩٨١، من خلال قيادات شباب له رسالة، والتى أمنت بأن كل شخص على الكرة الأرضية، يجب أن يسمع إنجيل يسوع المسيح، ويتوافر له الكتاب المقدس بلغته المحلية، ويتوافر له مربى مسيحى لأطفاله، وتتوافر له المتطلبات الأساسية للحياة، ويعيش حياة منتجة فى كامل الملىء الروحى، عقلياً واجتماعياً، وانفعالياً وجسدياً.

وفى يوليو ١٩٨٧، وفى المؤتمر الكاريزماتى، كان لهيئة شباب له رسالة دور واضح. حيث بدأت تعين الأشخاص، فى إرساليات لمدة عامين، على سفنها أو فى نشاطاتها الأخرى. ومن خلال الإيمان الحرفى بالإرسالية العظمى، وعدت هيئة

شباب له رسالة، الشباب، بأن الله سوف يمهد لهم الطريق ليعملوا، ووضعوا لذلك رمزاً من حرفين (G O) ويعنى الفرص الشاملة، ويتضمن دليلا للوظائف والعقود حول العالم. ومن اللافت للنظر، أن العديد من العقود الدولية، التى وضعت فى القائمة كانت تحتوى على ملاحظة مفادها «لاتذكر شباب له رسالة فى العنوان» وهناك من يعرفون أهمية السرية، ويؤمنون بأن شباب له رسالة، هيئة تستحق التأييد، وتستحق الانضمام لها.

والأمر الواضح، أن مثل هذه العقود والوظائف، ليست إلا الغطاء الرسمى، الذى يتيح لفرق شباب له رسالة، الوصول إلى الدول المختلفة، والعمل بها، فى أعمال عادية، مع إخفاء دورهم كمرسلين لهيئة شباب له رسالة، وبذلك يتاح لهم العمل فى سرية كاملة، وهو شكل من التبشير الذى يعرف باسم «صانعى الخيام».

وإذا كانت هيئة شباب له رسالة، تؤمن بالملك الألفى، وإذا كانت لا تؤمن بالتدبيرية، أى انتظار تحقق هذا الملك دون تدخل من المؤمنين، وإذا كانت تؤمن بأن على المؤمنين التمهيد لقيام الملك الألفى، أى أنها تؤمن بأن عليهم أن يساعدوا إسرائيل، ويسهلوا عودة يهود الشتات ومنهم اليهود السوفييت، ويساعدوا فى بناء هيكل سليمان، كذلك فى هدم المسجد الأقصى، إذا كان كل ذلك صحيحاً، فماذا تفعل هذه الهيئة فى مصر ؟!!

هل تنادى بهذه الأفكار ؟ هل تحاول إقناع المسيحيين فى مصر بها ؟ هل تبحث عن تأييد المسيحيين لإسرائيل ؟ هل تعمل على تبشير المسلمين؟ وعشرات أخرى من الأسئلة، تبحث عن إجابة مقنعة، ولكن الواقع قد يعطى مؤشرات مختلفة.

فهذه الهيئة، مثل غيرها، تعمل بين المسيحيين، أكثر من المسلمين، وتحاول تغيير الفكر المسيحى المصرى، نحو الأصولية الأمريكية. كذلك فإنها مثل غيرها، تنشر الفكر الأصولى، فى معظم جوانبه، أكثر من ذلك الجانب الصهيونى. وتحاول كسب الشباب والقيادات ، للفكرة الأصولية، أكثر مما تحاول جذب تأييدهم لإسرائيل. وباختصار نستطيع أن نقول إن هذه الهيئات ، تعمل فى حدود المقبول، ليس لأنه مقبول، بل لأنه الممكن. أى أن نشاطها ينحصر أحياناً كثيرة فى حدود ما يقبل من

المجتمع، لأن هذا ما يتاح لها، أى لأنه الممكن . وتبقى الأهداف الأخرى، على هامش العمل، لأنها مستحيلة، وكلما أتيح لها فرصة ستجد طريقها. وعلى أضعف الإيمان، فقد استطاعت هذه الهيئة، وغيرها، رغم تطرف فكرها، وعدم ملاءمته للبيئة المصرية، أن تجد لها أتباعاً ومؤيدين وتحقق مدى واسعاً من التأثير، خاصة على الشباب، وكل ذلك فى أرض الكنانة، مصر.

الاختراق ومبدأ الممكن :

يلاحظ ، مما سبق، أن الهيئات الأصولية، تتبع مبدأ الممكن، حيث تقوم بالعمل المتاح والممكن، حسب ظروف المجتمع الذى تعمل به. وهذا المبدأ يتيح لها اختراق الكنيسة، خاصة عندما تخفى فكرها المرفوض، وتعلن الجانب المقبول. بهذا المعنى، استطاعت هيئة البحارة، العمل من خلال الكنيسة الإنجيلية فى مصر، دون أن تظهر فكرها عن «التلمذة» والطاعة، أو أى عمل من شأنه أن يهدد بناء الكنيسة، ومن خلال عملها، بدأت الجوانب السلبية فى الظهور تدريجياً، وتوقف عمل الهيئة فى النهاية، بعد أن ترك آثاره التى يصعب مواجهتها.

كذلك بالنسبة لهيئة المعسكر الصليبى للمسيح، فهذه الهيئة تعمل من خلال الكنيسة الانجيلية فى مصر، ولكن الهيئة قد أخفت فكرها الخاص بالملك الألفى ، وكذلك تأييدها لإسرائيل، وهى أمور كافية بمنع التعاون بينها وبين الكنيسة الإنجيلية، ومختلف الكنائس المصرية . حيث إن الكنيسة الإنجيلية (المشيخية) ترفض عقيدة الملك الألفى ، وما بها من مفاهيم شعب الله المختار وغيرها، ولكن الهيئة استطاعت إخفاء هذا الجانب، والعمل من خلال أفكارها الأخرى، التى يمكن أن تقبل فى مصر.

وأكثر من هذا، فإن هيئة شباب له رسالة، والتى تعمل بدون أى إطار كنسى، قد أخفت - إلى حد كبير - فكرها الذى يؤمن بالمسيحية الصهيونية السياسية (لاهوت السلطة) . فهذا الفكر يعنى أنها تساعد على إقامة الملك الألفى وتساعد إسرائيل، أى أنها تحول العقيدة إلى برنامج عمل سياسى، على عكس هيئة المعسكر الصليبى، التى تؤمن بالتدبيرية، أى أن الملك الألفى سوف يحدث بتدبير الله فقط . ولكن، وعبر السنوات الطويلة لعمل هيئة شباب له رسالة فى مصر، ظل هذا الجانب من فكرها

خافياً على أغلبية من سمع عنها، أو تعامل معها .

إن هذه السياسة من جانب الهيئات الأصولية، تسمح لها باختراق الكنائس المصرية، بعد أن تقدم لهم الجانب المقبول من فكرها، ثم تحاول التسرب تدريجياً لتكسب الأرضية والأتباع، وربما تأتى بعد ذلك لحظة مناسبة، يبدأ فيها إعلان الجزء الخفى من مضمون فكرها.

إن هذا الأمر يتكرر مع الكنيسة الإنجيلية، والكنيسة الأرثوذكسية، فى مصر. فالهيئات الأصولية التى تتعامل مع هذه الكنائس ، تخفى ما يضرها، كذلك فإن هذه الهيئات تقدم فكرها للجماهير، بالأسلوب الأفضل للنجاح، وتخفى الفكر الذى قد يحرمها من الأتباع. أما فى الكنيسة الكاثوليكية، فإن الفكر يأتى من داخلها، حيث إن سياسة الفاتيكان تميل إلى احتواء كل فكر يظهر بين الكاثوليك، حتى وإن اعترضت عليه منعاً للانشقاق .

صانعو الخيام :

واجه العمل التبشيرى، الكثيرمن المشكلات، فى الدول التى تضع العراقيل أمام التبشير، لأسباب دينية أو سياسية. وتظل هذه المناطق بمثابة تحد كبير، أمام المؤسسات التبشيرية، وأمام الهدف التبشيرى النهائى، أو«الإرسالية العظمى» أى وصول الرسالة المسيحية إلى كل العالم، مع بلوغ عام ٢٠٠٠. وأمام ذلك التحدى ابتكرت المؤسسات التبشيرية، أسلوباً سُمى بـ«صانعى الخيام» والتسمية تعود إلى الرسول بولس، الذى كان يجول يبشر فى أنحاء المسكونة، وفى نفس الوقت كان يصنع الخيام، كعمل يحصل منه على الرزق، ليوفر سبل الحياة لنفسه . وكان الرسول يرى أنه على المبشر أن يعمل لكى يحصل على المال، بجانب رسالته التبشيرية، حتى لايكون العمل التبشيرى هو وسيلة الحصول على المال، أى حتى لايكون التبشير بالأجر. ولكن الرسول بولس كان يقدم رسالته أمام الجميع، رغم كل المشكلات التى تعرض لها، أما أسلوب «صانعى الخيام» فهو يختلف عن ذلك.

ويتركز هذا الأسلوب فى قيام بعض المسيحيين من أصحاب المهن المختلفة، بترك بلدهم، والذهاب إلى أحد البلدان التى تمنع التبشير العلنى، حيث يدخل كل

منهم إلى تلك البلد، للعمل بها، من خلال فرص العمل المتاحة للأجانب، ومن خلال المؤسسات والشركات والسفارات الأجنبية، بهذا يحصل المبشر على تصريح لعمل عام، ويصبح وجوده قانونياً. وهكذا يأتى البعض، من المهندسين والأطباء والخبراء وغيرهم، وخلف قناع العمل العام القانونى، يتاح لهم أن يمارسوا العمل الأصلى لهم، أى أن يحققوا الهدف الحقيقى من قدومهم إلى هذا البلد أو ذاك.

وهؤلاء المرسلون، يحصلون على دخل من عمل آخر، ويمارسون التبشير فى نفس الوقت، ولكن الهدف ليس الحصول على أجر من عمل غير التبشير، بل الحصول على غطاء قانونى لعملهم التبشيرى. وقد تزايد إقبال المؤسسات التبشيرية، على هذا الأسلوب، نظراً لفشلهم فى إنشاء إرساليات فى عدد من الدول التى تمنع ذلك. وبهذا ، فإن مجموعة المرسلين، تصل إلى مكان عملها، حيث يعمل كل فى مجاله، ولكنهم يمثلون معاً هيئة من هيئات التبشير، وخلال عملهم الطبيعى، يبدأ العمل التبشيرى. وغالباً ما يكون ذلك، بين المتحدثين باللغة الانجليزية، وداخل بعض الأماكن التى تضم صفوة المجتمع. ولكن هذه الصورة تتغير، بالنسبة لمن يعرف اللغة المحلية، حيث يتمكن من الدخول فى مناطق كثيرة، فى الأحياء الراقية أو الشعبية، لكى يمارس عمله التبشيرى. وتظل مثل هذه الهيئات، تعمل بشكل سرى، إلى أن ينكشف أمرها، فيصدر قرار بترحيل الأجانب، وبرغم أن النتيجة النهائية غير ضارة وهى الترحيل، إلا أن بعض هذه الجماعات، على استعداد تام لمواجهة كل الاحتمالات أيا كانت، ومن الهيئات التى تستخدم هذا الأسلوب، هيئة المشاة (الصفوف الأمامية).

ومن متابعة الصحف فى مصر يمكن أن نجد تسجيلاً لإحدى هذه المجموعات ففى صحيفة الأهرام بتاريخ ١٩٩١/٤/١٤، وفى الصفحة الأولى، نشر الخبر التالى تحت عنوان «القبض على تنظيم يدعو لإثارة الفتنة»، «ألقت أجهزة الأمن أمس القبض على تنظيم يدعو للتبشير بالمسيحية وإثارة الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط فى مصر، ويضم التنظيم مواطنين سويسريين وآخر ألمانى الجنسية استأجروا شقة بشارع الرشيد بالعجوزة عثر بها على بعض المنشورات والكتيبات

التى تدعو إلى إثارة القلاقل الطائفية، كما يتردد عليهم بالشقة بعض المصريين وجار البحث عنهم».

والخبر ، على صغره، يشير إلى إحدى الهيئات التبشيرية، التى ليس لها وجود رسمى، بل التى تستخدم أسلوب «صانعى الخيام» . ولكن يبدو أن الأمر أصابه بعض الغموض، ربما نتج عن أى أفكار أصولية غريبة تعتنقها هذه الجماعة ، أو أى أسباب أخرى، وهذا الغموض ظهر فى اليوم التالى (١٥/٤/١٩٩١) فى صحيفة الأهرام أيضاً، حيث كتب تحت عنوان «إخلاء سبيل الأجانب المتهمين بالتبشير بدين غامض» وفى الصفحة الأولى من الجريدة، «أمرت نيابة العجوة بإخلاء سبيل الأجانب الثلاثة المتهمين بالتبشير بدين غامض وسط المواطنين فى الأحياء الشعبية، وترحيلهم إلى خارج البلاد بعد أن رأت النيابة أنهم لم يمارسوا التبشير. وكانت النيابة قد استمعت أمس إلى أقوال أفراد التنظيم حيث قرر أولهم أنهم لم يقصدوا الإساءة إلى الإسـلام».

ومن هذا يتضح، أن هذه المجموعة هى من المجموعات التى تتكلم باللغة العربية، وهو ما يمكنها من العمل فى الأحياء الشعبية، كما يتضح أيضاً، أنهم كانوا يتكلمون عن الإسلام وعقيدته، كمدخل للحديث عن المسيحية، وهو ما يحدث غالباً عن طريق محاولة تشكيك الفرد فى عقيدته حتى يسهل إقناعه بالعقيدة المسيحية.

وتتضح الصورة أكثر، من اعترافات هذه الجماعة، فى نفس الجريدة (الأهرام ١٥/٤/١٩٩١) وفى الصفحة ١٥، حيث «قرر المتهم الأول استيفان وولتر «سويسرى الجنسية» بأنه حضر إلى مصر منذ عامين لدراسة اللغة العربية مع مواطنه رولاند جريسر والألمانى مايكل جوزيف، واعترف بأنه كان ينزل إلى التجمعات الشعبية ويتحدث مع الناس باللغة العربية التى يجيدها إيماناً منه كمسيحى بتعريف الناس بعقيدته بدعوى تخليص البشرية من مشاكلها، وزعم أنه يحب الشعب المصرى ويرغب فى تخليصه من كل مشاكله وقال انه لم يكن يريد أن يسيىء إلى الإسلام، وأن ما فعله لم يقصد منه التعدى على السلطات المصرية» والصورة واضحة فهم مجموعة من صانعى الخيام، يعرفون العربية، ويبشرون بالمسيحية فى الأحياء الشعبية، من خلال

توجيه النقد للعقيدة الإسلامية، بالحوار والكتب، وتقديم المسيحية كعقيدة بديلة، سوف تساعد من يؤمن بها على حل مشاكله.

الأصولى الخطر :

فى داخل الحركة الأصولية الأمريكية، قد يتصور البعض أن التجانس سائد. ولكن الحقيقة غير ذلك، فالحركة الأصولية، أو حسب تسميتها الأمريكية الحركة الإنجيلية، تمثل إطاراً اجتماعياً وتاريخياً يضم العديد من المنظمات والمؤسسات والرموز، وتتجمع كل هذه العناصر، من خلال تشابهها واشتراكها فى عدد من المفاهيم ، وأيضاًمن خلال أهدافها المشتركة. ولكن هذا لايمنع وجود اختلافات مؤثرة فيما بينها وأيضاً لايمنع من وجود صراعات بين منظمة وأخرى، أو عدم وجود رغبة فى التعاون بين طرفين. وهو ما يضعف الحركة ، ويقلل من سرعة انتشارها . فالجمع الجبرى لكل عناصر الحركة معاً، يؤدى إلى نتيجة مفادها قوى توازى ٤٠٪ من المجتمع الأمريكى، ولكن الصراعات والخلافات، والسلبيات الداخلية للحركة، تفتت هذه الكتلة، وتضعف تأثيرها.

وإذا كانت الحركة الأصولية، تعيش الصراع مع العلمانية، وتعيش الصراع مع الليبرالية واليسارية المسيحية، فإنها أيضاً تعيش صراعاً داخلياً بين الأصولى، والأكثر أصولية، أو بين التطرف داخل الأصولية، التى تعد بالنسبة للمجتمع العلمانى تطرفاً فى حد ذاتها. ولعل هذا ليس حكراً على الحركة الأصولية الأمريكية، لأن معظم الحركات الجذرية (الراديكالية) والحركات المحافظة المتشددة وغيرها، تعانى من انشقاق البعض، بداخلها ، إلى تيار جديد أكثر تطرفًا، فللتشدد تشدد أكثر منه، وللمتطرف تطرف أكثر منه. لهذا نجد فى العديد من نماذج الحركات الدينية عبر التاريخ والأديان، والمكان ، مشكلة تزايد الغلو، الذى يجعل من متطرف الأمس ، معتدل اليوم، ويخلق بذلك لكل تطرف، تطرفاً أكبر.

والحركات الأصولية المتشددة، تمثل بالنسبة للخط العام الأصولى، مشكلة متعددة الأبعاد، فهى أولاً تفقده تماسكه، كما أنها تسحب منه جزءًا من جماهيره وأتباعه. كذلك فإن تلك الحركات المتشددة، تخلق تصوراً عاماً، قد يسود فى المجتمع،

عن الحركة الأصولية عامة، وهو تصور تنقصه الكثيرمن عناصر الجذب، وتتزايد به عناصر التنفير. فى هذا المناخ، نتصور حدوث صراع بين الخط الأصولى العام، والحركات الصغرى المتشددة، وهو ما يحدث بالفعل. وإن كانت فاعلية الصراع محدودة، فغالباً ما يفشل أى طرف فى حسم الصراع لصالحه، ولهذا نجد استمرار الانشقاقات، واستمرار ظهور حركات جديدة أكثر تشدداً، أو بتعبير آخر أكثر خطورة.

وعندما نصف حركة دينية أصولية، بأنها خطرة، يتصور البعض أن هذا الوصف نابع من خلفية علمانية، ولكنه فى الحالة التى نحن بصددها، نابع من خلفية أصولية، فكيف ؟ فى أمريكا. توجد حركة تسمى «كنيسة المسيح ببوسطن»(١٥) ، وهى إحدى حركات التيار الأصولى الأمريكى. ولكن إحدى المجلات التى تنتمى إلى التيار الأصولى المعاصر، تناولت كنيسة المسيح ببوسطن مؤكدة(١٦) أنها تسلطية وخطيرة، وأنها تفرض العديد من الواجبات على الفرد، وهذه الجوانب الخطرة، تظهر فى عدد من الممارسات التى تتبعها كنيسة بوسطن، ومنها :

١- عزل أعضاء الكنيسة عن أسرهم.

٢- فرض ضغوط شديدة على أهمية نجاح الفرد فى التبشير.

٣- استخدام برامج تلمذة بين فرد وآخر، وهى تعنى أن يقوم القائد بتلمذة عدد من الأشخاص على الطاعة، ويعلمهم بأسلوب ثيوقراطى، ثم يقوم التلاميذ كل على حده بتلمذة آخرين.. وهكذا.

وكنيسة المسيح ببوسطن، تمتاز بتزايد عدد أعضائها بصورة مذهلة، فقد بدأت الكنيسة فى عام ١٩٧٩، بعدد أعضاء لايتجاوزر ١٠٠ عضو، وفى ديسمبر ١٩٨٠، كان عدد الحاضرين لخدمة يوم الأحد، أكثرمن ٢٥٠، واليوم يحضر أسبوعياً أكثر من ٣٣٠ شخص. وبالإضافة لذلك، فإن أكثرمن ١٣٠٠ شخص قد تم تعميدهم طبقاً لعقيدة كنيسة المسيح ببوسطن، فى الكنائس التى أقامتها الحركة فى خمس قارات، منذ عام ١٩٨٢(١٧) .

وتختلف كنيسة المسيح ببوسطن[١٨] ، عن كنائس المسيح الأخرى، بسبب أنها جزء من الحركة التى تسمى «الإرساليات المتضاعفة»[١٩] . وكنائس المسيح الأخرى من خارج هذه الحركة ترى أن كنيسة بوسطن تختلف لأنها لاتترك مساحة لحرية الضمير، والنمو الذاتى للتجمع (الكنيسة). والسبب فى ذلك، أن كنيسة بوسطن ومن خلال نظام «التلمذة» تفرض قدراً عالياً من الطاعة على الأتباع، بجانب أنها تنظم الأعضاء فى جماعات، لكل منها قائد، والطاعة للقائد حتمية. كذلك، فإن هذه الكنيسة تعزل الشخص تماماً عن الكنائس الأخرى، وعن الأسرة، وربما عن الحياة العملية، حتى تعاد تربيته وتعليمه على أساس فكرها، دون أن يسمح لأحد ، بأن ينقد الفكر أو يغيره.

إن هذا النمط السلطوى ، ينقد فى كنيسة بوسطن، ومن الحركة الأصولية نفسها ، ولكن السؤال الذى تطرحه هذه القضية، هو هل تختلف عناصر الحركة الأصولية الأخرى، والأقل تطرفاً، عن هذا النمط، وهل الاختلاف فى النوع أم الكم ؟ إن الواقع يؤكد، أن التلمذة والتبشير، والانعزال الشعورى عن «العالم» (الشر)، كلها من أهم ملامح الأصولية، والاختلاف فى النهاية، قد يكون فى الدرجة.

لماذا جاءوا إلى مصر ؟

إن ظهور حركة أصولية فى دولة ما ، ليس أمراً غريباً، بل قد يكون الغريب ، ألا توجد مثل هذه الحركات، ففى كل المجتمعات تسود بعض الأيديولوجيات، ومنها أو بسببها، تظهر حركات معارضة لها، أو متشددة فى اتجاهها، تتسم عادة بالتطرف، أى الاختلاف الكبير عن معظم أعضاء المجتمع، وهو وضع ثابت علمياً ، حيث إن معظم الدراسات أكدت أن هناك، فى كل مجتمع، فكرا شائعاً، وآخر متنحياً، والآخر هو الأكثر تطرفاً، أى بعداً عن النمط السائد فى المجتمع.

والظاهرة، إذن ، طبيعية، ولكن هناك ظاهرة أخرى، تلفت النظر، وهى تصدير الحركات الدينية الأصولية، فهل هذا ممكن ؟ أو جائز؟ للإجابة عن ذلك ، يمكن أن نطرح عدداً من الإحتمالات :

أولاً : يمكن أن تصدر الحركة من دولة إلى أخرى، فتصبح جسماً غريباً فى الدولة

المصدر لها، وفى هذه الحالة، فإن الحركة لاتنمو، بل تظل مجرد جسم محدود الحجم والدور .

ثانياً : يمكن أن تصدر الحركة، وتجد فى الدولة المصدر لها، أرضية ملائمة لها، وأتباعاً محتملين، فتعمل من خلال هذه الأرضية، وتنظمها، فتكون فاعلة.

ثالثاً : يمكن أن تصدر الحركة، فتجد تجاوباً كبيراً ، مما يشير لوجود حركة مماثلة لها، ولكن كامنة فى المجتمع المُستَقبِل، وهنا يكون للحركة الوافدة، دور العامل المساعد على تنشيط الحركة الكامنة.

خلاصة ما سبق، أن الحركات الدينية – فى النهاية – لاتصدر أو تستورد، فبرغم أن ذلك يحدث إلا أن فاعليته الحقيقية، تتوقف على مدى ملاءمة الحركة الوافدة للمجتمع المُستَقبِل لها، وتصبح الحركة الوافدة، عاملاً مساعداً .

ولكن، إذا كانت الحركة الوافدة، لاتخلق حركة من عدم فى المجتمع المستقبل لها، فإن الحركة الوافدة، تقوم بالفعل بدور مهم، وهو إستثمار كل الاستعدادات الكامنة فى المجمعات، لكى تخرج منها حركات مماثلة، وتابعة لها. بمعنى آخر، فإن الحركة التى تصدر فكرها، تصبح «المركز» وتستثمر الاستعدادات الكامنة فى الدول الأخرى، لتنشىء منها «أطرافاً» لها.

ولعل التساؤل، أو الدهشة، لايزالان، فلماذا تحتاج حركة دينية، تخرج كاستجابة لظروف مجتمعها، إلى أطراف وأتباع لها فى أنحاء المسكونة ؟! والسؤال يحتاج لمزيد من الدراسة، لذلك نكتفى بإجابة بسيطة، ولا نقول مبسطة. فالحركة الدينية، تطرح مشروعها، وتواجه عقبات داخل مجتمعها، فتطرح مشروعها بصورة عالمية، فتواجه عقبات أكثر، ولكن يتاح لها مجالات أكثر للعمل، مما يجعل تحقيق النجاح المرحلى أكثر احتمالاً، وإن كان تحقيق النجاح النهائى يصبح أقل احتمالاً.

وهذه المقدمة ، تقودنا إلى السؤال الرئيسى، فلماذا جاءوا إلى مصر ؟ أى لماذا جاءت كنيسة المسيح ببوسطن إلى مصر؟ نعم، للبحث عن ميادين جديدة للعمل، وأتباع جدد، وأطراف جديدة وممثلين عبر أنحاء العالم. وهذه الشبكة، فى النهاية ، تعطى للحركة قوة لايمكن إنكارها، ليس على مستوى العالم فحسب، ولكن داخل

أمريكا نفسها. فمن خلال نشاط الحركة فى العديد من الدول، تعطى لنفسها مصداقية أمام الأفرع الأخرى للتيار الأصولى، وأمام المجتمع الأمريكى عامة.

ولكن كيف جاءوا ؟ وأحداث القصة عادية، وربما متكررة، حيث سافر شاب مسيحى مصرى إلى الولايات المتحدة الأمريكية، للدراسة فى جامعة هارفارد، وحصل على بكالوريوس الطب، وبدأ فى الدراسات العليا. وهو شاب نابغ، وشديد الذكاء، والتفوق، وهو ماأتاح له الدراسة فى جامعة هارفارد. وبعد تخرجه وجد العديد من فرص العمل، ومنها فرصة جيدة داخل الجامعة، أو عن طريقها. وذلك بسبب نبوغه وتميزه الدراسى. وبدأ العمل، ولكن أحداثاً جديدة، ظهرت على سطح الحياة، فقد تعرف على جماعة بوسطن، أو تعرفت الجماعة عليه، وانضم لها، وترك الطب، والعمل، والنبوغ، أى ترك كل شىء، ترك «العالم» . وبدأ يتجه بكل نشاطه وجهده إلى جماعة بوسطن.

والعضو الجديد أصبح فرصة جديدة، وجيدة للجماعة، فبعد أن تتلمذ داخل الجماعة، وأمن بأفكارها، وقبل شروط الطاعة والولاء، أصبح عضواً فاعلاً، وأصبح عليه أن ينتقل من دور المستقبل إلى دور الراسل، ولأنه مصرى، فهو فرصة جيدة أمام الجماعة، كى تنشىء فرعاً جديداً، فى أحضان وادى النيل، وهكذا جاء هذا الشاب إلى مصر.

وفى مصر ، بدأ العمل عن طريق تقديم الرسالة للآخرين، وكسب أعضاء جددا، وتلمذتهم على فكر الجماعة ، والطاعة لها، وكان على الجماعة أن تقدم فكرها إلى عدد أكبر، والطريق إلى ذلك ، سهل وميسور، مادامت الإمكانات موجودة، ففى أحد فنادق الخمس نجوم، وفى إحدى قاعاته الفاخرة، كان موعد اللقاء بين الجماعة وبعض الشباب المسيحى، ولم يكن اللقاء سرياً، بل علنى، ومعلن للجميع. ففى إحدى الصحف القومية، واسعة الإنتشار، وفى باب الإجتماعيات، تظهر إعلانات عديدة،ومنها إعلان عن محاضرة دينية، أو روحية، فى أحد الفنادق لأحد الوعاظ المشهورين، أو غير المشهورين، والدعوة عامة للجميع، وموضعها شيق غالباً، ويدور عن القوة الروحية، والمعجزات، وغيرها. وبسبب الإعلان، أو بسبب مكان المحاضرة

الفاخر، أو بسبب معرفة البعض لما وراء الإعلان، يتدفق عدد من الشباب، وراء هذه الخبرة الجديدة. وهناك، يكون الوعظ، وتوزع النبذ ويتم التعرف على الأسماء، ثم تبدأ مرحلة المتابعة، فيقوم قادة الجماعة، بمتابعة بعض الحاضرين والاتصال بهم، وتقديم معلومات عن الجماعة، بصورة تدريجية حذرة. وبالطبع هناك من لهم استعداد لتقبل الرسالة الجديدة، ويتزايد أعضاء الجماعة.

وكل عضو جديد، يجب أن يتعمد مرة أخرى، فأى عماد سابق فى أى كنيسة أخرى، لايعترف به . والعماد، طقس كنسى يمارس، كإعلان وفعل، عن إيمان الفرد وإنضمامه للكنيسة، ودخوله فى جماعة المؤمنين، والبعض يعمد الأطفال، وهو السائد بين كل الطوائف المسيحية الرئيسية (الأرثوذكس، والكاثوليك، والبروتستانت)، أما عماد الكبار، أى العماد بعد مرحلة النضج، والتى يعلن فيها الفرد إيمانه، فهو شائع بين بعض الطوائف البروتستانتية الفرعية، والحركات الهامشية.

أما أين كان العماد، فكما يقال، فى منزل الشاب المصرى، مندوب الجماعة، وكان على الجماعة أن تبحث عن مكان للعبادة، فقامت بتأجير كنيسة، أى استخدام كنيسة تابعة لجالية أجنبية فى عقد اجتماع إسبوعى. وهكذا، كانت الجماعة تأخذ طريقها للاستقرار، ولكن الكنيسة الإنجيلية المصرية تنبهت للأمر، وكذلك تنبهت أجهزة الأمن، وأتفق الجميع على أهمية إنهاء عمل هذه الجماعة، فتم ترحيل الأجانب، والضغط على الشاب المصرى ليرحل. ورحل الجميع، ولكن تركوا آثارهم، وأتباعهم، وبقايا فكرهم، وقد تتجمع هذه الأشياء، أو تستمر فى العمل فى الظلام وببطء ، أو تـزول.

قد يكون فى القصة تفاصيل ناقصة، أو تفاصيل غير دقيقة، ولكن فى النهاية، فإن كنيسة المسيح ببوسطن، أرسلت مجموعة من الأجانب مع شاب مصرى، وهو محسن حبيب، لتنشىء فرعاً لها فى مصر، ونجحت فى البداية. ولكن معظم جهودها تحطمت على صخرة الكنيسة الإنجيلية المصرية، وأجهزة الأمن، أما ما تبقى منها فقد يكون مجرد ذكرى أو قد يكون نواة، تثمر فى وقت أو آخر.

وبرغم أن كل ما يقال، ليس دقيقاً تماماً، ولكن نجاح الجماعة، برغم شدة

تطرفها، وتقديمها مساعدات فعليه وعملية لمن ينضم لعضويتها، وقدرتها على إقناع الأخرين، كل ذلك يشير إلى وجود استعداد كامن فى المجتمع، استطاعت الجماعة استثماره . فهى ليست دعوة عامة، بل تنظيم دينى، يعتمد على التنظيم الهرمى، والخلايا العنقودية، وارتباط كل تابع بقائد، وطاعته لا من خلال نظام التلمذة. ولعل هذاالملمح السرى ، يمثل عائقاً أمام الجماعة فى الوصول للأتباع، أحياناً، ولكنه فى أحيان أخرى يمثل عامل جذب، لفئة من الشباب، التى تعانى، وتبحث عن الملاذ.

وفى النهاية، وبرغم أن كنيسة المسيح ببوسطن، توقفت فى مصر، حسب رؤية الكنيسة وأجهزة الأمن، حيث يفترض ترحيل الأجانب، وخروج محسن حبيب من مصر، شبه منفى، وإن كان قد عاد إليها للزواج فى شتاء عام ١٩٩٠، إلا أن إعلاناً فى صفحة الاجتماعيات بجريدة الأهرام، فى ١٩٩٠/٤/٢٠، يلفت النظر إلى نشاط هيئة مسيحية أمريكية، والإعلان يروى لنا، كيف تأتى هيئة أصولية، وتعمل وتحقق نجاحاً ما فى جذب أعضاء جدد لها، داخل مصر. وكل ذلك يتم ، ببساطة، عن طريق إعلان، ومحاضرة فى فندق خمس نجوم، وقد يكون الإعلان لهيئة أخرى، وهى «العلم المسيحى» وهى من الحركات المنشقة على كل الطوائف، وتعمل فى مصر، منذ زمن بعيد. أو قد يكون الإعلان لكنيسة بوسطن، أو غيرها . وتحت عنوان «اكتشف القوة الروحية الكافية فى الإنسان» يقول الإعلان «عنوان محاضرة سيلقيها بالإنجليزية السيد روبرت ميتشل سى إس بى من سكتلندا عضو بمجلس المحاضرات لكنيسة المسيح الأولى العلمية ببوسطن بولاية ماساشوستس بالولايات المتحدة الأمريكية، ان الناس بكل أنحاء العالم يسعون للتعبير عن قوتهم البشرية الكامنة ولكنهم يتركون أهم شيء من حسابهم وهو قوتنا الروحية الحقيقية باعتبارنا أبناء الله وتحكى لنا المحاضرة كيف تحررت إمرأة من حالة تصلب الأنسجة العضوية كما تروى كيف شفى شاب من مرض خطير بالمخ مساء يوم الجمعة ٢٠ إبريل الساعة ٨٫٣٠ مساء والترجمة للعربية ٩٫٤٥ مساء بقاعة فيردى بفندق ماريوت الزمالك الدعوة عامة».

الألفيون فى مصر :

لعل قضية الايمان بفكرة الملك الألفى، فى مصر، أو فى دولة عربية، تعد أحد

الموضوعات الشائكة، لما لها من رؤية دينية معقدة، وأحياناً غير مفهومة، وأحياناً أخرى متعارضة مع نفسها. فالمؤمنون بالملك الألفى فى مصر، يواجهون إشكالية الصراع لا بين إسرائيل وفلسطين فقط، ولكن بين إسرائيل ومصر أيضاً. ويزداد الأمر تعقيداً، عندما نعلم أن الألفيين الغربيين، يروا إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، فكيف يراها المصرى، وهل يمكن أن يؤمن المصرى بحق إسرائيل فى أرض مصرية، ناهيك عن العربية ؟

إذا توقع القارىء إجابة مباشرة وسهلة لهذاالموضوع، فهو مخطىء. فالفكر الألفى فى مصر، يقدم تصوراً معقداً، ففيه محاولة جادة للإيمان بعقيدة الملك الألفى، مع فك أى ارتباط بينها وبين القضايا السياسية المصرية، وقضايا الصراع العربى - الإسرائيلى. والبعض ينجح فى ذلك، ولكن البعض الآخر يفشل، ويترك الفكر على ما به من غموض وتعارض.

وعامة، فإن المؤمنين بالملك الألفى، فى مصر، لايؤمنون بالصهيونية المسيحية السياسية الجديدة، والتى ترى أن على المؤمن أن يعمل على تحقيق الملك الألفى، وعلى المساهمة فى تقريب ساعة نهاية العالم، والحرب العالمية الأخيرة. هذه الفكرة لاتجد لها صدى فى مصر ، لأنها تعنى أن على المؤمن أن يساعد إسرائيل، كى تقيم دولتها ، وتجمع يهود الشتات، وتمتد فى الأرض العربية. وعلى أية حال، فإن فكرة تحويل عقيدة الملك الألفى إلى برنامج عمل سياسى، تعد فكرة معاصرة وأمريكية، ظهرت منذ ستينات القرن العشرين. أما عقيدة الملك الألفى كما ظهرت فى القرن التاسع عشر، فهى تتضمن أن الله وضع خطة مسبقة لحركة التاريخ، وأنه هو الذى سينفذها، دون تدخل من المؤمنين. لذلك فإن الفكر الألفى السائد فى مصر، هو الفكر السلبى الانعزالى، والذى ينادى المؤمنين به، بالصلاة والانتظار، حتى يتحقق الملك الألفى، بفعل إرادة الله وحده.

وهذه النقطة محورية فى سلوك الألفيين، فمثلاً فى قضية هدم المسجد الأقصى وإقامة هيكل سليمان، فإن الانعزاليين (وهم المؤمنين بالتدبيرية، أى تدبير الله للتاريخ) يرون أن هذا سيحدث دون فعل منهم، مثلاً يمكن أن يسقط المسجد الأقصى بفعل

زلزال. أما السياسيون الألفيون، فيؤمنون بأن عليهم أن يهدموا المسجد الأقصى بأنفسهم، ويقيموا هيكل سليمان بأيديهم، حتى يمهدوا الطريق لعودة المسيح. وهذه الثنائية، بين الانعزالية والسياسة، توجد في الفكر الألفي المسيحي، كماتوجد في الفكر المسياني اليهودي، الذي يؤمن بأن إعادة هيكل سليمان، إحدى الخطوات الممهدة لقدوم المسيح للمرة الأولى، باعتبار أنه لم يأت من قبل حسب عقيدة اليهود.

وفي مصر، غالباً ما نجد الفكر الألفي الانعزالي (أو التدبيري) دون أن نجد الفكر الألفي السياسي، ولكن القضية لاتقف عند هذاالحد، وتظل المشكلة قائمة، بين الموقف الوطني للمصري، والموقف الديني له، بالنسبة للمؤمنين بالألفية. وتزداد المشكلة حدة، عندما يتكلم المؤمن بالملك الألفي، عن أهمية عودة اليهود، أو عن أن هذه العودة، هي علامة لآخر الزمان. ففي هذه الحالة، يصبح وجود إسرائيل، أمراً مرغوباً فيه من قبل الألفيين. ولكن ماذا عن حقوق الشعب الفلسطيني. والشعوب العربية الأخرى ؟

إن البعض يحل هذه المشكلة ببساطة لاتخلو من التعارض، بأن يؤكد أن وجود إسرائيل نابع من إرادة الله، وأنه علامة على قرب قدوم الزمن الألفي السعيد. وفي نفس الوقت، يؤكد هذا البعض، على مناصرته لحقوق الشعب الفلسطيني، وعلى تأييده لكل المواقف الوطنية ضد العدوان الإسرائيلي، هكذا !! والأمر الواضح هنا، أن هذه محاولة لإقرار العقيدة التي يؤمن بها الفرد، وإقرار موقفه الوطني في نفس الوقت، أما أي تعارض بين الموقفين، فهي ناتج عن إشكاليات، ليس للفرد يد فيها. فالعقيدة من عند الله، والموقف الوطني للمصري، هوجزء من أخلاقياته المسيحية. وهكذا يبقى التعارض واضحاً، ولكن الألفيين يتجاوزون هذا التعارض، كما يتجاوزون الحديث عنه، لأنه مشكلة بلا حل، فلا يستطيع المصري الألفي، أن يتنازل عن عقيدته، أو يتنازل عن وطنيته.

ولكن هل تظل المشكلة، مجرد ألفاظ. وجدل ؟ لا، إن المشكلة تصل أحياناً لحد المشكلة الواقعية، وإحدى هذه المشكلات الواقعية، يسردها لنا القس إكرام لمعي(٢٠) فيقول: «والحقيقة إن هذه العقيدة أثرت في وجدان من يؤمنون بها بصورة أوقعتهم

فى مآزق فكرية وأخلاقية عدة، ففى إحدى جلساتى مع طيار مسيحى (من الواضح أنه يقصد طياراً مسيحياً مصرياً) يؤمن بهذه العقيدة، صرح لى بأنه ممزق داخلياً، لأنه إذا صدر له أمر بضرب إسرائيل فسوف ينفذ الأمر ويحارب لأجل بلاده فهو وطنى يحب بلده، فى نفس الوقت الذى يعتقد أن إسرائيل لابد وأن تنتصر فى نهاية الأمر، فكيف يكون أميناً فى أحاسيسه ومشاعره نحو بلده العزيز، وفى نفس الوقت الذى يكون فيه أميناً نحو عقيدته، وأى تمزق يعيشه ؟ هل يتمنى انتصار إسرائيل التى قتلت أخاه وصديقه وكانت سبباً مباشراً في أزمته الاقتصادية والاجتماعية وسبباً فى انهيار الكثير من القيم الإنسانية والأخلاقية داخل مجتمعه وتدهور المرافق العامة والخدمات بصور لم يسبق لها مثيل أو يكره إسرائيل كإنسان وطنى محب لبلده، ويكون بهذه الموقف ضد خطة الله من نحو العالم حسب تصوره، والحقيقة إنى أشفقت جداً على هذا الطيار وفكرت أن هذه المشكلة هي مشكلة من يعتنقون هذا الفكر فى الغرب، ومنهم من يدفع أموالاً وضرائب لأجل دولة إسرائيل، فى الوقت الذى فيه تستخدم إسرائيل هذه الأموال لشراء أسلحة تقتل بها أطفال الحجارة فى فلسطين وتشرد رجالاً ونساء عزل من السلاح، وهذا الاستخدام السيىء لأموال المسيحيين يقف بوضوح ضد الفكر المسيحى بوجه عام وبصورة صارخة، فاللاهوت المسيحى يرفض القتل والذل، واحتقار الإنسان لأخيه الإنسان تحت أى ظرف وبأى مسمى، وهكذا نرى أن من يعتقد فى حكم المسيح الأرضى سواء فى الغرب أو فى الشرق يقع فى تمزق فكرى وأخلاقى ولاهوتى يحتاج إلى حل أو مخرج».

إن مثل الطيار (المصرى)، ومأزق الحرب مع إسرائيل، يؤكد لنا أن الاحتفاظ بالعقيدة الدينية والوطنية على المستوى النظرى ، يواجه بالقطع مشكلات عملية، لايمكن الانفلات منها . ولم نسمع عن طيار مصرى مؤمن بالملك الألفى، أو جندى مؤمن بهذه العقيدة امتنع عن الحرب ضد إسرائيل، أو انقلب فى الحرب وساعد إسرائيل، وهو ما يؤكد أن الألفيين فى مصر، يحافظون على عقيدتهم الوطنية، ويحتفظون بالمشكلة داخلهم.

ولكن بعض التوجهات الألفية فى مصر، وخارجها ، تقدم رؤية للملك الألفى يبدو

أنها تتجاوز الكثير من الأزمات . وهذه الرؤية تنتشر لدى الألفيين التقليديين، والذى يرجع فكرهم إلى الصورة الأولى التى ظهرت فى القرن التاسع عشر، وتنتشر هذه الرؤية، فى مصر خاصة، لأنها تحل الكثير من المشكلات.

وتقوم هذه الرؤية على الألفية التدبيرية الانعزالية، فى أكمل صورها. حيث يرى البعض أن الملك الألفى حقيقة كتابية، لاشك فيها ، ولكننا لانستطيع أن نربطه بالواقع أو نحدد تاريخه، أو نعين علاماته. فمثلاً من يستطيع أن يثبت أن دولة إسرائيل الحالية، هى المقصودة فى الملك الألفى، ولما لاتكون إسرائيل المقصودة، إسرائيل أخرى. بمعنى أن تحديد السلالة اليهودية التى تعود لأيام المسيح، أمر صعب أو مستحيل. وبالتالى فإن معرفة من هم اليهود الذين يمثلون السلالة التى جاء منها المسيح أمر مستحيل. لذلك، فربما يكون يهود اليوم الذين يحكمون إسرائيل، من غير سلالة اليهود النقية. وأيضاً، فإن الدولة الحالية، لايوجد دليل على أنها الدولة المقصودة، فلماذا لاتكون حالة سابقة للدولة المقصودة، ويعود اليهود للشتات مرة أخرى ثم يتجمعون ثانية. فالكتاب لم يحدد، أى شتات أو أى عودة. ويؤمن أصحاب هذا المنحى، أن عليهم الانتظار فقط، أما الملك الألفى، فسوف يحققه الله وحده. وتبقى بعد ذلك إشكالية الحرب ضد إسرائيل، وقد يرى البعض ، أنه مادامت إسرائيل الحالية، ليست بالضرورة إسرائيل المقصودة ، فالحرب ضدها، لاتمثل مشكلة. ولكن البعض الأخر يرى ، أن الحرب فى حد ذاتها مرفوضة، وأن على المسيحى أن يمتنع عن كل أعمال الحرب، فالحرب ضد المسيحية. ولذلك يرى البعض أهمية السماح بالامتناع عن الحرب، لمن تتعارض عقيدتهم مع الحرب عامة، كما يحدث فى أمريكا مثلاً .

من جانب آخر، فإن معظم الألفيين فى مصر، كما فى العالم، يؤمنون أن إسرائيل اليوم هى إسرائيل المقصودة، وأن نهاية العالم على الأبواب، والبعض ينتظرها فى غضون سنوات، والكثيرون يعتقدون أنها فى خلال حياتهم. وهذا الموقف، يجعل المؤمن بالملك الألفى يرى أن إسرائيل الحالية تحقيق لإرادة الله، ويصبح موقفه منها شائكاً، وفى ذلك نجد بعض ردود الفعل المتنوعة، ومنها :

١- الامتناع عن الحرب، إن أمكن.

٢- الخضوع للاشتراك فى الحرب، باعتبار أن القانون لايبيح الامتناع عنها، مع رفضها داخلياً.

٣- الامتناع أو الاشتراك فى الحرب، مع رفض فكرة مقاومة إسرائيل، لأنها مقاومة لإرادة الله، ويبقى الرفض على مستوى العقيدة فقط.

٤- الاشتراك فى الحرب لأنها واجب وطنى، ولأن المؤمن بالملك الألفى غير مطالب بمساندة إسرائيل، فإن الله الذى يريدها هو الذى يحميها.

وكل هذه المواقف المتنوعة، تقدم حلولاً، وتبقى المشكلة، فى أعماقها ، فهل يشعر الألفيون بالسعادة لقيام إسرائيل ؟ لأسباب دينية ؟ أو يشعرون بالحزن، لأسباب وطنية ؟ وإذا استطاع العرب طرد إسرائيل، ودفعها للشتات مرة أخرى، فما موقف الألفيين، بين السعادة والحزن، وبين الاشتراك فى هذه الحرب، أو رفضها ؟

تبقى القضية معلقة، وعلى المؤمنين بالملك الألفى مواجهتها بصراحة، وتقديم حلاً لها ، بدلاً من تركها أزمة تعيش بداخلهم، وتجعلهم أحياناً فريسة لمشاعر متناقضة.

فالغالب فى النهاية، أن الألفيين فى مصر، كما فى كل العالم، شعروا بالسعادة عندما قامت دولة إسرائيل، وأنهم أمنوا أن المسيح قادم ليحكم العالم فى هذا الجيل، وأنه قادم فى ١٩٨٨، أو ١٩٨٩، ولأنه لم يأت فى هذا التاريخ، فهو قادم فى ١٩٩٢، وإن لم يأت فإن سنة ٢٠٠٠ هى فى النهاية، وهى النهاية، وهى بداية الألف عام السعيدة.

حرب الخليج والملك الألفى :

عندما بدا واضحاً، أن قوات التحالف بقيادة أمريكا، تتجه صوب الخليج، لكى تحرر الكويت من الاحتلال العراقى، فتح عدد كبير من المسيحيين، فى مختلف بقاع الأرض سفر أشعياء النبى، والاصحاح الثالث عشر، وقرأ الكل معاً، وبدون اتفاق سابق، سفر يحكى عن نبوءة أشعياء عن سقوط بابل، وأية بابل إلا العراق. وهنا أصبح الألفيون من كل صوب، ومن كل اتجاه، وهى ظاهرة تعرفها المسيحية،

خاصة فى الحروب، فهذه ليست الحرب الأولى وأى سقوط لبابل العراق، ليس السقــوط الأول.

إن هذه الظاهرة، تعبر عن جذع المؤمنين من الحرب، كما تعبر عن إسراعهم بالبحث عن تفسير للحرب، بين دفتى الكتاب المقدس. لذلك وعندما بدأت نيران حرب الخليج فى ١٧ يناير ١٩٩١، كان الكثير من المسيحيين ، فى مصر، كما فى غيرها، يواظبون على قراءة أشعياء الإصحاح الثالث عشر، وهنا، ردد الكثير من المسيحيين، أن الحرب الدائرة الآن هى طبقاً لنبوءة أشعياء، وهى إرادة الله، وبابل يجب أن تسقط .

والملفت فى هذه الظاهرة أن المنادين بالتفسير الدينى لحرب الخليج، ليسوا هم المؤمنون بالملك الألفى، بل هم أعداد متزايدة من المسيحيين، ومنهم الكثير ممن لايؤمنون بالملك الألفى. ففى لحظات الحرب، تصبح النبوءات الألفية، هى الفكر السائد حتى بين غير المؤمنين بالملك الألفى.

وهكذا، ومع تزايد نيران الحرب، وسقوط آلاف وملايين القنابل ، على بابل، تزايدت حمى البحث عن النبوءات، وتزايد حماس البعض للحرب ، وتأييدهم للتحالف، بل وتأييدهم لسقوط بابل، لأنه تحقيق لنبوءة كتابية. وربما لايبقى من هذاالحماس الكثير، فمن يرجع للنبوءات، دون أى تبنٍ للعقيدة الألفية، سرعان ما يترك النبوءات، بعد انتهاء الحرب. ولكن يبقى بين المؤمنين بالملك الألفى، حماس أكبر، تزايد بسبب حرب الخليج، ويؤكد لهم أن المسيح قادم.

إن هذه الظاهرة تكتسب أهميتها، بسبب انتشار فكرة الملك الألفى، فى حدود لم تكن متوقعة. فبعض الطوائف البروتستانتية، والتى تمثل التيار الأصولى القديم، تؤمن بالملك الألفى، مثل الكنيسة الرسولية والأخوة والمعمدانيين، أو على الأقل أغلبهم. ولكن الظاهرة الجديدة ، فى مصر كما فى غيرها، أن المؤمنين بالملك الألفى، يتزايدون داخل الطوائف التى ترفض رسمياً هذه العقيدة .

ويبدأ الزحف عادة ، فى مصر كما فى غيرها، داخل الكنائس البروتستانتية الرئيسية، وهكذا ظهر الإيمان بعقيدة الملك الألفى ، داخل الكنيسة الإنجيلية

(المشيخية) فى مصر. ويبدأ التسرب يتزايد، لتتحول كنائس إنجيلية بكاملها، إلى الإيمان بالملك الألفى. وبالنسبة للكنيسة الإنجيلية، فإن زحف الفكر الألفى بها، بدأ منذفترة طويلة، وأحد رؤساء الطائفة الإنجيلية فى مصر، وهو من الكنيسة الإنجيلية، لا من الطوائف البروتستانتية الأخرى التى تتبع الطائفة الإنجيلية ، ولكن تختلف عن الفكر المشيخى فى إيمانها بالملك الألفى، كان يؤمن بالملك الألفى، أى كان على رأس الكنيسة المشيخية، من يؤمن بعقيدة ضد الفكر المشيخى.

والكنائس البروتستانتية ، مثل المشيخية واللوثرية والميثوديست، وكلها لاتؤمن بالملك الألفى، تعد مجالاً مخترقاً من قبل الأصولية ، والألفية. وما يحدث فى أمريكا، يحدث فى مصر، والسبب فى ذلك أن نظام الكنيسة البروتستانتية عامة، يعطى مساحة كبيرة من الحرية لكل كنيسة، لأن لها كياناً مستقلاً، كما أنه يعطى مساحة كبيرة من الحرية للاجتهاد الشخصى لكل فرد داخل الكنيسة وغالباً ما تقوم الكنيسة أو مؤسساتها العامة (الطائفة، المحفل ، السنودس) بمهاجمة الفكر المخالف لها، وإعلان الحرب عليه، إذا كان فكراً شاذاً، أو إذا كانت حالة فردية. ولكن فى الكثير من الأحيان، فإن الفكر الأصولى خاصة، بكل تياراته، أصبح قادراً على اختراق الكنيسة المشيخية واللوثرية وغيرها. وفى نفس الوقت ، فإن هذا الفكر الأصولى، يعتمد على سياسة ناجحة للغاية، وهى سياسة الاختراق من الداخل.

ولايوجد دليل أفضل، على قدرة التيار الأصولى والألفى، على الاختراق، أكثر مما حدث من اختراق الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من قبل الفكر الألفى . وفى نهاية عام ١٩٩٠ تقريباً، وعلى سبيل المثال، ظهر شريط كاسيت لأحد الكهنة الأرثوذكس، يبشر فيه بالملك الألفى، ويعلن أن المسيح قادم ، فى القريب المنظور.

والأمر لم يحدث فى مصر فقط، ففى العالم أجمع، يمكن أن نجد كاثوليكيين يؤمنون بالملك الألفى. والحقيقة أن عقيدة الملك الألفى، قدر لها أن تقوم بدور متزايد فى الوسط المسيحى فى العالم، كما فى مصر، عبر سنوات السبعينات والثمانينات والتسعينات.

هوامش الفصل السادس :

(١) Dominion Theology

(٢) World Vision

(٣) Christionity Today, 1988, 19 Feb., p. 47.

(٤) من ملف عن الرؤية العالمية صادر عن GroupWatch. The Resource Center

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق .

(٧) GroupWatch. The Resource Center

(٨) The Navigators

(٩) Campus Crusade For Christ (الترجمة الحرفية: الحملة الصليبية فى المعسكرات من أجل المسيح).

(١٠) Profiles of selected religious right organizations in the USA and their international outreach. Human Right Office, National Council of Churches for shrist USA. 1990.

(١١) Bill Bright

(١٢) Alfa y Omega

(١٣) Youth With A Mission

(١٤) المرجع السابق

(١٥) Boston Church of Christ

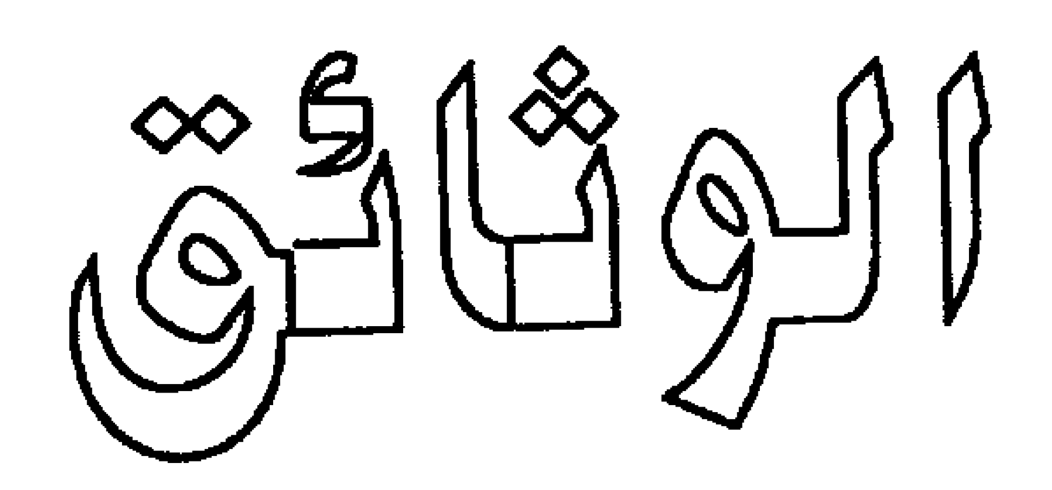
(١٦) Christianity Today, 1988, 19 Feb., p. 53.

(١٧) المرجع السابق.

(١٨) المرجع السابق.

(١٩) Multiplying Ministries

(٢٠) إكرام لمعى. هل من علاقة بين عودة اليهود ومجيء المسيح الثانى ؟ القاهرة: دار الثقافة ١٩٩٠، ص ٤-٥ .


الوثائق

وثيقـــة (١)
السفارة المسيحية الدولية بالقدس
إعـــلان

نحن ، الممثلون للمؤتمر المسيحى الصهيونى الدولى الثانى ، المنعقد فى القدس، العاصمة الأبدية لإسرائيل ، فى ١٤ أبريل ١٩٨٨ ، فى مناسبة الذكرى الـ ٤٠ لاستقلال إسرائيل ، ننتهز هذه الفرصة لنعلن سيادة الله ، وعصمة كلمته المقدسة : بأن خطته للفداء سوف تقيم السلام والبركات ، فى النهاية ، فى الشرق الأوسط ، ولكل البشرية ، من خلال وعوده الميثاقية الأزلية لإسرائيل . إن المسيحية الصهيونية ، هى صهيونية كتابية ، تؤمن بالكتاب المقدس ، وتعلن تحقق أهدافه النبوية ، والتى تتجمع فى عودة المسيا إلى القدس .

لهذا ، نحن نفهم من الكتاب ، أن الله أحب شعبه ، وقد أعطاهم الحق فى تحمل المسئولية ، والحق فى امتلاك وبناء الأرض الموعودة ، وأن يحكموا المسكونة ، بالتالى، من خلال كلمته .

لهذا نحن نعلن :

– حبنا لإسرائيل والشعب اليهودى .

– تأكيدنا للحق الكتابى للشعب اليهودى ، كى يعيش بحرية فى كامل أرض إسرائيل ؛ والتى تشمل يهودا ، والسامرا ، وغزة ، كدولة يهودية .

– تشجيعنا لعودة كل اليهود من الشتات إلى الأرض ، كاستجابة لدعوة الله القوية والمحبة ، والتى عبر عنها أنبياؤه .

إننا ندعو كل الدول ، كى تعترف وتحترم قداسة وعد الله ، للشعب اليهودى ، بإعطائهم أرض كنعان كملكية نهائية ، وفى نفس الوقت ، كى يؤمنوا ، بوعوده الخاصة ، بكل ذرية إبراهيم .

نحن ...... نتحدى الكنيسة كى تتوب عن كل معاداة للسامية فى الماضى أو الحاضر ، وعن أى عقائد تجاهلت أو بدلت ، الحقيقة الكتابية لوجود إسرائيل ، وعن

أى خطايا بالتعهد أو إسقاط العهد ضد الشعب اليهودى (١ يوحنا : ٩ و ١٠) .

ونحن ندعو الكنيسة :

أن تصوم وتصلى باجتهاد من أجل سلام أورشاليم (القدس) .

أن تتوسط من أجل إسرائيل ، وسكانها ، وكل اليهود فى كل مكان .

أن تعبر عن الحب والدعم لإسرائيل والشعب اليهودى فى الفكر ، والكلمة والعمل، حسب التوجيهات التى أعطاها الرب (أشعياء ٥٨ ، أشعياء ٦٢ : ٦ ، ٧ ، يوئيل ٢ : ١٥) .

إننا نعرف :

أن الدول العربية قد مُنحت وعودها العظيمة الأبدية الخاصة بها ، على سبيل المثال ، كما نجد فى تكوين ١٧ : ٢٠ : « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه ، وأثمره ، وأكثره كثيراً جداً ، اثنى عشر رئيسا يلد واجعله أمة كبيرة» ، كذلك أشعياء ١٩ :٢٤ ، ٢٥ .

من أجل هذا ندعو:

القيادات العربية فى يهودا ، والسامرا ، وغزة، وقيادات الأردن وسوريا ولبنان، وهؤلاء من الدول العربية الأخرى، كى يعترفوا بحق إسرائيل فى الوجود.

نحن.. نتضرع لقادة العرب، فى يهودا والسامرا وغزة، ليلتقوا مع قيادة إسرائيل وجهاً لوجه، حسب طلب إسرائيل، بدون تدخل، أو وسطاء، أو شروط مسبقة، من أجل حل الصراع الحالى فى يهودا والسامرا وغزة، وكى يضمنوا الحفاظ على الحقوق والمسئوليات الخاصة بأهالى هذه المناطق.

نحن... نشجع إسرائيل، حسب الكتاب، كى تضمن الحقوق السياسية والاقتصادية والثقافية لسكان يهودا والسامرا وغزة، الذين يوافقون على الوفاء بتلك الحقوق والمسئوليات بدون عنف (حزقيال ٤٧ : ٢٢، ومزامير ٣٧: ٧).

نحن نؤكد:

أن مستقبل إسرائيل كدولة يهودية حرة، يعتمد على نعمة الله، الثابتة عبر مثل

هذه المقاييس الحية :

– الاستيطان فى المناطق غير الأهلة بالسكان من الأرض.

– التنمية الاقتصادية المدروسة.

– دفع نمو عدد السكان اليهود عن طريق :

– تشجيع العودة (أشعياء ٤٣ ، أرميا ٣١).

– عدم تشجيع الهجرة.

– إيقاف الإجهاض (اشعياء ٤٩ : ٥، التكوين ٤٩ : ٢٥، الخروج ٢٠ : ١٣)، والصلاة والصوم والتوبة الى الرب.

نحن الممثلين للمؤتمر :

نحض كل الدول كى تعترف بإسرائيل دبلوماسياً، وتنقل سفاراتها إلى القدس، لتساعد إسرائيل بكل الطرق وبهذا تحصل على مباركة الله لمباركتها لإسرائيل: ولتحجم عن المقاطعة الاقتصادية، وعن إنكار الحقوق الثقافية لإسرائيل، وعن الاضطهاد الدينى للهيود وأى مقاومة لحق اليهود فى العودة الى أرض إسرائيل (تكوين ١٢ : ٣).

ونطلب منهم أن يطالبوا دول الاتحاد السوفيتى وسوريا وأثيوبيا والسودان، وكل الدول التى تضطهد اليهود، كى يسمحوا لهم فوراً بالعودة إلى أرض إسرائيل (أشعياء ٤٣–٥، أرميا١٦: ١٤–١٦)، وبالمثل نطلب كل الدول الملامة لاضطهادها للمسيحيين بسبب إيمانهم، أن توقف ذلك فوراً.

وكمؤتمر :

نحن نرتاع ونشجب الاستخدام الجامح للقوة من قبل الكثيرمن وسائل الإعلام كى تؤثر على الرأى العالمى، بشكل سلبى من خلال تقاريرهم عن أخبار الأحداث الأخيرة فى يهودا والسامرا وغزة، وتاريخياً فى معالجتهم لسياسة إسرائيل الداخلية والخارجية، نحن نطالب وسائل الإعلام باستخدام المعايير العليا فى التقرير : الدقة، المسئولية. عدم التحيز، بيان السياق، والمساواة.

إننا نناشد كل المسيحيين الصهاينة كى يدركوا أى استخدام سىء من قبل وسائل الإعلام، ويقفوا ضده، كشكل من أشكال المعاداة للسامية والمعاداة للصهيونية، ويجب علينا أن ننكر أمثال الأشياء غير الدقيقة، على المستوى المحلى والقومى (١ كورنتوس ٢: ١٠-١٣) .

نحن ممثلى المؤتمر :

- نعتقد أن دعوة الله للدول، التى لامهرب منها، كى ينشطوا ويريحوا إسرائيل، تشمل الاستثمارات، وأشكال الدعم الاقتصادى الأخرى (أشعياء ٤٠:١).

- نشجع الدعم لإسرائيل (روميه ١٥ : ٢٧) .

- نوصى بتأسيس قوة مهام اقتصادية، تحت رعاية السفارة المسيحية الدولية بالقدس، كى تبحث وتطور وتقرر، احتمالات مثل إيداعات البنوك والاستثمارات فى إسرائيل، وتشجع علاقات التعامل مع إسرائيل، والشراء والبيع للمنتجات الإسرائيلية عبر العالم، والتبرعات لأعمال الخير :

مع الوضع فى الاعتبار، أن فى هذه اللحظة الفاصلة الحرجة من التاريخ الإسرائيلى، يجب على المسيحيين والعرب واليهود ، أن يكونوا معاً مشاركة اقتصادية كى يضمنوا، لا فقط أن إسرائيل ستعيش، بل إنها ستنموا اقتصادياً أيضاً .

من خلال التأكيد الكامل أن :

- «إذا بنى الرب صهيون، يرى بمجد» (مزامير ١٠٢: ١٦) .

- «وقوى الأمم سوف تتدفق فيهم».

إن الله يجمع المواهب ليجمع سنوات لم نسمع عنها من الحكمة فى العمل تركز على رؤية لتجمع صهيون، والمستثمرون المسيحيون عليهم اتخاذ الخطوة الأولى، والمخاطرة، ليمهدوا الطريق لدول العالم.

وفى النهاية، فنحن كمؤتمر ، وكأشخاص، نعتزم :

أن نعود كسفراء إلى دولنا العزيزة، كى نعلن الاحتفال بالعيد الـ ٤٠ لإسرائيل، عارفين أن مرحلة جديدة قد بدأت فى تاريخ شعب الله المختار.

نحن نعتزم :

– أن نزيد جهودنا كي نقف خلف الشعب اليهودى فى إسرائيل، وفى كل انحاء العالم، عارفين ديننا لهم .

– أن نصرح بمعتقداتنا للقادة فى بلادنا، وممثلى وسائل الإعلام، وقادة الكنيسة.

– أن نكافح ضد معاداة السامية، فى كل أشكالها الماكرة.

– وأن نصلى ونتوسط لإسرائيل وشعبها بدون توقف، تراثنا ومستقبلنا الحبيب (أرميا ٥٠ : ٢).

الوثيقة (٢)

إعلان مؤتمر القيادة المسيحية الصهيونية الدولية

بازل - سويسرا - أغسطس ٢٧ - ٢٩ / ١٩٨٥

تمهيد :

نحن الممثلون، الذين تجمعنا هنا من دول وكنائس مختلفة، في نفس القاعة التي شهدت منذ ٨٨ سنة مضت، الدكتور تيدور هرزل وتجمع الممثلون للمؤتمر الصهيوني الأول، الذي قاد تأسيس إعادة ميلاد دولة إسرائيل، قد جئنا معًا لنصلي ونطلب الرب، لكي نعترف بديننا الكبير تجاه إسرائيل (الشعب، والأرض، والإيمان) وكي نظهر تضامننا معها، إننا ندرك اليوم، وبعد المعاناة الشديدة التي اختبرها اليهود، أنهم مازالوا يواجهون نفس الكراهية، والقوة المدمرة.

وكمسيحيين، ندرك أن الكنيسة خذلت اليهود كثيراً، عبر تاريخهم الطويل من المعاناة والاضطهاد، إننا نتحد هنا، في أوروبا، بعد ٤٠ سنة من انتهاء مذبحة اليهود، كي نظهر دعمنا، ونؤيد الدولة التي أعد لميلادها في هذاالمكان، ونحن نقول «ليس مرة أخرى أبداً» للقوى التي يمكن أن تحدث مذبحة جديدة للشعب اليهودي.

أولاً ، نتحدث إلى زملائنا المسيحيين ، لنخلص أنفسنا من أي كبرياء أو معاداة للسامية، خافية أو معلنة، تجاه اليهود ثم فلندعم الشعب اليهودي بحب من القلب ، بالإيمان والعمل، في ضوء ما علم الكتاب المقدس عن عهد الله الأبدي لشعبه وأرضه .

ثانياً : إننا نهنيء دولة إسرائيل ومواطنيها على انجازاتهم المتعددة في الفترة القصيرة التي لم تتجاوز أربعة عقود، ونحن نحضك لتكوني قوية في الرب وفي قوة قدرته، وأنت تواجهين العقبات المتعددة التي تقف في طريقك، ونحن أيضاً نناشدك بحب : من فضلك حاولي أن تدركي بوضوح، وتعترفي بصراحة، أنها يد الرب، حسب نبوءة كتبك المقدسة، التي حفظت الأرض وجمعتك في المنفى، وليس فقط قوة يديك، وأخيراً ندعو كل يهودي حول العالم كي يعود إلى إسرائيل، وندعو كل مسيحي كي

يشجع ويدعم أصدقاءه اليهود فى هذه الخطوة الحرة، ولكن التى يلهمها الله .

ثالثاً : نتحدث الى الدول أصدقاء إسرائيل، ولكن التى تتأرجح سياساتها بين الدعم الحقيقى والمنفعة السياسية ، نحن نطلب منكم أن تقيموا سفاراتكم فى القدس، حتى تؤكدوا الرابطة القديمة زمنياً، بين الشعب اليهودى الأبدى، ومدينتهم التى أعطاها لهم الله، وأن تعترفوا بيهودا والسامرا كجزء من الأرض.

رابعًا : إننا نحذر الدول التى تعادى إسرائيل ، بما فى ذلك الدول العربية (ما عدا مصر) ، والاتحاد السوفيتى ، لتوقف إعاقة السلام فى الشرق الأوسط .

وأيضًا ، نحن نطلب من الاتحاد السوفيتى ، أن يترك اليهود السوفييت ليهاجروا إلى إسرائيل، بدءا بالـ ٤٠٠ ألف ، الذين طلبوا تأشيرة الخروج ، بدون أى تأخير جديد ، وأن يضمنوا الحرية الدينية الكاملة ، لكل المواطنين السوفييت .

خامسًا : ونحن نطلب الدول التى لم تعترف بإسرائيل دبلوماسياً ، أن تفعل ذلك، وأن تدعمها دوليًا ، وأن تعارض أى قوائم منع أو مقاطعة ضد إسرائيل .

سادسًا : والأكثر أهمية وعجلة ، أننا نصلى لكى يأتى اليوم ، الذى يعيش فيه كل شعب إسرائيل بحق فى الشرق الأوسط والعالم ، فى سلام وأمان ، حسب نبوءة الرب .

سابعًا : إننا فى هذا الموضع ، نقتبس رسمياً ، القرارات التالية للمؤتمر ، والسياق الكامل لكل قرار ، كالتالى :

القرار ١ : لا امتيازات للاتحاد السوفيتى ، ما دام اليهود السوفييت لا يستطيعون الهجرة.

القرار ٢ : يجب أن تحقق إسرائيل النور والقبول الدوليين .

القرار ٣ : يجب على كل الدول أن تعترف بإسرائيل .

القرار ٤ : يجب على كل الدول أن تعترف بيهودا والسامرا كجزء من أرض إسرائيل.

القرار ٥ : يجب على كل الدول أن تنقل سفاراتها إلى القدس .

القرار ٦ : يجب على كل الدول الصديقة أن تكف عن تسليح أعداء إسرائيل .

القرار ٧ : يجب على كل الحكومات أن توقف تساهلها مع الإرهابيين .

القرار ٨ : إننا ندين كل أشكال المعاداة للسامية .

القرار ٩ : إننا نتذكر وحشية العداء لليهود فى الماضى ، ونعتزم ألا يحدث ذلك مرة أخرى أبداً .

القرار ١٠ : إننا نشجع إعادة توطين اللاجئين من إسرائيل ، ونطلب العدالة للاجئين اليهود .

القرار ١١ : لنساعد إسرائيل اقتصادياً ، وننشىء ميزانية دولية للاستثمار .

القرار ١٢ : على كل الدول أن تعترض على الإذعان للمقاطعات المعادية لإسرائيل .

القرار ١٣ : إننا ندعو المجلس العالمى للكنائس ، ليرى العلاقة الكتابية التى تربط بين الشعب والأرض .

القرار ١٤ : إننا نصلى من أجل المُلك القادم للرب .

* * *

قرار رقم ١ : لا امتيازات للاتحاد السوفيتى ، ما دام اليهود السوفييت لا يستطيعون الهجرة .

إن المؤتمر فى هذا المقام ، يطلب من كل المسيحيين المؤمنين بالكتاب المقدس ، أن يلحوا بقوة على حكومات دولهم وأوطانهم ، وعلى أجهزة هذه الحكومات ، بألا يوقعوا أو يمدوا أى معاهدات ، أو أى اتفاقات دولية أخرى ، مع الاتحاد السوفيتى، وأثيوبيا وسوريا والدول الأخرى المشابهة لها ، حتى يوافقوا على السماح لمواطنيهم اليهود بحرية الهجرة مباشرة إلى إسرائيل ، الوطن القومى الوحيد الذى أعطى خصيصاً للشعب اليهودى ، ويضمنوا لمواطنيهم اليهود والمسيحيين ، والأقليات الأخرى، الحقوق الدينية والثقافية واللغوية الكاملة .

إن الامتياز الكتابى ، بالحق – وبالنسبة لبعض اليهود الأرثوذكس « الواجب» – فى الهجرة إلى إسرائيل ، يختلف عن ، ويتسق مع ، حقوق الإنسان الأخرى التى

أعطاها الله : بأن يتحد الإنسان مع أسرته ، وأن يتحرر من أى اضطهاد بدنى أو نفسى ، وأن يتاح له ممارسة تدينه بحرية . نحن نناشد بكل هذا فى طلبنا للاتحاد السوفيتى ، وأثيوبيا ، وسوريا ، وغيرها من الدول المماثلة ، بأن « اترك شعبى يرحل! » . وأن يحترموا الحقوق الدينية .

إننا نقول للرئيس ميخائيل جورباتشوف ، ولقادة تلك الدول الأخرى ، والتى منعت هجرة اليهود : يجب عليك « أن تترك شعبى يرحل! » ، وإلا لن تتلقى أى تجارة أو مساعدة فى الطعام ، أو التكنولوجيا المتقدمة ، أو الخدمات ، والمنتجات الأخرى التى تحتاجها ، ولن تصل إلى الارتياح من سباق التسلح الذى يضع الألغام أمام قوتك الإنتاجية القومية .

إننا نطالب بالسماح لكل اليهود السوفييت الذين يريدون الهجرة ، حتى وإن كان عددهم يزيد عن ٢,٥ مليون .. بدون أية عقبات مثل رسوم الخروج ، والمنع الأمنى ، والعسكرى ، والارتباط بالأسرة المتمردة .

إننا نقول للاتحاد السوفيتى : إن الشعب اليهودى ليس مجرد رهائن فى الصراع بين الشرق والغرب ، إنهم قرة عين الله . إنك لا يمكن أن تحصل على البركة بل اللعنة ، مثل فرعون ، إلى أن تتركهم يرحلون بحرية إلى إسرائيل مباشرة . إن القضية ليست إيهما أكثر جاذبية ، أو مرغوبا فيه أكثر ، الشرق أم الغرب ، الشيوعية أم الرأسمالية ، إننا لا نتجه للإغراء بشتات أكثر رقة فى الغرب ، بل لدعوة من قلب الله للوارثين الموعودين فى إسرائيل .

إننا نلتمس من الرئيس ريجان فى اللقاء القادم ، وكل قادة الغرب ، أن يؤكدوا على هذا الخروج الجديد ، كشرط مسبق لأى اتفاق مع الروس ، ما عدا ، بالطبع ، الاتفاقات المبدئية ، لضمان حرية الهجرة .

إننا نسأل إسرائيل أن توجه دعوة خاصة لكل أعضاء العائلة اليهودية فى الاتحاد السوفيتى « كى يعودا للوطن » ، وأن نستعد لهذا التجمع الجديد .

قرار رقم ٢ : يجب أن تحقق إسرائيل الدور والقبول الدوليين .

إن المؤتمر يشجع بكل تقدير دولة إسرائيل ومواطنيها ، كى يشاركوا بشكل

كامل ، وبفخر فى كل المؤسسات الدولية ، والتعهدات التى قد تفيدها ، ومواطنيها أو الدول الأخرى ومواطنيها . إن إسرائيل هى إحساس عميق ، وضوء للدول عندما تقدم حكمتها وفهمها الذى أنجز العديد من المجالات ، والتى بنيت على دراسة الكتاب السماوى المقدس ، من استغلال موارد الأرض الزراعية ، والموارد الأخرى حتى اكتشاف الفضاء الخارجى ، كجزء من تلك المشروعات الفكرية ، ويجب الامتداد بهذا، من جهاز الأمم المتحدة ، وهيئاتها التخصصية ، إلى كل تجمع أقليمى ، يجب أن تكون إسرائيل جزءاً منه كحق لها ، البحر المتوسط ، الشرق الأوسط ، وجنوب أوروبا، وبكل نشاط ثنائى حيوى ، وكذلك أيضاً ، وفى المجالات المهمة لعمل المؤسسات غير الحكومية ، والفنية ، والتجارية ، والثقافية ، والبيئية والعلمية ، والتكنولوجية ، والرياضية ، والطلبة ، والعمال ، وغيرها فى كل هذه المجالات ، قام الإسرائيليون بدور كبير ، ولكنهم يستطيعون المشاركة بدور أكبر .

ونحن نرجو مرة أخرى بقوة ، كل مؤسساتنا الحكومية ، وغير الحكومية ذات المكانة ، مباشرة ، أو من خلال الأمم المتحدة وغيرها من المؤسسات الحكومية و غير الحكومية ، أن تؤكد على أن إسرائيل والمؤسسات غير الحكومية الإسرائيلية ، تقبل كشريك متساو ، فى كل الأعمال والمشروعات ، وأن على ممثلينا الوطنيين أن ينسحبوا أو يظهروا اعتراضهم إذا حاول أحد إعاقة مشاركة إسرائيل .

قرار رقم ٣ : يجب على كل الدول أن تعترف بإسرائيل .

إننا نلح على كل حكوماتنا الوطنية أن تقدم اعترافاً دبلوماسياً كاملاً بدولة إسرائيل ، وعلى وجه الخصوص ، نلح أن تطلب حكوماتنا من دولة الفاتيكان وأسبانيا ، والاتحاد السوفيتى ، ودول المعسكر السوفيتى ، وكذلك دول المعسكر العربى ، ودول العالم الثالث ، أن تقوم سريعاً بهذا الأمر ، باعتباره حقاً واجباً لدولة قام ميلادها على اعتراف رسمى من الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وكنوع من الأصول العامة من جانب دول حصلت هى نفسها على الاعتراف .

قرار رقم ٤ : يجب على كل الدول أن تعترف بيهودا والسامرا كجزء من أرض إسرائيل .

إن المؤتمر يعلن أن يهودا والسامرا (وهما يسميان عن خطأ الضفة الغربية) هما حق كتابى ، ومن الحق الكتابى ، كذلك من خلال القانون والممارسة الدولية ، يجب أن يكونا جزءاً من إسرائيل ؛ لهذا يجب أن تعلن إسرائيل ذلك ، ويجب أن تعترف دول وشعوب العالم بذلك ، كحقيقة وعدالة ، ولهذا ، وكما يحدث بالنسبة لأى جزء من تاريخ إسرائيل ، عندما يكون حوله الشك ، إننا نثق فى الرب ، وفى حكمة الله التى أعطاها لمواطنى إسرائيل ، كى يحافظوا بعدل وسلام على كل المعانى ، التى ستستمر بها إسرائيل ، لتصبح دولة الديمقراطية والحرية ، ودولة يهودية بكل حقوقها الأثنية والسياسية ، والعرقية والدينية ، والثقافية ولكل مواطنيها .

وأكثر من هذا ، وكتعبير ملموس عن دعم جهود إسرائيل للاستيطان فى يهودا والسامرا ، ندعو مجتمعاتنا وتجمعاتنا المحلية ، كى «تصبح توأم» المجتمعات فى يهودا والسامرا ، وتسهم فى إقامة أماكن الحدائق العامة ، والغابات والترفية هناك .

قرار رقم ٥ : على كل الدول أن تنقل سفاراتها إلى القدس .

إن المؤتمر يلاحظ الوضع غير العادل للقدس ، مدينة داود ، كعاصمة أبدية غير مقسمة لدولة إسرائيل فى ميلادها الثانى ، ولهذا يلح على كل الدول كى تعترف بها على هذا النحو ، وبشكل خاص يلح على الدول أن تنقل سفاراتها إليها ، مصفقين للاحترام والحماية المدققة التى تقدمها إسرائيل ، بالقانون والممارسة ، لحقوق كل الأقليات الثقافية والدينية داخل القدس فى مؤسساتهم وأماكنهم المقدسة المعترف بها ، ونهنىء العمدة تدى كولك ، وكل مواطنى القدس لمساعدتهم فى جعل القدس «هــدية الأرض» (مزامير ٦٢ : ٧) . ليس فى مدينة أخرى ، قال الرب أنه سوف يضع اسمه ، وقد وصلنا إلى نهاية سقوط القدس (أوراشليم) فى أيدى الأمم (لوقا ٢١ : ٢٤) وقد رأينا شجرة التين (رمز إسرائيل) التى تحدث عنها يسوع (لوقا ٢١ : ٢٩– ٣١) تثمر ، لهذا كان على دول العالم التى ترى أنها مسيحية أن تسير تبعاً للكلمة (الكتاب المقدس) . وليست جرأة زائدة ، أن نقول أن كل سفاراتنا الوطنية ، برغم الترتيبات الأمنية ، سوف تعانى من الاعتداء والإرهاب ، حتى نعترف بالقدس بوضع سفاراتنا فيها ، فعندما نقدم الاحترام الواجب سوف يقدم لنا .

قرار رقم ٦ : يجب على كل الدول الصديقة أن تكف عن تسليح أعداء إسرائيل .

إننا نطالب فوراً كل الدول الصديقة لإسرائيل ، بأن توقف ، وتكف عن إمداد كل دولة فى حالة حرب مع إسرائيل ، أو ترفض الالتزام بمتطلبات المعاهدات مع إسرائيل ، بالسلاح ، والمعدات الحربية . ونعنى بذلك أنه يجب على كل الدول الحرة ، بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية ، ودول أوروبا الامتناع عن إرسال أى أسلحة أو معدات حربية ، للدول التى فى حالة حرب مع إسرائيل ، أو حتى مصر ، حتى تفى بالكامل بالتزامات المعاهدة الموقعة بينها وبين إسرائيل ، لتقيم علاقة طبيعية مع إسرائيل ، بما فى ذلك التجارة والسياحة .

قرار رقم ٧ : يجب على كل الحكومات أن توقف تساهلها مع الإرهابيين .

إننا نأسف للغاية من هذا الميل المخجل لبعض حكوماتنا ، لمساعدة وإعانة والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية (والكيانات المرتبطة بها) ، فهى منظمة إرهابية معروفة ، أقسمت على نفسها أن تحطم إسرائيل وشعبها ، فكلمة الله تقول : «وأبارك مباركيك ، ولاعنك ألعنه» (تكوين ١٢ :٣) . وبالتأكيد ، فإن المساعدة والعون والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية تمثل لعنة لإسرائيل – كذلك كواحدة مثلها مثل الأفعى ، التى تعد رمز منظمة التحرير الفلسطينية ، تنقلب بصفة مستمرة على مؤيديها وأصدقائها . وفى حين أننا نفضل الحوار من إسرائيل وكل الدول الأخرى مع كل الدول والجماعات المسالمة التى تعترف بإسرائيل ، فإننا ندعو إلى نبذ منظمة التحرير الفلسطينية ، العدو الذى أقسم على العداء .

قرار رقم ٨ : إننا ندين كل أشكال المعاداة للسامية .

إن المؤتمر يدين المعاداة للسامية فى كل أشكالها وصورها ، ويطلب من كل الأفراد والحكومات والهيئات غير الحكومية ، أن تحجم عن ذلك ، وتدينه ، وأن تتخلى عن ، وتحاسب ، وتعاقب أى حدث معاد للسامية (معاد لليهودية) بكل الطرق القانونية، وفى كل الأشكال ، بما فيها كل أفعال المعاداة للصهيونية ، والمعاداة لإسرائيل ، سواء كانت بالكلمة أو بالفعل ، وفى هذا المجال ، وفيما يخص المسيحيين ، فعليهم أن يسارعوا بالدفاع عن إسرائيل ، وقياداتها ، ضد أى قذف ، أو تجاهلات ، أو

بيانات معادية ، أو عدم ثقة ، فى وسائل الإعلام وغيرها .

قرار رقم ٩ : إننا نتذكر وحشية العداء لليهود فى الماضى ، ونعتزم ألا يحدث ذلك مرة أخرى .

إن هذا المؤتمر ، يواجه بصراحة ، تاريخ الصليبيات ، والمذابح ، والمحرقة ، ويعترف أنها تمثل التربة الفاسدة للكراهية ، والتى أدت للنتائج الشريرة ، من أفعال المعاداة للسامية ، والمعاداة لليهودية ، كذلك أدت إلى إرهاق شعوب وجماعات أخرى، معترفين أن هذه الأفعال صدرت عن أشخاص ودول ومؤسسات تدعو نفسها بالاسم «مسيحية» ، ولكنها لا تحمل بداخلها حب المسيح لكل الشعوب ، خاصة لشعبه ، اليهود ، ولهذا نقسم ، إنه عندما ندعو للحب ، والتسامح ، وكذلك شفاء المرض ، لكل من أعطاهم الله النعمة ، لن ننسى ما فعله هؤلاء الذين يدعون إنهم مسيحيون فى هذا المجال ، والذى ألحق العار بالكتاب المقدس ، وبما يسمى الحضارة المسيحية ، ولن نسمح بهذه الوحشية أو الاضرار أن تبنى مرة أخرى ، على ما قامت عليه سابقًا، بدون تحد منا .

قرار رقم ١٠ : إننا نشجع إعادة توطين اللاجئين من إسرائيل ، ونطلب العدالة للاجئين اليهود .

اعترافًا بالأزمة الخاصة باللاجئين العرب من إسرائيل فى ١٩٤٨ ، وفى فترات أخرى ، ومعظمها كما نعرف نتيجة لنداء القيادات العربية بإخلاء ساحة المعركة من المدنيين الأصدقاء ولحرمان الوطن اليهودى من سكانه العرب ، لهذا يدعو هذا المؤتمر ، الدول العربية والأمم المتحدة (خاصة منظمة U. N. R. W. A.) ، وكل الدول الأعضاء بها ، والجماعات الخاصة لكى يقدموا ، بكل الطرق ، ما يساعد على امتصاص اللاجئين وتوطينهم فى الأراضى التى نزحوا إليها ، لأنه حق تاريخى، للاجئين (مثلاً : فى أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية ، وفى قارة الهند ، وفى أفريقيا ، وحديثًا فى جنوب شرق آسيا) . وكذلك ندعو للعدالة ، لليهود القادمين من الدول العربية ، والذين فقدوا أعضاء أسرهم ، وممتلكاتهم ، وبيوتهم ، نتيجة الاضطهاد ، ودفعوا للجوء إلى إسرائيل والدول الأخرى .

قرار رقم ١١ : لنساعد إسرئيل اقتصادياً وننشىء ميزانية دولية للاستثمار .

اعترافًا بالحاجة الشديدة للتنمية الاقتصادية فى إسرائيل اليوم ، نحن الممثلون للتجمع ، نتعهد بالقيام بكل ما نستطيع لنشجع التصدير والشراء للمنتجات والخدمات الإسرائيلية لبلادنا ، كما نشجع استثمار رؤوس الأموال الخاصة فى إسرائيل .

وفى هذا المجال الأخير ، فإننا نتعهد بالقيام بكل ما نستطيع فى بلادنا كى ننشىء رأس مال مسيحيًا دوليًا للاستثمار ، بمستهدف قدره ١٠٠ مليون دولار ، كى يستثمر فى تنمية إسرائيل ، مثلاً فى مجال الصناعات التكنولوجية المتقدمة والسياحة.

قرار رقم ١٢ : على كل الدول أن تعترض على الإذعان للمقاطعات المعادية لإسرائيل .

إن هذا المؤتمر يطالب كل الدول التى لم تفعل ذلك بعد ، وكذلك المجتمع الاقتصادى الأوروبى ، ومؤسسة التعاون الاقتصادى والتنموى ، والكيانات المشابهة لذلك ، أن تقوم بأقوى تشريع ممكن للاعتراض على أى إذعان من الأفراد والشركات الخاصة للمقاطعة التجارية العربية ضد إسرائيل ، وكذلك أى مقاطعة فى الدورات الرياضية الدولية ، أو غيرها من المجالات، بالإضافة لذلك ، نطلب من كل المسيحيين ، وأصحاب النية الحسنة أن يرفضوا الإذعان لمثل هذه المقاطعات .

قرار رقم ١٣ : إننا ندعو المجلس العالمى للكنائس ليرى العلاقة الكتابية التى تربط بين الشعب والأرض .

إن المؤتمر يطلب بكل تقدير ، من المجلس العالمى للكنائس ، فى جنيف ، كى يعترف بالرابطة الكتابية ، بين الشعب اليهودى ، وأرضهم الموعودة ، كذلك البعد الكتابى والنبوى العميق ، لدولة إسرائيل .

قرار رقم ١٤ : إننا نصلى من أجل الملك القادم للرب .

إننا نصلى ، وننتظر بشوق اليوم الذى تصبح فيه القدس وجبل الرب مركز اهتمام البشرية ، عندما « تصبح مملكة ربنا واقع » (ميخا ٤ : ١٢) .

وثيقة رقم (٣)
«منظمة»
العمل المسيحى من أجل إسرائيل
«فى جنوب أفريقيا»
مقتطفات من خطاب إخبارى عام - أغسطس ١٩٨٥ .

خيمة الهيكل أو المعبد الثالث : (عن فكرة إعادة بناء هيكل سليمان فى موضع المسجد الأقصى - المؤلف)

أسباب بناء معبد جديد:

أ- سوف يوحد اليهودية حول العالم .

ب- سوف يكون الدليل فى «عصر المسيا» - ١٠٠٠ سنة من السلام وسيدفع الهجرة اليهودية .

جـ - سوف يساعد إسرائيل اقتصادياً (تدفق رأس المال ، والاستثمارات ، والوظائف) .

د- سوف يؤسس سيطرة إسرائيل على القدس الموحدة ! .

ملاحظة : تقوم مجموعة صغيرة من رجال الدين اليهودى فى القدس بالتدريب على طقوس وتضحيات المعبد .

من وجهة نظر مسيحية :

أ- إن إعادة بناء المعبد قبل عودة المسيح أشير له فى الكتاب المقدس .

(متى ٢٤ : ١٥ و ٢ تسالونيكى ٢ :٣ - ٤) .

ب- إنه سوف يعيد التضحية بالدم من قبل إسرائيل ويسمح لها بإكمال رسالتها السماوية طبقاً للقانون الذى تبعه الكثير من اليهود ولكن بدون وجود المعبد ؛ الحاخام الأعلى أو التضحية بالدم .

جـ- إن المال قادم من المصادر المسيحية ليمول عملية إعادة البناء . وإذا كانت هذه التبرعات مدفوعة بالروح - فهل يسرع المسيحيون فى توقع الحدث ؟ .

د- هناك حديث عن بناء خيمة هيكل فى موضع قريب من جبل المعبد ، قبل أى إعادة بناء مستقبلاً للهيكل نفسه ، وترى بعض دوائر اليهود أن ذلك يسد النقص الناتج عن عدم وجود معبد ، وبالتالى يمكن تعيين الحاخام الأعلى ، ويمكن ممارسة التضحية (الأضاحى) كذلك كل الأشياء التى من المفروض أنها تمارس فى المعبد ، ويشير التلمود إلى بناء خيمة هيكل قبل أن يقام معبد المسيا فى مكانه الصحيح ...

من صحيفة «داخل إسرائيل» الجزء ٥ العدد ٩ :

كتب جاى ولف فى الجريدة الأمريكية الإسرائيلية «المنتدى» يقترح أن الأمر ليس مسألة وقت ، فإعادة بناء الهيكل أمر أساسى بالنسبة للشعب اليهودى ، ويقول إنه بدون الجهد المخلص لإعادة بناء الهيكل ، فإن الكثير من الصلوات التى نكررها أسبوعيًا فى العبادة اليهودية فى إسرائيل وحول العالم ، ستكون نفاقا . إن العودة تمثل حلما وهدفا قوميا محددا بوضوح ، يقول ولف ، ولكننا نواجه أزمة مزدوجة : هدفا محددا واضحا ، ومفهوما تقليديا عالقا بالأذهان فى جانب ، وفى الجانب الآخر عملا قليلا ، أو لا عمل ، لنكافح من أجل الهدف .

إنه يطالب اليهود فى كل مكان للتأكيد على الطقس العبادى الأسبوعى الذى يقول : « لتكون إرادة أبينا السماوى لتأسيس المعبد (الهيكل) بيت حياتنا ، وإعادة حضوره السماوى فى وسطنا سريعًا فى هذه الأيام » .

العودة تنعكس :

فى عام ١٩٨٤ ، رحل ١٧٠٠٠ إسرائيلى عن إسرائيل ، وأغلبهم رحل بلا عودة، فمن خلال فرض ميزانية عسكرية ضخمة على إسرائيل يسهم العرب فى خفض مستوى المعيشة فى إسرائيل ودفع العديد من الشباب للهجرة . إن عدد السكان العرب فى إسرائيل ، من الجانب الآخر ، يتزايد بسرعة ، وموت آلاف الأطفال فى إسرائيل ، بسبب الإجهاض المعترف به قانونًا ، يساعد العرب من خلال إنقاص معدل زيادة السكان اليهود .

«فتحطم القسى الفتيان ولا يرحمون ثمرة البطن ، لا تشفق عيونهم على الأولاد» (أشعياء ١٣ : ١٨) .

الإرهاب :

مثل السرطان ينتشر الإرهاب ، عندما تكون جنوب أفريقيا ، وإسرائيل وغيرها من الدول الصغرى ، تعانى من الإرهاب ، فإن القوى العظمى لا تهتم ، والآن ، انتشر السرطان ليهدد عواصم العالم ، إن العائلة المالكة البريطانية تخاف من هجمات الجيش الأيرلندى الجمهورى ، والرئيس ريجان يخاف من «ضربات الفرق» (الإرهابية) التى ترسلها ليبيا . والقوى الغربية تخاف من إرهاب الابتزاز النووى . وهنا هل ينتهى كل ذلك ؟ هل يصبح الوضع أفضل أو أسوأ ؟ هل هى علامة أخرى لعدم قدرة الإنسان على التحكم فى شئونه الخاصة ؟ شىء واحد مؤكد - إن هناك ضمانًا واحدًا على مستوى العالم للسلام ، عندما يأتى المسيا يسوع ! أوصنا ! (هتاف يعنى خلصنا - المؤلف) .

إمكانية حدوث هجوم جديد من سوريا :

منذ الدرس الذى تعلمته سوريا من إسرائيل فى لبنان - أصبحت تعمل جاهدة كى تتغلب على نقاط الضعف فى قوتها العسكرية ، يضاف لذلك الإمداد المهول من الدبابات والأسلحة الذى تقدمه روسيا لسوريا ، بما فيه الصواريخ الأرض جو (SA-5) والقادرة على إسقاط الطائرات فى داخل المجال الجوى الإسرائيلى ، وكذلك صواريخ (SS 21) والتى يمكن إطلاقها من سوريا نحو أهداف فى شمال ووسط إسرائيل ، فسوريا يمكن أن تدخل فى هجوم مركب من الصواريخ والطائرات ، وهو ما سيسبب خسائر فادحة لإسرائيل ، دون أن تكون القوات السورية فى حاجة إلى عبور حدود إسرائيل . إن الرد الانتقامى ، بدون شك ، سيكون سريعًا ومفاجئًا ، ولكن سوريا يمكن أن تكون مستعدة لقبول الضربة من أجل تحقيق أكبر قدر من سفك الدماء اليهودية . إن كان مثل هذا السيناريو محتملاً ، فإن إسرائيل سوف تبدأ عملية دفاع مسبق ، ضد مواقع الصواريخ والمطارات فى سوريا .

« وتكون بقية يعقوب بين الأمم فى وسط شعوب كثيرين كالأسد بين وحوش

الوعر وكشبل الأسد بين قطعان الغنم الذى إذا عبر يدوس ويفترس وليس من ينقذ» .

(ميخا ٥ : ٨)

إسرائيل - الفاتيكان :

قرر البابا يوحنا بولس ، من حيث المبدأ أن يقيم روابط دبلوماسية بين الفاتيكان وإسرائيل كما جاء فى تقرير شبكة ن . بى. إس . وعن أحد الدبلوماسيين الأمريكيين ، الذى لم تعرف هويته ، قالت الشبكة : إن (الدولة) المقدسة تعيد سياستها نحو إسرائيل ، إن (الدولة) المقدسة لها علاقات مع ١٠٧ دول ، تتراوح بين كندا وأمريكا ، ويوغوسلافيا الشيوعية ، وإيران المسلمة ، ولكن لم يكن لها أبداً علاقة رسمية مع إسرائيل ، والتى تأسست عام ١٩٤٨ .

الضفة الغربية - يهودا والسامرا :

إن تعبير الضفة الغربية يستخدم كثيراً من منظمة التحرير الفلسطينية والمؤسسات المتعاطفة معها حول العالم ، لوصف المنطقة التى يعتبرونها واقعة تحت الاحتلال الإسرائيلى غير الشرعى والمؤقت . ووسائل الإعلام حول العالم مازالت تستخدم تعبير الضفة الغربية ، بدلاً من يهودا والسامرا ، وهو الاسم الأصلى الكتابى ، والذى يصف المنطقة جغرافياً ، بدقة أكثر من تعبير الضفة الغربية ، ونشجع المسيحيين على استخدام الأسماء الكتابية ، يهودا والسامرا .

* * *

العمل المسيحى من أجل إسرائيل ، هو مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ، وأهدافها وغاياتها هى :

* أن تركز وتعلن وتشجع بكل الطرق المسيحية الممكنة – حق إسرائيل فى الإقامة الآمنة واتباع مصيرها النبوى فى سلام ورضا ، (أشعياء ٢ : ١ – ٥ ، حزقيال ٢٨ : ٢٥ – ٢٦) .
* أن تعالج كل الجراح التى لصقت بإسرائيل بسبب الكنيسة المسيحية عبر القرون، من خلال التعويض بالصلاة ، والروح ، والمادة ، (تكوين ١٢ : ٣ ، وأرميا

٢٠ : ١٧، متى ٢٥ : ٣١ – ٤٦ ، رومية ١٥ : ٢٧) .

* أن تزيد من السياحة المسيحية وكل الأشكال التى تسر إسرائيل اقتصاديًا .

* أن تشجع الاتصال والزمالة والصداقة بين كل الذين يحبون إسرائيل ، بين المسيحيين واليهود ، والمسيحيين والمسيحيين – لفهم أفضل وتقدير متبادل للتراث والمصير الأبدى المشترك ، (رومية ١١ : ١٥ ، ٢٦) .

صور وثائقية



Second International Christian Zionist Congress

Jerusalem, April 10-14, 1988

Schedule of Events

International Christian Embassy Jerusalem

غلاف برنامج المؤتمر الصهيوني المسيحي الدولي الثاني ، والذي عقد في القدس في
١٠ - ١٤ أبريل عام ١٩٨٨ .

Congress Topics

1. The Biblical Basis of Christian Zionism
2. The Relation of the Church to Israel
3. Israel's Biblical Responsibility
   (a) Her Spiritual and Moral Responsibility in the Light of God's Word — A New Zionism Needed
   (b) Her Social Responsibility — A Biblical Peace Plan for Israel with Justice for her Minorities
4. The Biblical Responsibility of Christians towards Israel
5. The Significance of the Word "Zion" in the Bible
6. Judaism, Christianity and Islam
7. Israel and World Politics —
   (a) Israel — The Key to Understanding International Relations
   (b) The Responsibility of Christians to their Individual Nations in the Light of God's Word on Israel.
8. Israel's Geo-political Predicament
9. An Examination of the Efforts that Israel Has Made towards Establishing Peace in the Middle East
10. Anti-Semitism and Anti-Zionism —
    (a) How Anti-Semitism Developed in Early and Later Church Theology
    (b) Some Significant Historical Aspects of Anti-Semitism
    (c) Contemporary Negative Influences on Church Thinking and Theology Regarding Israel and Zionism
    (d) New Streams of Anti-Semitism and Anti-Zionism in Evangelical and Charismatic Circles
11. Communicating Israel to the World — Israel and the Media
12. Effective Prayer and Intercession for Israel
13. The Soviet Jews and Aliyah from Other Parts of the World
14. Jewish/Christian Relations — The Problems and Prospects
15. Helping Israel Economically
16. Comforting Israel through the Practical Means of Social Assistance

الصفحة الثالثة من برنامج المؤتمر الصهيوني المسيحي الدولي الثاني ، بها
الموضوعات التي عرضت ونوقشت في المؤتمر .



השגרירות הנוצרית הבינלאומית בירושלים

PROCLAMATION

WE, THE DELEGATES OF THE SECOND INTERNATIONAL CHRISTIAN ZIONIST CONGRESS, ASSEMBLED IN JERUSALEM, THE ETERNAL CAPITAL OF ISRAEL, APRIL 14, 1988, ON THE EVE OF THE 40TH YEAR OF ISRAEL'S INDEPENDENCE, HEREBY PROCLAIM THE SOVEREIGNTY OF GOD, THE INFALLIBILITY OF HIS HOLY WORD: THAT HIS REDEMPTIVE PLAN WILL ULTIMATELY BRING PEACE AND BLESSINGS TO THE MIDDLE EAST AND ALL OF MANKIND, ACCORDING TO HIS ETERNAL COVENANT PROMISES MADE TO ISRAEL. CHRISTIAN ZIONISM IS BIBLICAL ZIONISM, FAITHFUL TO THE HOLY SCRIPTURES, AND DECLARES THE FULFILLMENT OF HIS PROPHETIC PURPOSES, CULMINATING IN THE RETURN OF THE MESSIAH TO JERUSALEM.

THEREFORE, WE UNDERSTAND FROM THE SCRIPTURES THAT GOD LOVES HIS PEOPLE AND HAS VESTED IN THEM THE RESPONSIBILITY AND RIGHT TO POSSESS AND BUILD UP THE PROMISED LAND, AND TO GOVERN THE INHABITANTS THEREOF IN ACCORDANCE WITH HIS WORD.

THEREFORE WE DECLARE:

- OUR LOVE FOR ISRAEL AND THE JEWISH PEOPLE.
- OUR AFFIRMATION OF THE BIBLICAL RIGHT OF THE JEWISH PEOPLE TO LIVE FREELY IN THE ENTIRE LAND OF ISRAEL; INCLUDING JUDEA, SAMARIA AND GAZA AS A JEWISH STATE.
- OUR ENCOURAGEMENT OF THE RETURN OF ALL JEWISH PEOPLE FROM THE DIASPORA TO THE LAND IN RESPONSE TO GOD'S PERSISTENT AND LOVING CALL EXPRESSED BY HIS PROPHETS.

WE CALL UPON ALL NATIONS TO RECOGNIZE AND RESPECT THE SANCTITY OF GOD'S PROMISE TO THE JEWISH PEOPLE IN GIVING THEM THE LAND OF CANAAN AS AN EVERLASTING POSSESSION AND AT THE SAME TIME TO BELIEVE HIS SPECIAL PROMISES TO ALL THE SEED OF ABRAHAM.

WE CHALLENGE THE CHURCH TO REPENT OF ANY PAST AND PRESENT ANTI-SEMITISM, ANY DOCTRINES WHICH REPLACE OR DENY THE SCRIPTURAL REALITY OF THE EXISTENCE OF ISRAEL, AND ANY SINS OF COMMISSION OR OMISSION AGAINST THE JEWISH PEOPLE. (1 JOHN 1:9 & 10)

AND WE CALL UPON THE CHURCH:

TO FAST AND PRAY DILIGENTLY FOR THE PEACE OF JERUSALEM,

TO INTERCEDE FOR ISRAEL, HER INHABITANTS AND ALL JEWS EVERYWHERE,

TO EXPRESS LOVE AND SUPPORT FOR ISRAEL AND THE JEWISH PEOPLE IN THOUGHT, WORD AND DEED AS THE LORD GIVES GUIDANCE (ISAIAH 58, ISAIAH 62:6 & 7, JOEL 2:15).

WE RECOGNIZE:

THAT THE ARAB NATIONS HAVE BEEN GRANTED THEIR OWN GREAT AND ETERNAL PROMISES, FOR EXAMPLE, AS FOUND IN GENESIS 17.20: "AND AS FOR ISHMAEL, I HAVE HEARD THEE: BEHOLD I HAVE BLESSED HIM, AND WILL MAKE HIM FRUITFUL, AND WILL MULTIPLY HIM EXCEEDINGLY; TWELVE PRINCES SHALL HE BEGET, AND I WILL MAKE HIM A GREAT NATION.", AND ISAIAH 19:24 & 25

WE THEREFORE CALL UPON:

THE ARAB LEADERS OF JUDEA, SAMARIA AND GAZA, THE LEADERS OF JORDAN, SYRIA AND LEBANON, AND THOSE OF THE OTHER ARAB NATIONS, TO RECOGNIZE ISRAEL'S RIGHT TO EXIST.

الصفحة الأولى من البيان الصادر عن المؤتمر المسيحي الصهيوني الدولي الثاني

(١٩٨٨) . والذي توجد ترجمته بالوثائق (وثيقة ١)

International Christian Zionist Congress
Internationaler Kongress Christlicher Zionisten
Congrès Chrétien Sioniste International



Basel, 27.–29. August 1985

غلاف الملف الخاص بالمؤتمر الصهيوني المسيحي الدولي ، الأول ، والذي عقد في
بازل ٢٧ – ٢٩ أغسطس ١٩٨٥ . والذي تضمن بيان المؤتمر ، وتوجد ترجمة البيان
بالوثائق (وثيقة ٢)

Christian Action For Israel

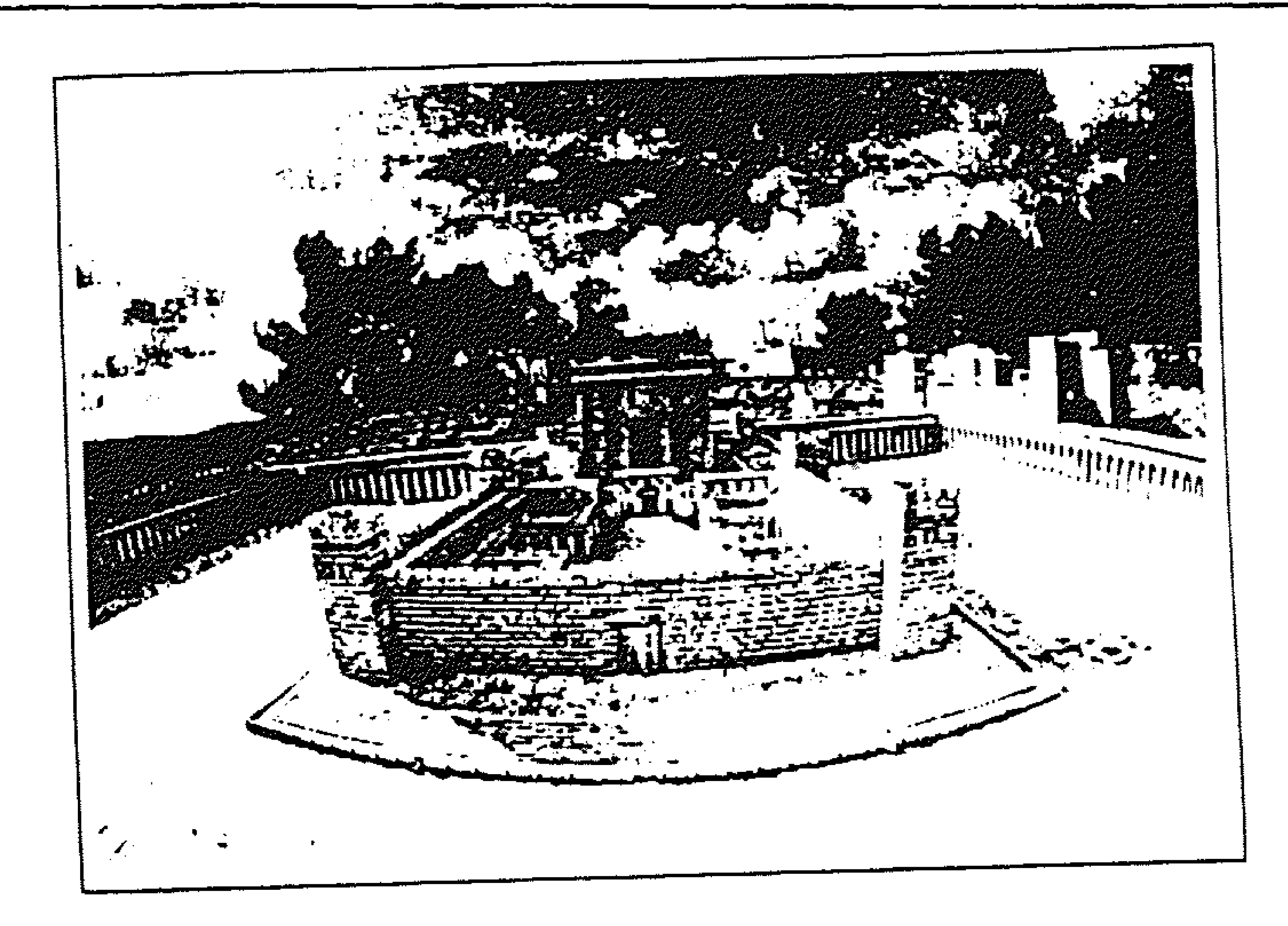
TELEX 5 27654
PHONES (021) 24 5872
PHONES (021) 52 1564 (Home)

705 MARKET HOUSE
GREENMARKET SQUARE
CAPE TOWN
8001

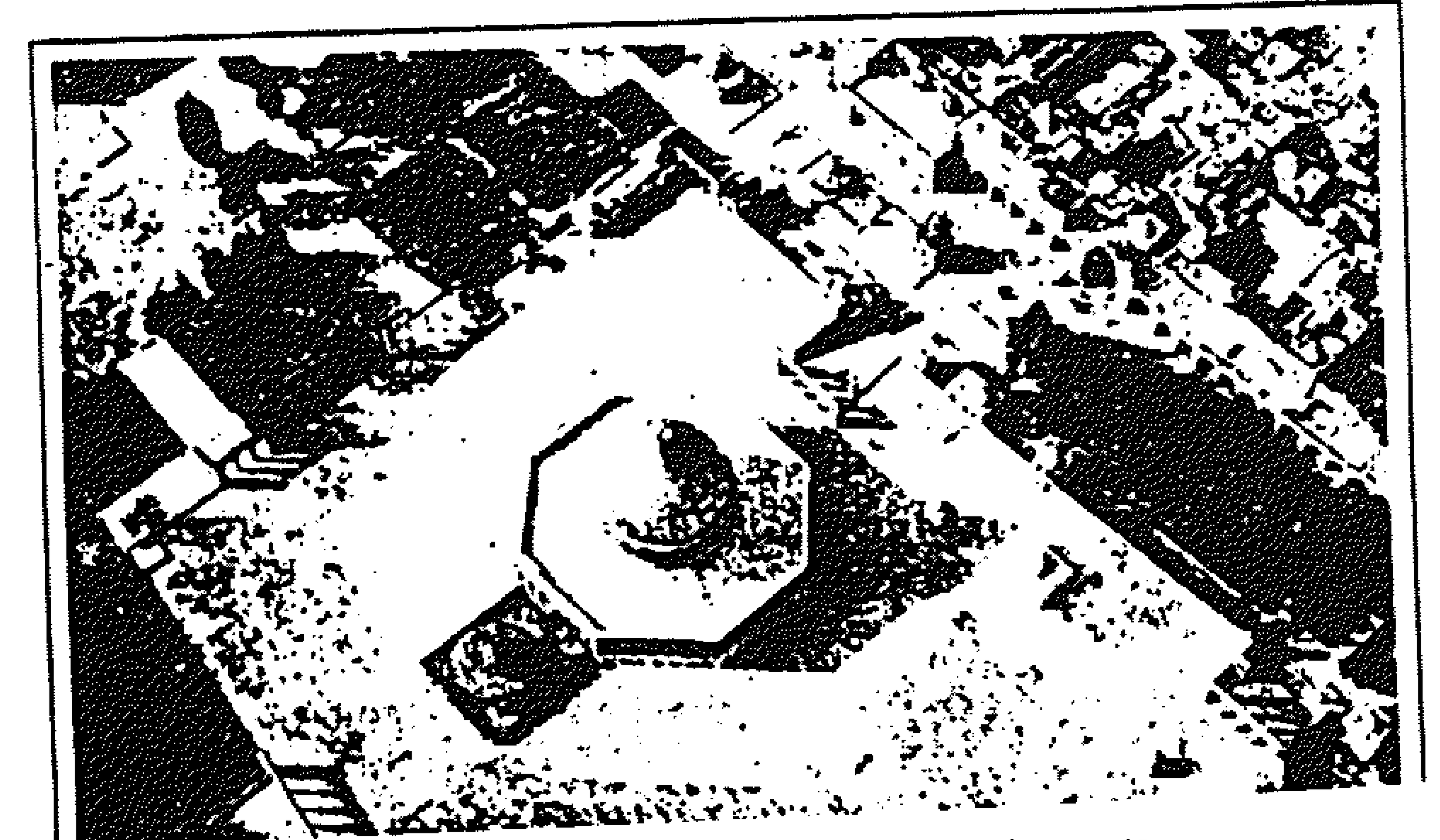
P.O. BOX 11392
VLAEBERG
CAPE TOWN
8018

GENERAL NEWSLETTER – AUGUST 1985

THE SECOND TEMPLE WHICH STOOD ON THE TEMPLE MOUNT WHEN JESUS MINISTERED



THE DOME OF THE ROCK (MOSQUE OF OMAR) WHICH PRESENTLY STANDS ON THE TEMPLE MOUNT



غلاف مجلة منظمة « العمل المسيحي من أجل إسرائيل » (أنظر وثيقة ٣) وبها
صورة هيكل سليمان الذي يرى إنشاءه (أعلى) وصورة قبة الصخرة . والتي يقال
أنها في مكان الهيكل ، ولهذا يجب هدمها لإقامة الهيكل (أسفل)

"Pray for the peace of Jerusalem – they shall prosper that love thee" – PSALM 122-6

SPECIAL for the Feast of Tabernacles

Exclusive Expedition Films

The Ark of The Covenant

THE TRUE TEMPLE SITE

FOUND



Tom Crotser, the man who found The Ark of The Covenant and The True Temple Site will present the enlightening films of the Discovery

JERUSALEM INTERNATIONAL YMCA AUDITORIUM

Date. TUESDAY OCTOBER 13, 1987
Time. 8:00 p.m -Free-



7,000 ATTENDED USA MEETING

The discovery that opened the countdown of the prophetic time to commence

The Coming of the Messiah!

إعلان عن فيلم يقدمه توم كروتر الذي يدعي إكتشاف للمكان الحقيقي ، لهيكل سليمان القديم ، (١٩٨٧) .



Yitzhak Shamir



Shimon Peres



Teddy Kollek



Menachem Begin

Greetings from Israeli leaders

From the Prime Minister

IT GIVES me great pleasure to extend my greetings and appreciation to the leadership of the International Christian Embassy Jerusalem and the Christian delegates from around the world on the occasion of the Second International Christian Zionist Congress.

Your unwavering support and dedication are always heartening and encouraging to the people of Israel.

I wish you great success in this Congress and extend to you an invitation to return to Israel many times with your message of friendship and peace.

Yours sincerely,
YITZHAK SHAMIR

From the Vice Premier

ON THE occasion of the Second International Christian Zionist Congress, I would like to convey my warmest wishes to all those who have assembled here to mark the 40th anniversary of Israeli independence.

The convening of your Congress here, in Jerusalem, is a source of special inspiration to the many participants from countries the world over. It is also a much appreciated demonstration of friendship and support for the people of Israel, encouraging us in our efforts to consolidate and strengthen the State of Israel and pursue our quest for peace.

I look forward to fruitful and constructive results from your Congress.

Sincerely,
SHIMON PERES

From the Mayor of Jerusalem

IT IS MY great pleasure to welcome you to Jerusalem on the occasion of the Second International Christian Zionist Congress and to extend to you my warmest good wishes for a most enjoyable stay.

It is particularly meaningful that your visit here takes place in the framework of the 40th Anniversary of the State of Israel. Perhaps what we learned in these four decades is that the hard work was not completed with the creation of the State and that building a State is as great a challenge as creating one.

While you will find the Jerusalem you are visiting far different than that portrayed by the international media these days – the continuation of our daily life is not the stuff of which headlines are made – these have indeed been difficult days for us. Your visit here and your show of solidarity with our country and our city have particular significance.

With all good wishes for this holiday season. Let us hope it will be a harbinger of peace and goodwill.

Sincerely,
TEDDY KOLLEK

From the former premier

I SEND MY heartfelt greetings to the International Christian Zionist Congress, which assembles in Jerusalem, the eternal Capital of Israel, to celebrate the 40th anniversary of our independence.

Dear friends, your devotion to Israel and to Jerusalem is a phenomenon of human love which all men of good will appreciate with all their hearts. For this unique friendship, please accept my deepest gratitude.

Yours sincerely,
MENACHEM BEGIN

Israelis evaluate Christian Zionism

Dr M BERNARD RESNIKOFF, Director, American Jewish Committee, Israel Office

THE OPTIMUM role for Christians to play is to help the sovereign State of Israel think through, as a sovereign state, precisely how it maintains land and places that are holy to others as well. Those who believe that Israel reflects God's saving purpose to our world should find ways to have God's purpose permeate our thoughts and, above all, our actions.

Religious school teachings of Zion must be re-examined and an active role should be played to eliminate distortions. The integrity of modern Christian theology must be promoted within the context of the physical return of the Jewish people to the Land of Israel. Christians need to study the Hebrew Scriptures together with Jewish scholars.

To deepen the relationship with the Jews of Israel, Christians should be able to criticize details without loss of friendship and Jews should be able to disagree with the Christian point of view without loss of that friendship and respect.

Support also means building and healing the relationship with the Jewish people in the Diaspora, to whom Israel is so central. Thus identification with Israel is a clear and visible way to reduce Christian anti-Semitism and to build new and healthy relations with God's chosen people. Based on the strength of this full backing and identification, Christians can, on the other hand, help Jews understand and give sympathetic support [illegible] goals and communal needs of [illegible]

MICHAEL J. PRAGAI, Author: "Faith and Fulfilment – Christians and the Return to the Promised Land"

FROM THE early days of Zionism and even long before it became an effective movement, Christians of all denominations supported the idea of the Jewish Return to the Ancestral Homeland. This Christian support played a crucial role in building and securing the modern State of Israel. In the face of the present new onslaught on Israel's security, and its continued existence, such ongoing, strong Christian support again becomes crucial. Large numbers of Christian visitors and pilgrims demonstrate their faith in the fulfilment of the Divine Promise – and then become ambassadors of Goodwill who spread the true story of Israel today. The Christian voice counts! Let it be heard widely and strongly!

SHMUEL KATZ, Former adviser to the Prime Minister

ISRAEL has firm and determined friends in the Christian Zionist community world-wide and in their standard-bearer the International Christian Embassy Jerusalem. The impulse for establishing the Embassy was an act of moral solidarity with the State of Israel.

The present moment presents a very great opportunity to members of this Christian community throughout the world to help provide a cordon of security in a political sense to the embattled State of Israel.

The timing of the Second International Christian Zionist Congress in Jerusalem is truly providential. Its heartening message of support will have a cheering effect upon the presently depressed Jewish community in Israel. I feel sure that the Congress will cast a beneficent light upon Israel and its people.

MOSHE SHARON, Former adviser to the Prime Minister

FOR MANY Christians around the world, Zionism represents a fulfillment of an ancient prophecy. The political role that can be played by Christians vis-a-vis Israel, its existence, its development and its position in the world is a direct outcome of this belief. Although for many Jews, the deep theological relation between the fulfillment of the words of the prophets and the Old Testament, and the words of Jesus and the New Testament is unacceptable, this connection is fundamental in the Christian belief, and forms the basis for their unquestionable backing of Israel. This belief must lead to practical action, which means that any Christian for whom the Bible is the only source of inspiration and code of conduct cannot but see himself on the same side of the modern State of Israel.

The current political problems, though important from the point of view of international politics can hardly have relevance when it comes to the question of whether the believer would see the old prophecies which came true to develop into what one regards as the inevitable coming of the Messianic age. From Israel's point of view the backing of the Christian world especially at times when Israel's enemies are encouraged and incited by Islamic theology, is very much needed to counterbalance the criticism Israel has been encountering in the political arena from friends and foes alike.

German Christians help build synagogues

By CHARLEY J. LEVINE

50 YEARS ago the horror of Kristallnacht in Nazi Germany shattered Jewish property and Jewish lives. Today the International Christian Embassy Jerusalem has embarked on a project to allow contemporary Germans to mark the sorrowful anniversary with a practical means of aiding the Jewish people.

Explains ICEJ spokesman Jan Willem van der Hoeven: "This present generation of Germans must never be allowed to forget what occurred in their homeland during this [illegible]. We are taking the initiative to organize churches and individuals throughout Germany to contribute to a foundation whose funds will be designated for the building of new synagogues across the [illegible] of Israel."

Spearheading the local campaign are Christian and Jobeste Sieghan, members of the ICEJ in Germany. Explains Irene Sieghan: "The response during this initial stage has been encouraging. We are certain that the tremendous interest and support generated by the Christian Zionist Congress will provide a major boost to the Kristallnacht project.

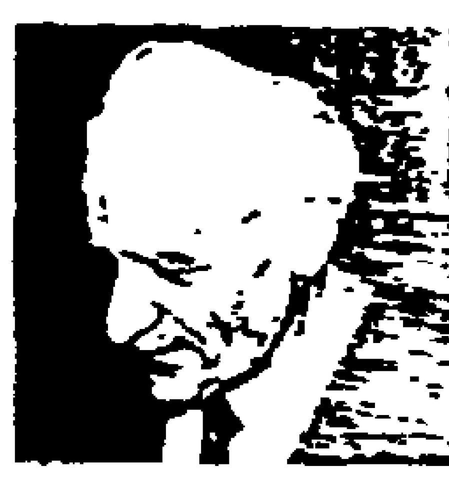
"This endeavour takes us to churches throughout Germany. We [illegible] contributions and hope to collect enough to build and beautify [illegible] houses of worship in Israel.

"One thing is certain. We will not let the German people forget the tragedy that was Kristallnacht or the [illegible]. We will offer them a [illegible]









مقتطفات إخبارية عن تأييد قادة دولة الإحتلال الإسرائيلي الصهيوني المسيحي،

نشر في ملحق الدولة بالقدس ، ١١ أبريل ١٩٨٨ .

Shamir to Zionist Christians: Israel will not be pushed

By HAIM SHAPIRO
Jerusalem Post Reporter

Israel "will not be intimidated and will not be pushed" in the struggle for peace, Prime Minister Yitzhak Shamir told a group of Christian supporters of Israel late last week.

Speaking at the opening of the International Christian Embassy's annual Feast of Tabernacles celebration, the prime minister told some 3,000 enthusiastic admirers from an estimated 70 countries that Israel knows the blessings of peace and the horrors of war. But, he added, referring obliquely to efforts to organize an international peace conference, that 40 years after the state's establishment, "our neighbours and some others are still trying to evade direct negotiations."

The participants broke into prolonged applause when Shamir, noting that this was one of the first events to take place during the 40th anniversary of the founding of the state, invited Israel's friends to see what the nation has accomplished throughout the country, "including in Judea and Samaria."

Among the participants at last week's event was former Prisoner of Zion Victor Brailovsky, who lit a candle on behalf of Soviet Jewry. Organizers of the Feast of Tabernacles celebration said that they expect some 6,000 Christians to take part in the week's events, including a march through the streets of Jerusalem.

Tuesday, October 13, 1987 The Jerusalem Post Page Two



كلمة موجهة من إسحق شامير للمسيحيين الأصوليين ، يؤكد لهم فيها إن إسرائيل لن
تخرج من الأرض في ١٣ أكتوبر ١٩٨٧ ، في الجيروز ليم بوست .

Chicago Sun-Times, Wednesday, Nov 9, 1977

EVANGELICALS CONCERN FOR ISRAEL

We the undersigned *Evangelical Christians* affirm our belief in the right of Israel to exist as a free and independent nation and in this light we voice our grave apprehension concerning the recent direction of American foreign policy vis a vis the Middle East.

We are particularly troubled by the erosion of American governmental support for Israel evident in the joint U.S.-U.S.S.R. statement.

While we are sympathetic to the human needs of all the peoples of the Middle East, mindful that promises were made to the other descendants of Abraham and concerned about the welfare of Christians in all the countries of the Middle East, we affirm as Evangelicals our belief in the promise of the land to the Jewish people—a promise first made to Abraham and repeated throughout Scripture, a promise which has never been abrogated.

We believe the rebirth of Israel as a nation and the return of her people to the land is clearly foretold in the Bible and this fulfillment in our time is one of the most momentous events in all human history.

While the exact boundaries of the land of promise are open to discussion, we, along with most evangelicals, understand the Jewish homeland generally to include the territory west of the Jordan River.

It should be remembered that from the time of Joshua, this land mass has been the exclusive homeland for the Jewish nation. Jerusalem has never been the capital for any other people since the time of David.

We pray for peace in the Middle East and we pledge ourselves to work for justice for all of the peoples involved yet we also declare our belief that lasting peace cannot be achieved until the international community accepts the inalienable right of the Jewish people to live and create a nation within the boundaries of their ancient homeland

Further, from the perspective of Israel's security requirements as well as from our understanding of her legacy, **we would view with grave concern any effort to carve out of the historic Jewish homeland another nation or political entity, particularly one which would be governed by terrorists whose stated goal is the destruction of the Jewish state.**

As Evangelicals we are convinced that Israel's future should not and will not be determined by political intrigue, fluctuating world opinion or the imposition of world powers. Rather, we put our trust in the eternality of the covenant God made with Abraham and we find comfort in the words of the prophet Amos—

"And I will plant them upon the land and they shall no more be pulled up out of the land which I have given them, saith the Lord, thy God." Amos 9.15

The time has come for Evangelical Christians to affirm their belief in biblical prophecy and Israel's Divine Right to the Land by speaking out now

Here's what you can do:

- **Pray for the Peace of Jerusalem.**
- **Write a letter or add your name to this letter and send it to your Government leaders today indicating your support for Israel.**
- **Place this statement in your local newspapers.**

Hudson T. Armerding

Pat Boone

W. A. Criswell

Paul N. Ellis

Harry L. Evans

George Giacumakis, Jr.

Vernon Grounds

Kenneth Kantzer

Harold Lindsell

Kenneth M. Meyer

Arnold T. Olson

B. Elmo Scoggin

Clyde Taylor

John F. Walvoord

G. Douglas Young

For further information write to ARNOLD T. OLSON, Box [illegible] Minneapolis, MN

إعلان نشرة قيادات من الحركة الإنجيلية الأمريكية ، تعبيرا عن تأييدهم وإهتمامهم بإسرائيل ، ونشر في شيكاغو صن تايمز ، ٩ نوفمبر ، ١٩٧٧

هذه الصورة الوثائقية ، والصور التالية لها ، مقتبسة من :

Haddad, H. , & Wagner, D. (Eds) All in the name of the bible. Vermont: Amana Books, 1986.



November 19, 1984

Dear Lover of Israel,

I'm enclosing your Proclamation of Jerusalem.

As soon as you let me know you have signed your name to this prophetic document, I will send you a beautiful seal so you can frame your proclamation for all to see.

This is the same Proclamation that I offered on JERUSALEM, D.C., the historic program that aired by satellite from Jerusalem in October and was viewed by millions of people.

I will be presenting this Proclamation of Jerusalem and the names of all those who sign it to the President of the United States and to the Prime Minister of Israel. I'm praying God will lead at least one million people to sign this document within the next few months.

When God laid JERUSALEM, D.C. on my heart, I was fearful because I knew the cost would be tremendous and we just did not have the funds. But I also knew we must stand by Israel during this critical time in history.

My friend, praise God, your prayers and gifts have made the first two legs of this mammoth project a success. The production costs and the satellite airing costs have been paid in full.

Now we are facing the final leg of the entire project and it will be the most expensive by far. God has told me to go deep into the devil's territory and air JERUSALEM, D.C. on prime time television.

But I need your prayerful and financial help as never before because I have stepped out by faith and bought air time all across America.

By buying time on TV stations that air so much of Satan's material we, in essence, are entering his domain. And he is throwing up obstacles to keep JERUSALEM, D.C. from reaching the people.

(FROM A THREE PAGE MIKE EVANS MAILING, November 19, 1984)

خطاب دوري مرسل من المسيحي مايك إيفانز لكل محبي إسرائيل ، يدعو فيه لجعل القدس عاصمة لإسرائيل (١٩٨٤) ، (عن المصدر السابق ذكره)



PROCLAMATION OF
JERUSALEM DC
DAVID'S CAPITAL

TO THE PRESIDENT OF THE UNITED STATES AND THE PRIME MINISTER OF ISRAEL

We believe that Jerusalem belongs to God Almighty and that the Word of God is non-negotiable Furthermore, we believe the scriptures clearly recognize Jerusalem as Israel's spiritual capital and that the Jewish Messiah will return to it as such.

Therefore, we covenant to pray for the people of Israel, and stand by them in their fight for freedom and peace. We believe the Word of God when it states, "I will bless them that bless thee and curse him that curseth thee." We believe America must stand by Israel God's Word recognizes Jerusalem, and we must recognize the Word of God.

"Break forth into joy, sing together, ye waste places of Jerusalem for the Lord hath comforted His people, He has redeemed Jerusalem." *Isaiah 52:9*

Mike Evans

Official Proclamation Signature

President, Mike Evans Ministries

Bear Season

The Bear is moving closer and closer toward Jerusalem. Recently, Afghan guerrillas killed more than 160 Russian soldiers in a hit and run attack in northern Afghanistan . . . Richard Armitage, Assistant Secretary of Defense for International Security Affairs, said, "The Soviet Union has 750 medium-and short-range missiles in the Far East, including 135 SS-20 rocket launchers." He said that Soviet ground forces have increased from 150,000 in 1965 to almost one-half million in the Middle East.

The Soviet Union has made an official decision that if America endeavors to participate in any future Middle East wars, either directly or indirectly, the Soviet Union would immediately airlift significant Russian divisions into the Middle East, basing these divisions in Syria.

Recently, Soviet-built TU-22 warplanes bombed a section of the southeast Sudanese capital.□



(أعلى) تصريح من المسيحي الصهيوني مايك إيفانز . حول القدس كعاصمة لإسرائيل مرسل إلى رئيس الولايات المتحدة ، ورئيس وزراء إسرائيل .

(أسفل) تصوير إخباري يحكي عن أخبار جارية ، وهي دخول روسيا إلى أفغانيستان ، ويشرح هذا الخبر في ضوء النبوآت ، بأن الرب (روسيا) أصبح قريبا من القدس ، إشارة لمعركة هرمجدون بين الشر. (روسيا) والخير (أمريكا) (عن المصدر السابق ذكره)

*"They (Palestinians) Must Go"**



JEW.

IT CAN HAPPEN AGAIN! COME HOME

IT IS TIME

ZEEERO!

(Zionist Emergency Exile Evacuation Rescue Organization)
P.O.B. 425 Midwood Station
Brooklyn, N.Y. 11230
(212) 934-1223

DEAR AMERICAN JEW!

Two messages that no Jewish leader dares to speak to you about. Your life and those of your people depend on your hearing them.

ONE:

SOME 45 YEARS AGO, the great Zionist leader Z'ev Jabotinsky said "JEWS! LIQUIDATE THE EXILE BEFORE IT LIQUIDATES YOU!"

SOME 3500 YEARS AGO, the Torah said it first "AND AMONG THOSE NATIONS SHALL YE FIND NO REST..." (Deuteronomy 28)

TODAY; We of Rabbi Meir Kahane's Kach Movement (JDL of Israel) have created a movement called ZEEERO (Zionist Emergency Exile Evacuation Rescue Organization) to plead with you before it is too late:

"American Jew, Evacuate, flee the graveyard of the exile and escape to Israel, your home, today, before catastrophe strikes. A tragedy of massive proportions is coming to America and the spectre of horrible Jew-Hatred looms. Get out. COME HOME NOW BEFORE IT IS TOO LATE FOR YOU AND YOUR LOVED ONES

TWO:

Another message that the little, timid Jewish leaders do not dare to tell you

Despite all illusions and delusions, the Arabs of Israel are strangers in a Jewish, Zionist State. They hate Israel and look forward to its elimination in favor of a "Palestine." Their incredibly high birth rate threatens Israel as surely as any war. Join with us in calling for a Knesset law and government — JEWS TO ISRAEL, ARABS TO THEIR OWN LANDS

The removal of the Arabs of Eretz Yisrael will save the Jewish State another Northern Ireland.

American Jew! You are cursed with small, ignorant and myopic Jewish leaders. They will destroy you. Listen to our words. Take heed. It is your life that is at stake.

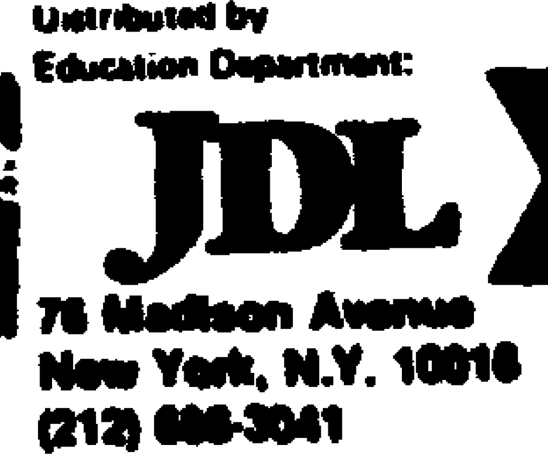
THE ARABS OF ISRAEL: Time Bomb Waiting to Explode

THE KACH MOVEMENT (Jewish Defense League of Israel)
31 Ussishkin Street, Jerusalem (02) 661894 or 526127

(In Israel, you can hear Rabbi Meir Kahane speak every Monday and Thursday evening at the above address at 8:45 PM. In the United States, if you want to arrange for him to speak in your community or get his writings or tapes contact: THE JEWISH IDEA, POB 425, Midwood Station, Brooklyn, N.Y. 11230



Distributed by
Education Department:





76 Madison Avenue
New York, N.Y. 10016
(212) 686-3041

"NEVER AGAIN"

*This Appendix is a reprint of flyers distributed by Rabbi Kahane's Kach Movement in Israel and New York.

صورة لمنشورات حركة كاخ اليهودية المتطرفة ، تطالب بإخراج الفلسطينين من الأرض المحتلة (عن المصدر السابق ذكره)

الفهرس

إصدارات يافا للدراسات والأبحاث

يافا تواصل إصداراتها المتميزة :

١- جماعات الأسلام السياسي : رؤية وثائقية أمريكية ترجمة د. رفعت سيد أحمد – طلعت غنيم

٢- المسيحية السياسية في مصر : د. رفيق حبيب

٣- النوبة أرض العطر والذهب : إبراهيم فهمي

٤- من يحكم في السعودية : حسن أبو طالب

٥- البابا شنودة : حوار جديد : د. محمد مورو

٦- ثورة المسلمين في الضفة والقطاع : د. رفعت سيد أحمد

٧- الأسلام من العقل إلى النهضة : حسن الملطاوي

٨- خطاب الزمن الرمادي : رؤي في أزمة الثقافة المصرية : نبيل عبد الفتاح

٩- المسيحية والحرب : قصة الأصولية الصهيونية الأمريكية والصراع على الشرق الأسلامي : د. رفيق حبيب

(تطلب كتبنا من المكتبات الرئيسية بالقاهرة ، أو من عنوان الدار : ص .ب ٨٠٦ المعادي – رمز بريدي / ١١٧٢٨ القاهرة ، ت / ٣٧٥٦٥٩٦)

يافا للدراسات والأبحاث

رقم الإيداع ٧٥٠٠ لسنة ١٩٩١

المسيحية والحرب

هذا الكتاب

• بالوثائق والأسرار والحقائق المذهلة .. نفتح هذه الملفات الغامضة.

• لأول مرة عربياً .. نفتح ملفات هذه القوى الخفية التى تهدف إلى السيطرة علي الشرق الإسلامى بوجه عام وعلى مصر خاصة، وهى قوى الأصولية الصهيونية الأمريكية.

• إن مؤسسة (يافا للدراسات والأبحاث) تفخر بتقديم هذا العمل الوثائقى الهام الذى سيثير ضجة فكرية كبرى، مثلما أثار من قبل كتاب (المسيحية السياسية فى مصر) للباحث والكاتب المصرى الجاد .. الدكتور / رفيق حبيب.

• ترى ماذا تقول الوثائق عن محاولات اخترقا مصر والشرق الإسلامى من قبل مؤسسات صهيونية مسيحية مشتركة تهدف إلى إنشاء إسرائيل الكبرى فى المنطقة ؟

• ذلك ما يجيب عنه الكتاب وبالوثائق النادرة.

الناشر

(يافا للدراسات والأبحاث)

القاهرة - ص. ب / ٦٠٨ المعادى - رمز بريدى/١١٧٢٨

فاكسميلى رقم / ٣٩٠٤٢٥٠ / ٢٠٢ المعادى . ت/٣٧٥٦٥٩٦

